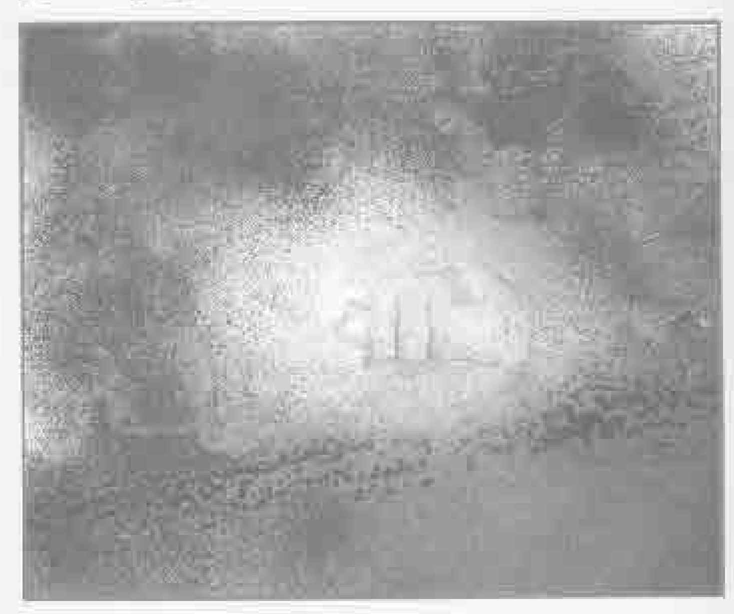
العدد ١٠٢ - شعبان ١٤٠٤هـ - مايو ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة — ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

- **بين الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي**
  د. محمد عبده يماني
- **حضارة باقية حتى يجد خصومها البديل**
  محمد الغزالي
- **تحليل الدموع في معامل الأطباء**
  د. خليل مسليم



رمضان كريم .. وكل سنة والمسلمون في عزة وكرامة

بين الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي

٢ الدبّ الروسيّ



بقلم: الدكتور محمد عبده يماني

هناك إجماع لاجدال حوله على تقسيم القوى العالمية فى عصرنا الراهن إلى قوتين اثنتين ليس غير : القوة الامريكية ، القوة السوفيتية .

اما باقى القوى ، مهما بلغت ، فانها تصنف اما على أساس دورانها فى فلك إحدى القوتين الكبيرتين ، أو على اساس اوضاعها « الاقليمية » فى المناطق التى توجد فيها .

ولقد ذهب المعلقون والمحللون الى وصف القوتين الكبريين بكلمات توحى وكانه ليس فى الدنيا سواهما ، فقيل « القوتين الاعظم » وقيل « القوتين الاكبر » وقيل « القوتين العظيمتين » .. وقيلت اوصاف كثيرة اخرى .. ونحن لا نجادل فى مدى صحة تلك الأوصاف ولا فى مدى استحقاق كل من القوتين لهما .. ولكننا نجادل تجاه هذه الحالة الغريبة من التسليم بتلك الأوصاف كأن القوتين الأعظم قد استباحتا الارض وما عليها لأطماعهما وكأن ليس على سطح البسيطة سواهما وكأن الوقوف فى وجهيهما أمر مستحيل وان على الدول الأخرى ان تختار بين هذه وتلك من القوتين تنضوى تحت لوائها وتحتمى بظلها او يكون مصيرها الضياع والدمار .

ذلك ان سبب قوة امريكا وروسيا هو بالذات ـ وفى نفس الوقت ـ سبب ضعفهما .

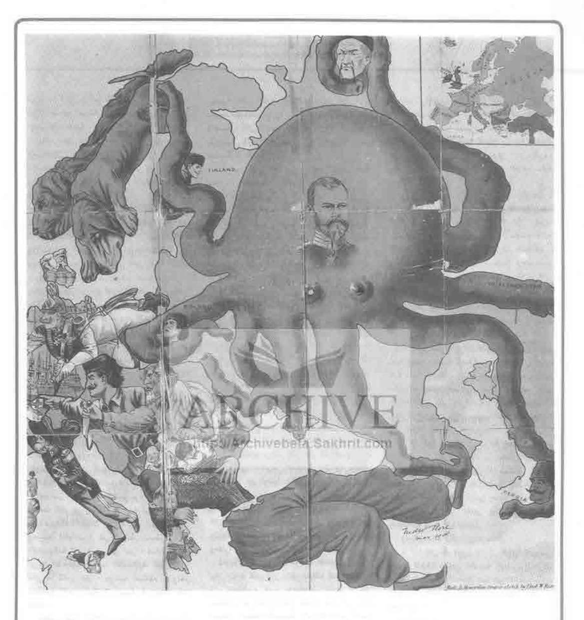
وقد تحدثت فى المقال السابق « الدوحة ابريل ١٩٨٤ » عن « الكاوبوي الامريكى » واتحدث اليوم عن الدب الروسى .. ثم احاول فى المقال القادم ان شاء الله ان أحدد موقعنا منهما .. والمنطلق الصحيح فى رأيى للتعامل معهما .

فى اى دائرة معارف او مرجع عن التاريخ الطبيعى ، تجد تعريف « الدب » متفق عليه فى جملة نقاط اهمها : ضخامة الجثة ، وبطء الحركة ، وقوة الضربة والسذاجة و .. حب العسل و «الاستعباط» .

وما أدري لماذا وكيف اطلق اسم «الدب» على الروس ـ الذين أصبحوا سوفييت بعد ولماذا اشتهر تعبير « الدب الروسى » فى الاشارة الى « روسيا » ، ولكننى اتصور ان من ابتكر هذا اللقب اخذ فى اعتباره التكوين النفسى والحركي ثم الهيكلي للكيان السوفيتي .

وابادر فاشير الى ان تمييزى ما بين « روسيا » والاتحاد السوفيتى هو تمييز مقصود ، لان منطلق دراسة أوضاع الدب الروسى فى عالمنا المعاصر واعتباره ، مع الكاوبوى الامريكى ، قوتين عظيمتين ، انما يبدأ ـ تحديدا ـ من تلك النقطة ..

وارجو الا يدهش القارىء اذا وجدنى اتجاوز مؤقتا ، عن واقع الاتحاد السوفيتى كدولة شيوعية كبرى ، بدات منها الشيوعية وانتهت اليها ، فهذا ـ ورجاء من القارىء الا يعجب ـ لا يعنينى كثيرا فى موضوع بحثنا ، لان الدب الروسى بكل ما فيه من صفات ، كان هكذا ايام القياصرة واستمر هكذا ايامنا هذه ، ولم يتغير فيه



رسم كاريكاتورى نشر عام ١٩٠٠ م وهو على شكل خارطة لاوربا تبين أوضاع كل دولة من دولها قبل اربعة عشر عاماً من نشوب الحرب العظمى وسبعة عشر عاماً من قيام الانقلاب البلشفي .. ابرز ما يلاحظ فى الرسم هو تصوير روسيا القيصرية على شكل اخطبوط يمد اذرعه النهمة فى جميع الاتجاهات ، وفق ما هو معروف عن المطامع الروسية في البلاد الاخرى ..

ان مقارنة بين ما حققه القياصرة وما حققه البلشفيون تؤكد ان البلشفيين قد فاقوا القياصرة ، فعلا ، فى انجازاتهم الامبراطورية ، فامتدت اذرع الاخطبوط إلى مناطق عجز القياصرة عن الوصول إليها كاوربا الشرقية مثلا ..

لاحظ ، كذلك ، ان الاعتداء على افغانستان هو هدف قديم للروس بدأوا به بعد حوالي ثمانين عاما من رسم تلك الخارطة .. وان إيران هي احد اهدافهم كذلك ..

وهكذا تكون مكافحة الامبريالية والا .. فلا ..

شيء .. فهو – كما كان ايام القياصرة – مازال ضخم الجثة ، بطيء الحركة ، قوي الضربة ، غبيا ، وهائما بالعسل ..

وقد ذهل بعض الناس من الغـــزو السوفيتي لافغانستان وتساءلوا .. اي عفريت ركبهم حتى اقدموا على عمل كهذا .. وغزوا افغانستان بين يوم وليلة ؟ وهكذا فجاة بدون مقدمات ..

اما الراسخون فى العلم .. فلم يفاجاوا ابدا .. بل اعتبروه خطوة متوقعة للتوسع السوفيتي .. الذى يحارب الامبريالية .. والاستعمار اعلاميا ، ويمارسها فعليا .. بل ويسعى لبسط نفوذه على اكبر رقعة ممكنة .. ووفق تحرك استراتيجى مـــدروس .. وبتوقيت متزامن مع قدراته على الحركة .. والاستيعاب والتبرير غير المنطقى طبعا .. ولكنه تصرف « الدب » وحركته ..

اننى لا انسى قط عبارة قراتها منذ سنوات طويلة ولكنها تستوقف النظر وتستحق الاهتمام ، وتعتبر مفتاحا لتفسير تحركات الدب الروسى ، بعيدا عن شعاراته المرفوعة ومبادئه المعلنة .

هذه العبارة تقول ، قدر ما تسعفنى الذاكرة :

– ان روسيا كانت وستظل قيصرية وبيزنطية ، وان عظام القياصرة لتهتز الآن فرحا فى قبورهم . لأن الشيوعيين قد تفوقوا عليهم فى انجازاتهم الامبراطورية . « راجع الخارطة المنشورة مع هذا الكلام » .

ومعنى هذا ان الشيوعية ، كنظام ، ليست اكثر من وسيلة جديدة فى يد روسيا « الامبريالية » بعد ان كانت « البيزنطية » وسيلة القياصرة في بسط سيطرتهم – الامبريالية ايضا – على اجزاء شاسعة من اوربا الشرقية واسيا الشمالية الغربية . فكل ما تغير هو « نوعية النظام » ولكن المطامع الامبريالية الروسية قد ظلت كما كانت .

معنى هذا الكلام ايضا ، ان شــعار « الاستعمار اعلى مراحل الراسمالية » الذى رفعه لينين ، وبالتالي كل شعارات محاربة الاستعمار والامبريالية لم تكن اكثر من اكذوبة كبرى ، لأن شيوعيي روســـيا لا يقلون عن اسلافهم القياصرة فى مطامعهم الامبريالية وخططهم التوسعية التسلطية .

ونستطيع القول – بكل بساطة – ان كل مازاد عن روسيا الطبيعية من اراضى « الاتحاد السوفيتي » انما هي مستعمرات روسية كان القياصرة قد بداوا من قبل ببسط نفوذهم عليها ، ثم جاء الشيوعيون فاضافوا الى الامبراطورية الروسية بلادا باكملها كان القياصرة قد عجزوا عن السيطرة عليها ..

فكيف يتفق هذا مع ادعاء الشيوعية محاربة الامبريالية ؟ ..

هذه واحدة ..

اما الثانية . فتتعلق باقطار اوربا الشرقيــة التى يسيطر عليها السوفييت بحرابهم ودباباتهم تحت اسم « حلف وارسو » ، وتحت شعار « منع توحيـــــد المانيا » ، فاية علاقة بين روسيا وبين تلك الدول ؟ ..

والثالثة هى الفضيحة التاريخية التى وقعت فى بدايات الحرب العالمية الثانية ، حين وقع « مولوتوف » و « ريبنتروب » – وزيرا خارجية ستالين وهتلر – اتفاقية التعاون والصداقة التى اقتسم فيهـــا ستالين وهتلر اوربا الشرقيـــة ، بحيث اجتاحت الجيوش الروسية فنلندا واستونيا ولتوانيا ولاتفيا فى الوقت الذى كانت فيه جيوش هتلر تجتاح اواسط اوربا وغربها ..

ما الفرق – هنا – بين هتلر وستالين ؟ .. او بين روسيا الشيوعية والمانيا الهتلرية ؟

وكما نعلم ، فقد كان من الواضح ، اذ ذاك ، ان الحرب العالمية الثانية سوف تتمخض عن قوتين عظميين عالميتين ليس غير ، هما روسيا وامريكا ، لأن منطق مجريات الحرب كان يشير الى ذلك.ومن هنا كان اتفاق « يالطا » الذى عقد بين ستالين وترومان وتقاسم الاثنان فيه مناطق النفوذ ، ونظرا لأن ترومان لم يكن اكثــــر من « كاوبوى » جاء من بلاد « الكاوبويز » لم يكن يهمه كثيرا أن يفكر بعقله قدر ما يهمه ان يستخدم قوته ويطمئن اليها ، فان ستالين قد انتزع منه شيئا كثيرا ، رغم ضعف موقفه بالنسبة لامريكا التي كانت تمتلك – وحدها اذ ذاك – القنبلة الذرية ، وهو الأمر الذى اضطر السياسي المحترف « تشرشل » للتدخل ، رغم علمه انه لم يكن يمثل اكثر من دولة من الدرجة الثانية ، فعدل الاتفاق بخط يده ، وكان فحوى الاتفاق اطلاق يد روسيا في جميع اقطار اوربا الشرقية والوسطى مع تحفظ واحد ، هو الذى كتبه تشرشل بخط يده ، يتعلق برومانيا وهو ان تكون من نصيب السوفييت بنسبة تسعين فى المائة ومن نصيب « الغرب » بنسبة عشرة في المائة وهذا هو سر انفراد رومانيا بمواقف خاصة خرجت بها عن اجماع الدول الشيوعية الأخرى،فهي تعلم انها تتمتع بنسبة عشرة في المائة من حماية الكاوبوى الامريكى ، وقد استطاعت استغلال هذه الحمــاية ببراعة .

وهكذا تضخم الدب الروسي وترهل ، اكثر فاكثر ، وباتت له امبراطورية مترامية الاطراف تحتل جانبا كبيرا من اوربا الشرقية ، ومن اسيا الشمالية ، تجمع مائة واربع قوميات ، وتتكلم عشرات اللغات ، وتضم اكثر من مائتين وسبعة وخمسين مليونا (عدا سكان المستعمرات غير الداخلة في نطاق الاتحاد السوفيتي) .

اما عن بطء الحركة ، فانها سمة اساسية من سمات الدب الروسي ، كما هي سمة الدب الاصلي ، ولقد قرانا عن هذا البطء شيئا كثيرا في مذكرات كثير من السياسيين بما فيهم بعض السياسيين العرب . فيوم الكرملين بسنة ، وشهرهم بعقد ، وسنتهم بقرن ، وهم يعترفون بذلك ويقولون ان سببه هو « البيروقراطية » و « الروتينية » وكثرة الجهات التي يجب عليها المشاركة في اتخاذ القرار ..

ولكن قوة البطش وسرعة الحركة تبدو لنا على الفور اذا ما خطر لاحدى المستعمرات ان تحاول استنشاق هواء الحرية ، فالدب – عندها – يكشف عن مخالبه ويضرب بلا ادنى رحمة أو شفقة ، وهو ماحدث في المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا و .. افغانستان ..

ويبقى بعد ذلك ان نتساءل :

– اذا كان قد تبين لنا ان الدب الروسي ضخم الجثة ، قوي الضربة ، بطيء الحركة محب للعسل (والعسل هنا هو المستعمرات الروسية طبعا) فهل هو – بعد ذلك – (ساذج) ؟

ونجيب :

– اجل .. انه كذلك .. ولو لم يكن ساذجا لما كان دبا ، فهو ساذج اذ يعتقد ان هناك عاقلا واحدا يصدق مزاعمه حول معاداته للامبريالية ومحاربته إياها .. وهو غبي اذ يعتقد اننا نصدق دعاواه في نصرة الشعوب المستضعفة والتي يجعل اعوانه من تلك الدعاوي بضاعة يومية يتاجرون بها .. وهو غبي إذ يعتقد ان بوسعه ان يقضي على الاسلام ، والاسلام بالذات ، سواء داخل الامبراطورية الروسية او خارجها ..

وهكذا اكتملت ماساة عالمنا المعاصر في وجود الكابوي الاميركي بمسدسيه سريعي الطلقات والدب الروسي بضخامته وبلادته وغبائه وهيامه بالعسل ..

ان من المفارقات الطريفة ، هنا ، ان الطرفين كليهما يعتمدان على قوتيهما العظميين في سياستهما العالمية ، وانهما لايجهدان النفس كثيرا في « التفكير » الذي قد يصل بهما ، لو حدث ، الى الاقتناع بعقم محاولاتهما للسيطرة على العالم ..

لقد سـار السوفييت وراء السياسـة الامريكيـة يستفيدون من اخطائهـا ويوظفونها لحسابهم لا لانهم «اذكياء» ولكن لان الاميركيين انفسهم « غير اذكياء » ..

فمن الحقائق المدهشة ، والمضحكة ، ان وراء كل نصر سوفييتي خطا اميركي ، فكلما ارتكبت امريكا اخطاء في حق الشعوب التي تتعامل معها ، كان هؤلاء يعبرون عن رايهم في امريكا بالانحياز الى روسيا ، لا حبا بها ، ولكن نكاية في امريكا ..

ولو ان امريكا وعت هذه الحقيقة ، فمما لاشك فيه ان وجه التاريخ كان قد تغير كثيرا عما هو عليه الآن ، ولكن امريكا ـ لسبب ما ـ لم تفهم ذلك قط .. ومازالت لاتفهمه حتى الآن ..

والدليل على ذلك ان جميع الدول التي ارتبطت مع السوفييت بعلاقات طيبة ، لم تلبث ان انقلبت عليهم في فترة لاحقة ، وكان السوفييت يتغاضون احيانا ، ويصلحون خطاهم حينا اخر ، او يهملون البلد الذي انقلب عليهم ، وفي جميع الأحوال لم يحدث قط ان امريكا استطاعت الاستفادة من تلك المتغيرات والتعامل مع تلك الشعوب من منطلق يختلف عن منطلق اسلوبها الذي يستمد من اخلاقيات وطباع « الكاوبوي » الشيء الكثير ..

ثم جاءت لعبة «الوفاق» التي كشفت حقيقة موقف الكابوي الاميركي والدب الروسي معا .. ويمكن تلخيص تلك اللعبة ـ بكل بساطة وايجاز ـ بان الطرفين كليهما يبحثان عن مصالحهما قبل كل شيء ، وان علاقتهما مع الدول الأخرى ، كبيرها وصغيرها ، محكومة بهذا الاعتبار ..

وتم التفاهم على مناطق النفوذ ..

بعضها مغلق لصالح امريكا ..

وبعضها مغلق لصالح السوفييت وحدهم ..

وبعضها متروك لـ« شطارة » الطرفين مادامت لا تمس مصالحهما مساسا مباشرا .

وعلى هذا الاساس سارت سياسة القوتين الكبيرتين خلال السنوات الفائتة ، فلا غزو السوفييت لتشيكوسلوفاكيا ازعج امريكا ، ولا اعتداؤهم على افغانستـان استدعى وقفة اميركية صلبة ، وبالمقابل ظلت « اسرائيل » تعربد في الشـرق الاوسط ـ بالاسلحة الاميركية ـ والسوفييت يتغاضون ، فالوفاق سائد بين الطرفين ، وكل منهما يبحث عن مصالحه الخاصة ضمن حدود اللعبة ، بصرف النظر عن اي اعتبار اخر ..

وخلال ذلك ، كان مايزيد عن ثلاثة مليارات ونصف المليار من سكان العالم يعانون من مد سياسة الوفاق وجذرهـا ، ويكتوون بنار المطامع التي تمثلها الدولتان القويتان : الكابوي المسلح بصواريخ «بيرشنغ» ، والدب المسلح بصواريخ (س . س) .. وكلاهما لا يهتم لغير مصالحه الامبراطورية التي لم يعرف التاريخ لها مثيلا ..

ومع ان لكل من الطرفين حلفاءه واصدقاءه ، فقد اثبتت الاحداث ان اولئك الحلفاء والاصدقاء يرزحون تحت وطاة التحالف القاتل والصداقة المميتة ، وانه لولا حسابات الاوضاع الدولية القائمة وتوقعاتها لانفض الجميع عن العملاقين كليهما ، وهو ما راينا له ادلـة ومظـاهر كثيرة ..

اوربا الغربيـة ، مثلا ، لم تترك وسيلة تعبر بها عن ضيقها من السياسة الاميركية الا وسلكتها ، ووجدت في تكتلاتها السياسية والاقتصادية طريقة تحاول ان تتقي بها شر السياستين الاميركيـة والسوفييتية معا ..

واوربا الشرقية ، هي اسوا حالا ، تكاد انفاسها ان تزهق تحت وطاة «الصداقة» السوفييتيـة فتعبر عن رايهـا بتلك الانتفاضات الدموية بين الحين والحين ..

وفي اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، نجد الظاهرة نفسها التي تتارجح ما بين الاستقلال ، كثيرا او قليلا ، عن العملاقين ، والتحالف الكامل مع احدهما ، ثم تارجح هذا التحالف بدوره ما بين المتانة والفتور ، بمقدار ما تتطور مجريـات السياسـة العالمية ..

ولعل ظاهرة التكتل والتوحد والاندماج التي نراها في بعض انحاء العالم ، انما هي نتيجة تلقائية لتحسس الدول والشعوب بالخطار التعامل مع الكاوبوي الذي اعتمد مسدسه وسيلة للتفاهم ، والدب الذي ليس له من هدف او غاية إلا : العسل ..

ففي اوربا نجد السوق الاوربية المشتركة والبرلمان الاوربي المشترك ، والمجالس الوزارية المشتركة ، وفي افريقيا نجد منظمة الوحدة الافريقية ، وفي اسيا نجد تكتلات اقليمية عديدة ، وفي الخليج نجد مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وفي العالم الاسلامي نجد رابطة العالم الاسلامي والمؤتمر الاسلامي ، ومؤتمرات القمة والوزراء المتخصصين في العالم الاسلامي وربما امكن ايضا ان نضيف « جامعة الدول العربية » ، وكل هذه التكتلات تهدف ـ حسب ظروف كل منها ـ الى حماية نفسها من العملاقين المتربصين بالارض وسكانها ، والبحث عن مصالحها بعيدا عن مخاطر التعامل مع اي من العملاقين ..

واذ نتساءل :

ـ ما هو موقفنا ، كمسلمين وكعرب ، وسط لهيب الاوضاع الدولية الحارقة ؟ ..

وما هو موقفنا ونحن مستهدفون بشكل مباشر من القوتين الكبيرتين معـا ، في سعيهما المحموم لاحتوائنا وضمنا الى مناطق نفوذهما ؟ ..

ـ وما هي الوسيلة التي نستطيع بها ان نحقق اهدافنا الوحدوية والتطورية مع اقرب الناس الينا والصقهم بنا واكثرهم اتفاقا معنا في الاهداف والطموحات ، وفي التعرض لمخاطر مؤامرات الكاوبوي وزميله الدب ؟ ..

الجواب ، من غير تردد ، انما يكمن في كلمتين اثنتين ليس غير ، بهما نحمي انفسنا ، ونقف كقوة عالمية ذات وزن ، ونصدع ـ قبل ذلك ـ بمـا امر به ربنـا وديننا :

ـ التضامن الاسلامي .. التضامن الذي يطابق القول الفعل .. ويسعى فعلا لجعل كلمة الله هي العليا .

اجل ففي غمرة الصراع العالمي المستميت بين القوتين الكبريين ، ووسط تعقيدات المواقف الدولية التي لم يسبق لها ان كانت ـ تاريخيا ـ كما هي اليوم ، نجد ان اتجاه المسلمين الى بعضهم البعض ، وتحالفهم وتضامنهم ووحدة كلمتهم ، ووحدة اقتصادهم ، ووحدة اهدافهم ، هي السبيل الوحيد ـ بل الأوحد ـ نحو التحول التاريخي الحاسم الذي به نثبت جدارتنا في ان نكون مسلمين ..

ولهذا الحديث لقاء اخر باذن الله ..

محمد عبده يماني

العرب والقوة الجديدة



بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

تميز الشهر المنصرم بتطوير نوعي في علاقة العرب الجديدة بالقوة الاستراتيجيـة والتكنولوجية الصاعدة فى الشرق الأقصى : والتى اصطلح على تسميتها بالقوة الصفراء ، وهى القوة التى تمثل اليابان طليعتها الصناعية والاقتصادية المتقدمة ، وتمثل الصين خزانها البشرى الاستراتيجي الهائل ، وتمثل كوريا وفيتنام والفلبين وسنغافورة اطرافها وأذرعها الحضارية المتنامية .

وقد تمثل هذا التطور في زيارتين هامتين على مستوى القمة قام بهما زعيمان عربيـان للشرق الأقصى عكستا هذا التوجه الجديد بين العرب والقوة الصفراء التى أصبحت طرفاً أساسيا فى صياغة معادلات القوة فى عالمنا المعاصر . وعالم المستقبل القريب الذى نوشك أن ندخله .



سمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني أمير دولة قطر

ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

وعندما نقول معادلات القوة فاننا نعني بها القوة الصناعية التقنية ، والقـــوة الاقتصادية ، والقوة البشرية بالاضافة الى القـــوة العســكرية والسياســـية والاستراتيجية وباختصار القوة الحضارية بكل معانيها ومختلف وجوهــها وابعاد ها .

أما الزيارة الأولى التى اسهمت فى صياغة هذا التطور النوعي فى علاقة العرب بالقوة الجديدة ، فكانت زيارة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني أمير دولة قطر العربيـــــة لكل من اليابان وكوريا الجنوبية .

واما الزيارة الثانية فكانت زيارة السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية للصين الشعبية .

ومع ان كل زيارة تاتي فى إطارها المتميز إلا ان الزيارتين معا تمثلان مؤشرا حافلا بالدلالات على الآفاق الجديدة التى يمكن للعرب ان يرتادوها فى علاقتهم المتنامية بالقوة الدولية الجديدة فى الشرق الاقصى والمحيط الهادى (الباسفيكي) .

وقد سبق لنا ان طرحنا على صفحات مجلة « الدوحة » وبشكل مسهب ابعاد هذا الصعود المثير لهذه القوة على مسرح الحضارة والسياسة العالمية ، وحاولنا ان نستكشف امكانيات التعاون بين العرب والقوة المذكورة فى حقول التعاون المختلفة وفى المجال الاستراتيجى على المدى البعيد حيث ثبت بما لا يقبل التردد ان القوة الغربية البيضاء قوة مرتبطة عضويا باسرائيل والصهيونية جذورا وشعورا ومصلحة ، وانها بالتالى غير مؤهلة لتكون صديقا للعرب ، او حليفا استراتيجيا لهم ، باي معنى من المعاني الجدية الصادقة للصداقة او التحالف . ولعل فى التصريحات الأخيرة الصريحة للملك حسين حول هذا الأمر ما يقدم دليلا من احدث الادلة واقواها على صحة هذا الاستنتاج الذى لابد من مواجهته .

ولان العرب ، لاسباب عقائدية وسياسية لا يميل قسم كبير من دولهم للتحالف الاستراتيجي مع الاتحاد السوفياتي رغم تقديرهم لبعض مواقفه تجاه بعض القضايا العربية ، فان البديل المستقبلي المرشح للتحالف مع العرب هو قوة الشرق الجديد غير المرتبطة دينيا ومصلحيا وشعوريا باسرائيل والصهيونية ، وغير المثقلة بماض استعماري بغيض فى المنطقة العربية ، وغير المتهمة باغراض سياسية وخطط مشبوهة تجاه الحاضر والمستقبل العربى ، وغير المرشحة للتصادم مع العرب فى اي مجال مصيري حاضرا ومستقبلا ايضا ، بل ان لهذه القوة الجديدة مصلحة جوهرية فى سيادة

العرب..
والقوة الجديدة

الاستقرار بالمنطقة العربية لتزداد امكانات التعاون الاقتصادي معها الى ابعد الحدود وليتامن تدفق النفط منها الى المصانع الجديدة المتزايدة كل يوم في اليابان وكوريا وغيرهما .

ولقد ذكرنا في بحث سابق ان منطقة الخليج والجزيرة العربية هي واسطة التفاعل وواجهة التقابل بين العالم العربي والشرق الاسيوي بحكم موقع المنطقة الجغرافي والاستراتيجي ، ومخزونها النفطي ، وعلاقاتها التاريخية مع ذلك الشرق البعيد ، وتعاملها الحالي المتوسع مع القوة الجديدة في مجالات التكنولوجيا والتجارة والايدي العاملة الماهرة ، مع الاخذ في الاعتبار كيفية تاسيس هذا التعامل على اسس بينة ومبادىء محددة توازن بين المحاذير والايجابيات ، وتهتم قبل كل شيء بجعل العلاقة الجديدة علاقة متكافئة بين حضارتين تتبادلان الاحترام والفكر والمنفعة لصالح الطرفين وعدم قصر التعامل على طرف يمثل الانتاج والصناعة وهو الطرف الاسيوي ، وطرف يمثل السوق الاستهلاكية وهو الطرف العربي .

وطبيعي ان مثل هذه العلاقة المستقبلية ذات الابعاد المأمولة الواسعة ، لا يمكن ان تنشأ بين عشية وضحاها ، ولا يمكن ان تتعبد كل طرقها وتتضح كل معالمها في بداية التقارب والاتصال ، بل لابد من محاولات رائدة في هذا المجال تعبد الصعب ، وتستكشف المجهول ، وتزيل العقبات شيئا فشيئا الى ان يتضح للعرب طبيعة الصديق الجديد ، والكيفية الفعالة في التعامل معه ، والمدى الذي يمكن ان نصل معه إليه .

وبلا ريب فان علينا ان نعرف تحديدا ماذا نريد من صديقنا الجديد ، وماذا يستطيع ان يقدم لنا ، وماذا نستطيع نحن ان نقدم له ، لتتحدد المعالم ويتم الانطلاق على اسس واضحة .

والواقع ان حدوث الزيارتين الهامتين في شهر واحد يفتح مجددا ملف العلاقات العربية مع قوة الشرق الجديد ، بشكل يتجاوز المدى السياسي والاقتصادي ويمثل تاكيدا للطرح الفكرى الذى كان لمجلة الدوحة دوراً مبكراً في تناوله وعرضه بين منابر الفكر العربية الاخرى .

فلقد جاءت زيارة صاحب السمو امير دولة قطر لترفع مستوى العلاقة بين الخليج والجزيرة العربية والوطن العربي ككل الى مستوى التعامل في القمة ، ومن منظور استراتيجي وحضاري شامل ، ولتكون من اول المبادرات العربية الرائدة تجاه الشرق الجديد تستكشف ابعاده ، وتستكشف آفاقه ، وتعبد الطريق لمبادرات تالية في هذا المجال الجديد الخصب . والزيارة بمعناها الرائد هذا اهم من اية نتائج محددة بل ان النتائج ستتولد منها مستقبلا باوفر مما نتوقع ، على اهمية ما تمخضت عنه من نتائج على المدى القريب .

واذا كانت زيارة سمو الامير لكوريا واليابان قد ابرزت اهمية الخليج والجزيرة العربية كواسطة تفاعل وواجهة تقابل بين الامة العربية والشرق الجديد ، فان زيارة السيد ياسر عرفات للصين الشعبية قد ابرزت وذكرت بالدور الهام والمتميز الذي يمكن لقوة الشرق الجديد ان تضطلع به في دعم نضال العرب في صراعهم التاريخي مع اسرائيل والصهيونية العالمية . فقدتم استقبال عرفات في بكين كرئيس دولة . وهذا يعني ببساطة اعتراف ربع الجنس البشري بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ووقوف ربع الجنس البشري معه في نضاله ضد مغتصبي وطنه . وهذا المعنى يفتح لنا ، أو يجب ان يفتح ، ذلك المدى الخصب المنتظر لامكانية التعاون والتحالف بين العرب والقوة الجديدة من صين ويابان بغض النظر عن نظمها الخاصة بها والتى تلتزم بعدم تصديرها إلينا . والملحوظ بهذا الصدد ان الصين الشعبية تختلف عن الاتحاد السوفياتي حيث تقيم علاقات طبيعية مع اية دولة واى نظام دون تمييز ايدولوجي وهذا ما يسهل التعامل معها بغض النظر عن نظامها الداخلي . كما ان اليابان ، من جانبها ، لم تقم باي نشاط عقائدي ، ابدا كان خارج حدودها .

● ●

والقوة الجديدة تكاد تغير اليوم التوازن العالمي كله . فقد ابرزت زيارة الرئيس الامريكي ، ريغان ، للصين اهمية وخطورة الفكرة المطروحة حاليا في الغرب والتى تخيف الاوربيين وتهددهم بعزلة استراتيجية خطيرة .

هذه الفكرة تقول : ان مركز الثقل العالمي سينتقل الى حوض المحيط الهادي (الباسيفيكي) بازدياد التعاون والتعامل بين الولايات المتحدة وكندا من ناحية والصين واليابان وكوريا من ناحية اخرى . وان هذا التقارب سيحل محل الرابطة الاطلسية بين امريكا وحلفائها الاوربيين ، وسيدفع اوربا الى مزيد من العزلة لمواجهة قدرها مع جارها السوفياتي الصعب .

ان اوربا تفعل ما في وسعها لابقاء الرابطة الاطلسية حية . ولكن الاحداث والتطورات تدفع باتجاه ولادة الرابطة الباسيفيكية التى ستكون اول نموذج لظاهرة حضارية عالمية جديدة لاشرقية ولا غربية ، لا راسمالية ولا ماركسية ، بل مزيج من الشرق والغرب ومزيج من النظام الليبرالي والنظام الشمولي .

ومغزى هذا كله .. ان هناك قوة جديدة عظيمة تولد في الشرق البعيد .. القوة الصفراء التى ستاخذ لواء الحضارة من يد الجنس الابيض ان لم تكن قد اخذته بالفعل .. والمبادرات العربية اليوم تجاه هذه القوة ليست من احداث الحاضر بل من معالم المستقبل .

محمد جابر الانصاري





د . محمد الاحمد الرشيد

الأخ الدكتور محمد جـــابر الأنصارى المحترم

السلام عليكم ورحمـــة الله وبركاته ، وبعد ،

فان ما تفضلتم به من عرض دقيق وامين لموضوع صميمي وخطير مثل موضوع الاهدار التربوى فى الدراسة التى اشرتم اليها فى مجلتنا الرائدة « الدوحة » .. يفتح الباب لمناقشة أوسع حول موضوعات جسيمة الاهمية تتصل كلها بمستقبل امتنا الذى ينال منكم بلاشك كل الاهتمام .

ان الموضوعات التى يتم اختيارها لتكون محلا للدراسات .. ومن ثم للنشر .. فى مكتبكم العربى للتربية .. او تلك التى تعقد من اجلها الندوات والمؤتمرات .. هذه الموضوعات ماذا يكون مصيرها بعد صدور الدراسة .. او انتهاء الندوة .. او انفضاض المؤتمر ..

ان مواليد المكتب من منجزاتـــه الفكرية والعلمية قد تتعرض ـ لا سمح الله ـ للاعتلال ، او ربما الموت .. مهما كانت الضرورات التى توجب حياتها .. ما لم تتعهدها ايد امينة باثارة موضوعاتها على المستويات الاعلامية المختلفة .. من الصحافة المتخصصة .. وغير المتخصصة .. فى الاذاعة .. والتليفزيون .. بحيث يكفل لمثل هذه الموضوعات الحياة والنماء من .. « اهل فكر يكفلونه .. وهم له ناصحون » .. والاعلام السخى المخلص يضمن استمرار حياة مادة الموضوعات الجوهرية .. حتى يلتقطها رحم الامة ، ويستـــمر فى تغذيتها .. حتى تصبح حلولا حقيقية لمشاكلنا .. ما ازمن منها .. وما نؤمل الا يزمن !

وتتناول هذه الموضوعات بمثل ما قدمتم .. وبمثل هذا الاستصراخ المخلص « كتاب يجب ان يقراه كل مسئول .. وكل مواطن عربى » .. يمثل رغبتكم الملحة فى وضع القضية فى مركز متفاعل قوى .. وحتى تبسط اليها الأيدى والعقول .. لتصبح .. قضية عامة .. او قومية .. او محلية .. حسب اهميتها التى يراها الباحث والمفكر .. والاديب ..

وكما رايتم بحق ـ اذ ما معنى كل الجهود .. وكل الأموال .. اذا تسربت من خلال الاهدار .. ؟ ثم انك حين تتجه للانقاذ للدائرة الاوسع . وانت تتساءل عن المسئول عن التسرب والاهدار ؟ » .

كمواطنين واباء وامهات ..

● عندما نترك ابناءنـــا امام التليفزيون والفيديو لساعات طويلة .

● عندما نغرقهم بالمغريـــات الاستهلاكية .. مجانا فى عمر يافع .. انتوقع منهم احترام العلم .. ؟

● عندما نترك ابناءنا خـــلال سنواتهم التكوينية الاساسية فى يد المربيات الاجنبيات ؟

● وهل يجد هذا اليافع التماسك العائلي ؟

نعم ..

اسئـــلة اســـاسية وجهتها باستصراخك ..

ولقد عقدت ندوة .. واعد مشروع .. وطرحت دراسة ..

ففى ندوة «التربويون والاعلاميون» بحثت قضايا جد ملحة وعاجلة .. وجذرية معاصرة ومستقبلية وهى تحت الطبع بمطابع المكتب .

وفى موضوع المربيات الاجنبيات فى الخليج .. كان لنا مشروع هام .. وهكذا .. ! واننى اذ اكرر الشكر على تقديركم الكريم لدور المكتب ..

اود ان اشير انه اذا كنا نحاول القيام بابراز الاهميات للمشكلات او الموضوعات الاساسية لخير حاضر ومستقبل امتنا .. فان دوركم الرائد يكمن فى استمرار احياء هـــذه الموضوعات والقاء الضوء المستمر عليها .. حتى تتبناها الأمة باعتبارها هى جهة الاختصاص الحقيقى والنهائى فى حل هذه المشكلات .

سائلين الله أن تسترد امتنا دورها المرموق ..

والســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

اخوكم

د . محمد الأحمد الرشيد

مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض



حضارة باقية

حتى يجد خصومها البديل

بقلم: محمد الغزالي

الحضارة الغربية بشقيها الرأسمالى والشيوعى تقود عالمنا المعاصر ، وتنفرد بزمامه ، وهى حضارة نجحت نجاحا ملحوظا فى اكتشاف الكثير من قوى الكون ، وجعله طوع بنان الانسان ، يرفه به نفسه إذا شاء ، ويدافع به خصومه إذا شاء ! وما احسب الانسان على طول تاريخه بلغ ما بلغه اليوم من سيادة وتمكين فى البر والبحر والجو !

إن يده الطولى فى ميادين العلم والتطبيق امكنته من ارتقاء صناعى باهر شمل المجال المدنى والعسكرى على سواء ، وها هو ذا بعد ان قدر على الأرض يرنو الى غيرها من الكواكب .!

ولا احب ان اغض من عظمة هذا التقدم الكبير ، ولا ان اتذرع بسوء استخدامه الى النيل منه ، ان جحود النعمة رذيلة منكورة اما النعمة نفسها فشيء جميل ..

فى بعض الجراحات الدقيقة التى اجريت لى حمدت الله على تقدم الطب ، وفى بعض الرحلات البعيدة حمدت الله على تقدم الطيران بل فيما اتناول من طعام ، وارتدى من كسوة ، القدر اليسر الذى كفلته المدنية لهذا الجسد ، فلا احطاب توقد للطهو ، ولا مشقات توجد فى الحياكة ! كان كل شيء مسوق لخدمتنا ..

لكن بعض المفارقات تزعجنى ! اين يذهب الوقت الذى وفرته لى الآلات المسخرة ؟ ان رى الأرض بالطمبور قد يستغرق يوما كاملا ، ولكنه بالمضخة الصناعية ياخذ ساعة من نهار ، ترى ماذا يصنع الفلاح عندنا ببقية يومه ؟ هل كسب كثيرا عندما يقضيه فى الثرثرة واللغو .. ؟

ان انقلابا حصل فى قريتنا بعد استخدام الآلات ، كان الفلاح يصلى الفجر ثم يغدو الى الحقل يقضي فيه سحابة نهاره ، ثم يعود مع الغروب ليتناول عشاءه ، فاذا صلى العشاء لم يمكث غير قليل حتى ياوى إلى فراشه ، فاذا هو عند السحر يقظان يستغفر ربه ويتهيا لليوم الجديد !

اما الآن فهو يسهر مع التلفاز او يتابع برامج الاذاعة ، وينام عند منتصف الليل ويصحو غالبا عند مطلع الشمس ثم يذهب الى عمله

غير متعجل ، وتسعفه الات شتى على انجاز ما ينبغي !

من الخطا ان الوم التقدم الصناعى لان بعض الناس اساء استغلاله ، إن المشرفين على مسيرة المجتمع ، وبناء الاخلاق ، وضبط العادات والعبادات كان يجب ان يواجهوا هذه التغيرات بما يصون الافراد والجماعات .

ومن ثم فانا احتفى بالجوانب المادية من الحضارة الحديثة ، ولا اشارك المتشائمين منها ولا الضائقين بها ، لقد قلت ، ومازلت اكرر القول : ان الانسان ملك فى هذا العالم ، كرمه الله اكثر مما كرم غيره ، وسخر له الارض والسماء وما بينها ، وكل ما طلبه منه بازاء هذا الخير الدافق ان يعرف ربه فلا ينكره ، وان يشكره فلا يكفره .. اذلك صعب ؟؟

قال لى صديق : دعنى من تفاؤلك الساذج وتصوراتك الخيالية عن هذه الحضارة ! اتدرى ما قدمه هذا الارتقاء المادى للناس ؟ لقد انشعب العقل البشرى شعبتين ، احداهما تشتغل بالكون واسراره ولا تكترث بربه ! والاخرى تشتغل بالانسان وقواه ولا تهتم بخالقه !

ومن حصيلة الجهد العقلى هنا وهنا استبحرت ميادين المعرفة بالكون والانسان ، ومن حصيلة الجهل بالله هنا وهنا وجه البشر ثمرات العلم والتطبيق والاستكشاف والاختراع إلى تدليل الجانب الحيوانى فيهم ، وإتراف معايشهم على سطح الأرض وحسب !

تقول إن الانسان ملك مكرم ؟ إن الجنس الأبيض الذى يقود هذه الحضارة حقر الانسانية كلها يوم قطعها عن بارئها ، وشغل نفسه بعبادة نفسه ، واشباع غروره ، وتحقير غيره .. الم تقرا الاحصاءات عن موجة الجرائم التى لاتزال صاعدة ، توشك ان تتحول الى طوفان مغرق ؟ ان جرائم الاغتصاب والسطو والضياع والدنس الشاذ تزيد ولا تتراجع .

فاذا تركت الحياة الفردية الى المجتمع الدولى فماذا ترى ؟ الشعوب المستضعفة لا ترى بصيص امل ! وطالب الغلب لا يبالى فى سبيله ان يهلك الحرث والنسل ، القنبلتان اللتان دمرتا هيروشيما ونجازاكى ، وابادتا مئات الالوف من البشر . امسى منهما الوف مهياة للانطلاق فى مخازن الدمار الشامل !

اتظن مهابة الله ومخافة الآخرة هما اللتان تمنعان استخدامهما ؟ ان خوف القصاص العاجل هو الذى يقيم توازن الرعب النووى . !

قاطعت صديقى غير غاضب ، وقلت له : ما اختلفك فيما تصف ، من شاء الثناء على الحضارة الحديثة وجد بواعث المديح ! ومن شاء هجاءها وجد بواعث الملام ، واوثر ان اكون منصفا فى ذكر مالها وما عليها ..



الشيخ محمد عبده



احمد عرابى



جمال الدين الافغانى

الخديوى توفيق

لقد قرات ما كتبه الدكتور يحيى الرخاوى عن حضارة الغرب ، وعن المتدينين الذين يحلمون بوراثتها بعد زوالها ، او بعد انتحارها ، وضحكت طويلا من عباراته اللاذعة وهو يحصى محاولاتهم الطفولية لاحتواء هذه الحضارة !

ومع انى لم اوافق الأستاذ الرخاوى فى ثقته المطلقة بهذه الحضارة ومستقبلها المديد إلا انى احترمت صدقه القاسى وهو يلمز الورثة المترقبين ويجتاح تكاسلهم وتناقضهم ..

لقد اتصل بنا الاوروبيون من بضعة قرون ، وجاسوا خلال ديارنا يعربدون كيف شاءوا ، كانوا للأسف يمتدون فى الفراغ الذى نشا لا لاننا تخلينا عن قيادة العالم ، بل لاننا عجزنا عن قيادة انفسنا ! كانت الامة الاسلامية تهوى من اعلى السلم وكان يسمع لتدحرجها على درجه دوى رهيب .

وفى الوهدة التى انتهينا إليها كنا نعانى من محن ثقافية وسياسية لا حصر لها .. كنا — مدنيا وعسكريا — جديرين بالهزيمة ، بان نقاد ولا نقود ، بان نمشى خلف الآخرين لا ان نتصدر القافلة العالمية كما كان اباؤنا الكبار .. !

ذلك ان العقل الاسلامى الذى كان يألف الحرية ويأنف من التبعية ، والذى كان يحسن البحث والموازنة والاستنباط والرؤية عن بعد ! هذا العقل انطفأ وهجه ، وذهبت حدته ، وكاد لا يرى !

من ايام كنت اسمع فى إحدى الاذاعات كلاما فقهيا فى ثبوت النسب ، قال المتحدث : إذا طلقت المرأة فان الولد الذى تضعه خلال اربع سنين يلحق الزوج المطلق (!) فراجعت متخصصا فى الموضوع فقال لى : هذا هو المذهب ! قلت له ثبت علميا استحالة بقاء الحمل اكثر من عشرة شهور فكيف يبقى حملها من زوجها الأول هذه السنوات الأربع ؟ قال : هذا هو المذهب ! قلت : الذى اعرفه انه لا سناد لهذا الكلام من كتاب او سنة او قياس او ادلة اخرى ! وإذا كان الفقهاء اعتمدوا هذا الحكم من اقاويل شائعة على الافواه ، فما يجوز ان يبقى بعد ثبوت خطئه ! قال : هم يؤثرون تقليد شيوخهم عما تراه انت او غيرك .. !

وعدت الى نفسى اندب العقل الاسلامى الأول الذى يستمع القول فيتبع احسنه ، والذى يتوعد بالنكال الجامدين على مواريث الخطا . لأنه وعى قوله تعالى « وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا اباءنا على امة وإنا على اثارهم مقتدون . قال : اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم ؟ قالوا : إنا بما ارسلتم به كافرون . فانتقمنا منهم .. » ..

اجل فالعقل الانسانى عندما يصل إلى هذا الدرك يفقد احترامه ، ويعز عليه تقرير حقيقة ، او ضمان مصلحة ، او إقامة عدل ..

ونترك المجال الثقافى إلى المجال السياسى الذى كانت امتنا تتحرك داخله من بضعة قرون ، كانت السياسة الداخلية للأمة الاسلامية شديدة الاضطراب ، بل لم يعرف لها محور شرعى تدور عليه !

لقد تعود المسلمون ان يباغتوا باسماء وصفات حاكميهم ، وان يستقبلوهم استقبال الأقدار النازلة إن خيرا فخير وان شرا فشر ! والناس يجيئهم الغيث فيفرحون به ويحمدون الله عليه ، ويصيبهم الجفاف فيعبسون ويحزنون ، ولا شيء لديهم إلا ان يقولوا « إنا لله وإنا إليه راجعون » ..

الجماهير لا شان لها إن هبت الريح رخاء او هبت عقيما ، وفى ذلك يقول الشيخ محمد عبده (١) واصفا حال مصر قبل مجيء جمال الدين الافغانى : إن اهالى مصر قبل سنة ١٢٩٣ هـ كانوا يرون شئونهم العامة والخاصة ملكا لحاكمهم الاعلى يتصرف فيها حسب إرادته ويعتقدون ان سعادتهم وشقاوتهم موكولتان إلى امانته وعدله او خيانته وظلمه ، وليس لأحد راى يحق له ان يبديه فى إدارة البلاد او اقتراح يتقدم به لصلاح الأمة ، الناس مصرفون فيما تكلفهم به الحكومة او تضربه عليهم .

نقول : وعندما تقدم احمد عرابى الى الخديوى توفيق يطلب منه قدرا من الكرامة والحرية لشعب بائس ، كانت إجابة الخديوى له ما انتم إلا عبيد إحساناتنا !!

وتدخل السفير الانكليزى فى الحوار المؤسف ناصحا احمد عرابى ان يكون مؤدبا مع سيده !

ذلك هو موقف الحضارة الحديثة فى إرساء العلاقات بين الجماهير والرؤساء ، او ذلك هو مسلك الحضارة الانسانية النبيلة فى معاملة العرب خاصة والمسلمين عامة ..

إنها حضارة ذكية بلاريب ، جميلة بلاريب ، لكن مذاقها مر ، وكيدها سيىء ، كانها المرأة اللعوب مى التى وصفها الشاعر بقوله :

على وجه مى مسحة من ملاحة
وتحت الثياب الخزى ، لو كان باديا
الم تر ان الماء يكدر طعمه
وإن كان لون الماء ابيض صافيا ..

وكلمة الخديوى توفيق للقائد المصرى عرابى هى ترديد لكلمة فرعون قديما عندما صاح بقومه « ماعلمت لكم من إله غيرى » او « انا ربكم الاعلى » ، وإلى هنا والصورة لا تعدو إبراز طاغية امهله القدر اولا ثم اهلكه اخيرا ..

غير اننا من وجهة النظر الاسلامية نتناول الموضوع من ناحية اخرى ، ناحية لها ابعادها الرهيبة ! فان بعض « المتدينين » يعد عرابى خارجا على السلطة ناقضا للبيعة الشرعية (!) ويعد الخديوى أهل الولاء والطاعة !

هذا الصنف من المتدينين يحارب « المثل العليا » فى الحضارة الحديثة بتبنى الأسلوب الخديوى وإضفاء الطابع الاسلامى عليه ، وهو لا يدرى شيئا عن حقوق الشعوب او حقوق الانسان ، وعن اسس الشورى والبيعة والمساءلة التى عرفت مذ عهد الخلافة الراشدة .. !

من المضحك ان يتقدم هذا النفر من الناس بحضارة بديلة فى ميدان العلاقات الانسانية كما انه من المضحك ان يتقدم المقلدون العميان بحضارة بديلة فى ساحات الابداع والكشف .

وماساة الاسلام تكمن فى ان ناسا يتقدمون بتقاليد الشعوب على انها تعاليم الوحى ، بل انهم يتقدمون بالاخطاء التاريخية على انها توجيهات سماوية .

وستبقى الحضارة الحديثة حاكمة ما بقي هؤلاء يدعون ويكابرون ، ولن تصح مسيرة العالم إلا بعودة الاسلام ذاته على ايدى أولى الألباب ، ومن لهم قلوب ..

اظننى بعدما حاسبت نفسى بصرامة ، ونقدت الجبهة التى انتمى إليها ـ او احسب عليها ـ غير ملوم إذا نقدت الحضارة الحديثة ، ونبهت الى بعض مآسيها او معاصيها .. ؟

فليست هذه الحضارة على مستوى الاحترام الذى تطلبه لنفسها او يطلبه لها عشاقها .. ! ابادت فى صمت ، ولا تزال تبيد اجناسا بشرية ضعيفة ..

وسكان استراليا القدماء يختفون الآن قبيلة بعد قبيلة او فردا بعد فرد امام تفوق الرجل الأبيض الذى يشيع بينهم اردأ انواع الخمور لتاتى عليهم ، وماحدث لسكان امريكا الأصليين يحدث الآن لهؤلاء السكان ، الرجل الأبيض يحسن ان يقول : انا وحدى ! ومن لم يخدمنى فالويل له !

واعتقد ان حرب الافيون فى الصين اوائل القرن الماضى كانت بداية خطة لمثل هذا الافناء ، لولا ان الصينيين استيقظوا قبل ان يقضى عليهم !

هل لى ان الفت النظر الى ان الفاتحين العرب ذابوا فى السكان الأصليين بعد ان قدموا الاسلام لهم ؟ وصلوا وراءهم مأمومين فى المساجد وجلسوا بين ايديهم متعلمين فى المدارس ؟ ان الاسلام ارتباط عالمى بالله وليس تفوق جنس يريد لذاته الاستعلاء .. وذلك فرق كبير بين حضارتين ..

الجنس الأبيض الآن احسن زراعة

الارض ، ولكنه يفضل حرق المحاصيل عن بيعها رخيصة ، او اهدائها للجياع .. وهو يكرع انهاراً من الخمر ، ويدع الشعوب المتخلفة تشرب الماء ممزوجاً بالطين ، ولتذهب إلى الجحيم ..

لا بأس ان تمرح تحت اقدامه شعوب من الخدم ، اما ان ترنو إلى ابعد من ذلك فلا يجوز ..

ومن سنن الله ان يدع هذه الحضارات تحصد ما تزرع ، وتلقى ما قدمت « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله ، إن الله لا يخلف الميعاد » .

إننا ما ننكر التفوق الغربى فى النواحى السياسية والاجتماعية ، لكن فضائل الديمقراطية محظور تصديرها للخارج ! وإننى اغبط اسرة الدول الأوربية الغربية على اختفاء الحكم المستبد من ربوعها ، وعلى استقرار المجالس التشريعية ، وتنفس كل انسان فى جو من الحريات الموطدة وتنافس الملكات الذكية فى الخدمات العامة .

إن المظالم فردية كانت او اجتماعية مرفوضة رفضاً قاطعاً ، والرقابة على المال العام صارمة ، وإحساس كل امرئ بامتداده ليس امامه عائق .

الشيء المستغرب ان حملة هذه الحضارة يحتكرون الصنف لانفسهم ! وتنقلب موازينهم عندما يعاملون غيرهم . ولذلك كان الاستعمار العالمى ولا يزال سبة فى وجه هذه الحضارة ..

وسر هذا الارتكاس فراغ القلوب من الايمان ، والتفرغ لانتهاب اليوم الحاضر ، فلا امل فيما بعده ، وشرق اوربا وغربها سواء فى هذا السعار المادى الغالب . الفارق بين الجانب الشيوعى والجانب الصليبى ، ان الماركسيين صرحاء فى كفرهم بالله واليوم الآخر ، اما الجانب الآخر فالتدين شكل لا موضوع له ، والناس يمشون وراء اهوائهم وحدها ، وسوادهم الاعظم يعرف الارض وينكر السماء ، ويريد جنة هنا ولا تعنيه جنة فى عالم الغيب .. !

إن اوربا للاسف تعرف الدين عملياً عندما يقع النزاع بين العرب واليهود ؛ او عندما تريد توسعة املاكها وراء البحار ، وتشد عربات كثيرة فى قاطرتها المنطلقة !! إنها عندئذ تجتر ذكرياتها التاريخية ضد الاسلام ، وتنسى الصدق والعدل فى كل قضية للعرب والمسلمين ، ولا تبـــالى بمستقبل الفلسطينى التائه ، او الافغانى المحروب ، او امثالهما من الجماهير التى وقعت فى براثن الاستعمار ، وكانت تعتنق الاسلام ..

وقد نبه المستشار الدكتور فتحى لاشين الى الضغن المكنون فى افئدة المستعمرين ضد الاسلام وامته قائلا (٢) : « اكتفى بمثالين ينضحان بهذا الغل ويكشفان عن اثاره : الأول لمسئول فى وزارة الخارجية الفرنسية سنة ١٩٥٢ قال : العالم الاسلامى عملاق مقيد ، لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً ، وهو حائر قلق ، ضائق بتخلفه وانحطاطه وإن كان يعاني من الكسل والفوضى .

غير انه راغب فى مستقبل احسن وحرية اوفر ؛ وعلينا ان نبذل كل جهودنا حتى لا ينهض ويحقق امانيه ؛ ذلك ان فشـــلنا فى تعويق نهضـــته يعرضنا لاخطار جسيمة ، ويجعل مستقبلنا فى مهب الريح .. إن صحوة العالم العــــربى ، وما يتبعه من قوى اسلامية كبيرة نذير بكارثة للغرب ونهاية لوظيفته الحقيقية فى قيادة العالم ! .

والمثال الثانى ننقله عن « يوجين روستو » رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الامريكية ، ومستشار الرئيس جونسون فى الستينات يقول : « لا تستطيع امريكا الا ان تقف فى الصف المعادى للاسلام ، اى الى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية ؛ لأنها ان فعلت غير ذلك تنكرت للغتها وفلسفتها وثقافتهـــا ومؤسساتها .

« ان هدف العـــالم الغربى فى الشرق الأوسط ـ هكذا يقول مستشار الرئيس الأسبق ـ هو تدمير الحضارة الاسلامية ، وان قيام اسرائيل جزء من هذا المخطط ، وليس الا استمراراً للحرب الصليبية » !!

والغريب اننا نسمع فى هذه الايام وعوداً كثيرة لمرشحى الرياسة فى الولايات المتحدة تمنى اليهود بمزيد من المكاسب والغنائم ، على حساب العرب بداهة . فاين مواثيق حقوق الانسان ؟ واين الضمانات التى يمثلها قيام هيئة الأمم المتحدة للمحافظة على جميع الشعوب ؟ ذلك كله مالم يكن العرب او المسلمون طرفاً فى صراع ما ..

اما إذا كان الحيف واقعاً على شعب مسلم او شعب عربى فقد امسى للقضية وجه اخر ! هنا تتحول الحرية الى عبودية ، والمدنية إلى همجية ، والويل للمغلوب .. !

فهل يلام المنكوب إذا تربص الدوائر بالمعتدين ؟ وهل يهزأ به إذا ساء بالحضارة ظنه ؟ ان عدداً من عقلاء الغربيين اخذ يرسل اشارات الخطر لقومه وينبههم إلى سوء المصير ..

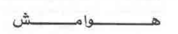
ومن الغباء ان نطوى حضارة ما لدنانى بشر منها ، فعلام الهدم والبناء ؟ ولست اتخيل احداً يبغى استبدال الـــدواب بالطائرات ! الخلاف حول الانظمة الخلقية والاجتماعية وما يساندها من عقــــائد ، والشعور السائد ان الحضارة الحديثة تسيء اكثر مما تحسن ، وتظلم اكثر مما تعدل ، ويعنى ذلك الشك فى اهليتهـــا للبقاء ! .

فهل يقدم الاسلاميون تصوراً افضل من الناحية النظرية للبديل المطلوب ؟

لا اجيب بالنفى ولا بالاثبات ، وإنما اقول : إن التبديل سوف يقع حتماً عندما يوجد الأقدر على القيادة والأولى بالصدارة والانفع للناس ..

وكيف يوجد ؟ ذاك ما نحاول الاجابة عليه ان شاء الله .

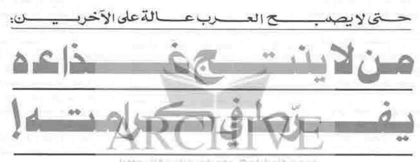
محمد الغزالى



هـــــوامـــــش

(١) من زعماء الاصلاح لاحمد امين باختصار .
(٢) الاقتصاد الاسلامى ص ٣٢ .

النهضة العربية لن تحدث بين يوم وليلة ، ومجتمع الغد الذي سوف يعيش فيه أحفادنا ويعتبرونه نتاجاً لأعمالنا ولجهودنا لن يهبط فجأة من السماء ، أو تنشق عنه الأرض . فحدوث هذه النهضة وشكل مجتمع الغد يتوقفان على ما نقوم به اليوم ، على ما نتبناه من استراتيجيات وما نتخذه من قرارات ، وما نقوم به من اختيارات كبرى تحدد مسارات المستقبل لنا ولأولادنا . ومن أخطر هذه الاختيارات موقفنا من الثورة العلمية والتكنولوجية التي تطرح ظلالها علينا اليوم ، وستكون العامل الأساسي في تحديد مكانة كل مجتمع ودوره في المستقبل ، وأمامنا الخيار هل نريد للغد العربي ان يكون عالة على العالم ، مستضعفاً من الأقوياء ، ومستورداً منهم لسلاحه ولغذائه ، أم نريده مشاركاً في صنع الحضارة ، عزيزاً مهاباً من الجميع ؟
أمامنا الخيار فماذا نريد نحن العرب ؟



حتى لا يصبح العرب عالة على الآخرين :

من لا ينتج غذاءه يفرّط في كرامته !

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

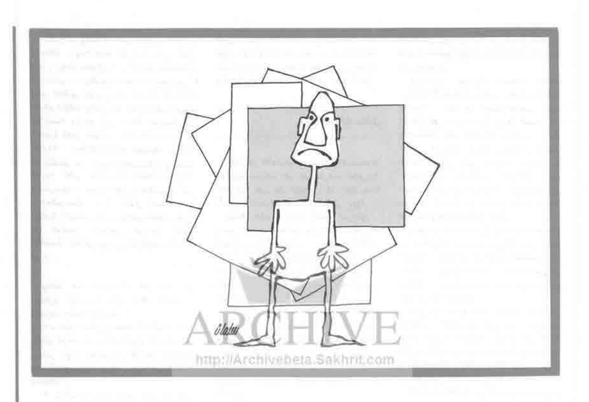
تحدثنا في عدد من المقالات عن أبعاد الثورة العلمية والتكنولوجية التي تغير وجه عالمنا المعاصر . فتناولنا ثورة الذكاء والتغيرات الهامة التي تحدث في عالم التعليم ، وكيف يعتبر الذكاء قدرة اجتماعية يمكن اكتسابها وتطويرها وتنميتها ، وتحدثنا عن ثورة المعلومات والاتصالات التي تصنع الاساس التكنولوجي للانتقال السريع للأنباء والمعلومات وما يترتب على ذلك من تصورات مشتركة ومن فرص للاحتكاك الثقافي ، وللتغلغل . وناقشنا ثورة الهندسة الوراثية والآفاق التي تطرحها في مجالي الزراعة والصناعة ، والتقدم الهائل في صناعة « الربوت » ، أو الانسان الآلي ، والتكنولوجيات الجديدة في زراعة الغذاء ، واشكال الزراعة الحديثة .

والحديث عن هذه الثورة العلمية والتكنولوجية ليس تبشيراً بعالم خيالي أو من قبيل « اليوتوبيا العلمية » ، بل ان مظاهر هذه الثورة وآثارها تتدفق علينا وحولنا من كل جانب في شكل منتجات واجهزة ومعدات حديثة . فعلى سبيل المثال قام تلفزيون قطر بعمل حوار الكتروني بين الدوحة وواشنطن اشترك فيه الدكتور وليم كوانت الذي عمل في مجلس الأمن القومي الامريكي في عهد الرئيس كارتر . وفي ابريل ١٩٨٢ تم حوار مباشر بين القاهرة وست مدن امريكية (نيويورك وشيكاغو ومنيابوليس ، وبوسطن ، ولوس انجلوس ، وسان فرانسيسكو) عن طريق الاقمار الصناعية . تم فيه حوار وتبادل وجهات النظر بين ما يقرب من ٧٠٠ رجل اعمال امريكي وعدد من المسئولين المصريين حول فرص ومحاولات الاستثمار في مصر . وهكذا سمحت تكنولوجيا الأقمار الصناعية بعمل ندوة يجلس المشاركون فيها في اماكن تبعد ٧٠٠٠ ميل عن بعضها البعض .

وتزايد اثر ثورة الالكترونيات في حياة البشر من خلال التقدم الكبير في عالم التليفونات واستخدام التليفون للاتصالات الدولية ، ورخص اسعار حاسبات الجيب الالكترونية والساعات الالكترونية . كما اصبح للالكترونيات الدور الحاسم في مجال الدفاع والجيوش ، فاجهزة الطائرات وانظمة الدفاع الجوي والتصويب وتوجيه الصواريخ والرادار تعتمد كلها على مكونات الكترونية .

سمات الثورة العلمية

وتتسم هذه الثورة باربع سمات :



اولها : السرعة وتلاحق التجديد والاكتشافات؛ فنحن ننسى اليوم ان جهاز المذياع مثلا لم يكتشف الا منذ خمسين سنة فقط ، وان التلفاز احدث ضجة شديدة عندما ظهر من خمس وعشرين سنة . وهكذا فان المدى الزمني لكل ثورة تكنولوجية وصناعية يضيق باستمرار ، فاذا كان على العالم ان ينتظر ما يقرب من ١٨٠٠ سنة حتى تبدا الثورة الصناعية الاولى ، فانه دخل الثورة الثانية بعد مائة عام فقط ، والثالثة بعد ربع قرن ، وهو الآن على مشارف ثورته الرابعة بعد عشر سنوات فقط .

وثانيها : ان هذه الثورة تعتمد في المقام الاول ليس على الصناعات الثقيلة او صناعة الآلات والمعدات والسيارات ، كما فى الثورات السـابقة ، وانما اساسا على نتاج العقل الانساني ، وحصيلة الخبرة والمعرفة . لذلك فانه عند تقدير ثمن منتج ما فان الجزء الاكبر يذهب ليس كثمن للمواد الخام ، التي دخلت في عملية التصنيع ، ولكن للمعرفة وللتكنولوجيا المستخدمة .

وثالثها : لان العقل البشري هو قوام الثورة التكنولوجية الراهنة ، فان مواجهة هذا التطور تستلزم استثمارا رئيسيا فى التعليم ، وفى تطور المهارات البشرية ، وتنمية كوادر وقدرات تستطيع التعامل مع احداث وتطوير منتجات هذه الثورة .

ورابعها : ان هناك عددا من المجالات الحاكمة لهذه الثورة ، وعلينا ان نتابع التطور فيها الآن ، وهي تكنولوجيا الفضاء (استغلال الطاقات البديلة والطاقة الشمسية) ، والهندسة الوراثية ، وثورة المعلومات الناتجة عن تزاوج نظم المعلومات مع الحاسب الآلي ، وتكنولوجيات انتاج الطعام ، والربوت اى احلال الآلة محل الانسان فى المجال الميكانيكي .

نحن والمستقبل

فى هذا السياق ازداد الاهتمام بدراسات المستقبل ، وبشكل العالم في السنوات القادمة مع مشارف القرن الحادي والعشرين وقد ظهرت في السبعينات عدة دراسات تقدم نماذج للتطور العلمي ، اولا الدراسة التى اشتهرت باسم : « تقرير نادي روما » وعنوانها : « حدود النمو » ، والتي القت ظلالا من الشك والتشاؤم حول

من لا ينتج غذاءه يفرط في كرامته!

المستقبل . واشارت الى نضوب الموارد والطاقة . وتلا هذه الدراسة تقرير اخر لنادي روما بعنوان : « اهداف للمجتمع الانسانى » . وتقرير مجموعة باريلوتشي ، وهو التقرير الذى يمثل اسهاما لاساتذة العالم الثالث والذى تم اعداده فى امريكا اللاتينية وترجم الى اللغة العربية فى القاهرة تحت عنوان « عالم جـــديد او الكارثة » . وهناك نموذج ليونتيف ، الذى تم بتكليف من الامم المتحـــدة ، واعتمد فيـــه على تحليـــل المدخــــلات والمخرجات . وهناك اخيرا التقـــرير عن « العالم سنة ٢٠٠٠ » الذى اعدته لجنة برئاسة الأستاذ بارنى ، والتى شكلت بقرار من الرئيس الامريكى لدراسة تطور الاقتصاد العالمى ووضع الولايات المتحدة فيـــه .

وتتفق هذه الدراسات على عدد من النتائج الرئيسية حول شكل العالم ، نوجزها اجمالا فيما يلى :

١ ـ نمو السكان وانماط الاستهلاك على النحو الراهن فى عالم اليوم لا يمكن ان يستمر ، وان العالم مع افتراض استمرار هذا النمو سوف يواجه بازمة فى الغذاء والطاقة .

٢ ـ انه لا يوجد سبب فنى او تقنى يحول دون الوفاء بالاحتياجات الاساسية لمعظم البشر فى العالم الآن او فى المستقبل وان العجز عن الوفاء بهذه الاحتياجات مصدره اسباب سياسية واجتماعية ، وليس بسبب نقص الموارد ، وان انماط الاستهلاك فى البلاد المتقدمة يجب ان يعاد النظر فيها على ضوء استهلاك الموارد والطاقة .

٣ ـ ان استمرار السياسات الاقتصادية والممارسات التكنولوجية الحالية فى العالم المتقدم سوف تقود الى ازدياد الهوة بين الاغنياء والفقراء ، وإلى تفاقم مشاكل اهدار الطاقة ، ونضوب الموارد ، وتلويث البيئة . وان مجمل البرامج والسياسات المتبعة فى عديد من الدول المتقدمة والنامية لا تعكس فهما لمشاكل الغد ، ولا تعد هذه المجتمعات لمواجهة تحدى المستقبل .

٤ ـ انه بسبب تعقد مشاكل الغد ، وازدياد ترابطها وتداخلها ليس فقط داخل المجتمع الواحد ، ولكن ايضا بين المجتمعات والدول ، اصبح من الضرورى تبنى النظرة الشاملة ، والاستعداد منذ اليوم لمواجهة مشاكل الغد ، وان القرارات التى ستتخذ الآن سوف تكون اكثر فعالية واقل تكلفة عما لو اتخذت فى وقت لاحق .

العرب والمستقبل

واذا كان الاهتمام بالمستقبل والاستعداد لمواجهة مشاكله هو امر تفرضه تطورات الأحداث على كل الدول ، فان اوضاعنا العربية تستدعى منا نظرة اكثر روية .

فهناك التحدى الذى تمثله اسرائيل ، والتى لابد من التامل فى دلالات تطورها الصناعى والتكنولوجى ، وتركيزها المكثف بالذات فى مجال الالكترونيات ، الـــذى تعرضنا لاهميته من قبل ، والذى يمثل احد العناصر الحاكمة فى الساحة التكنولوجية المعاصرة .

وهناك تحدى الغذاء لكل الدول العربية على ضوء التنبؤ بازمة الغذاء العالمية ، وبالذات فى الدول كثيفة السكان وقليلة الموارد ، وعلى ضوء العجز المتزايد الذى ظهر فى السبعينات فى هذا المجال ، وازدياد استيراد العرب لغذائهم من الخارج .

وهناك تحدى الاستعداد لحقبة ما بعد النفط فى المنطقة العربية . وتداعيات ذلك ليس فقط على الدول النفطية العربية ولكن على الدول الأخرى التى اعتمد اقتصادها بدرجة كبيرة على تدفق التحويلات الراسمالية من ابنائها العاملين فى الخارج كاليمن الشمالى والأردن ومصر .

ونقول ان المستقبل لم يعد امرا مفروضا على المجتمعات ، كما انه لم يعد مجالا للخرافة او التفكير الخيالى ، وانه يمكن للبشر معرفة المعالم العامة له ، ومساراته المحتملة ، وان يكون لهم دورهم فى صنع المستقبل وبناء مجتمعاتهم بالشكل الذى يمكنهم من مواجهة تحديات الغد .

لقد قال سقراط مرة:ان المعرفة فضيلة . ويقال اليوم:ان المعرفة قوة . فمعرفتنا باحتمالات التطور فى المستقبل تمكننا من الاستعداد له . واذا اردنا ان ناخذ مثلا واحدا فى هذا الصدد . فان ما ياتى الى الذهن مباشرة هو موضوع الغذاء وضرورة البدء فى ثورة زراعية فى الوطن العربى حتى نستطيع الوفاء بالاحتياجات العربية من الحبوب .

وموضوع مواجهة مشكلة الغذاء مواجهة صحيحة يتطلب نظرة متكاملة وشاملة . فهو من ناحية يفرض علينا الدخول في مجال بحوث زراعة الصحراء ، والاستفادة من تجاربنا وتجارب الدول الأخرى في ذلك . وربما ان الاوان لانشاء جامعة تركز على بحوث الزراعـــة الصحراوية وأساليب الزراعة التي تستخدم اقل قدر من الماء .. وترتبط بذلك دراسات البحث عن مصادر مائية جديدة للزراعة وبحوث تحلية المياه .

وهو من ناحية اخرى يتطلب الاستفادة من انجازات هندسة الوراثة في مجال الزراعة ، وبالذات فى مجال التبكير بنمو النبات ، وزيادة ناتجه ، والتحسين من نوعيته ، وزيادة قدرته على مواجهة قلة الماء او جو الصحراء .

وهو من ناحية ثالثة يتطلب النظر في التنظيم الاجتماعي للزراعة ، ويتطلب تكامل الموارد العربية . فهنالك من يمتلك الموارد المالية ، واخر يمتلك الخبرة البشرية والتكنولوجية ، وثالث يمتلك مئات الآلاف من الأراضي القابلة للزراعة .

ونريد أن نقول ان من لا ينتج غذاءه يفرط في كرامته . وان الاعتماد على الخارج في مجال الغذاء يعطي الاخرين قوة ضغط هائلة علينا .

والمطلوب منا ان نُدخِل بُعْدَ المستقبل في تخطيطنا للأمور ، وان نتجاوز النظرة التي تعود بعضنا عليها ، وهي الا ننظر الى ما هو اكثر من مواقع الاقدام . من الضروري ان نتجاوز ما هو عاجل وآني وان نضع في حساباتنـــا ظروف المستقبل وازمـــاته وضغوطه .

وعلينا ان نعرف انه اذا لم نخطط نحن لستقبلنا فلسوف يخططه لنا الاخرون ، وان التفكير والتخطيط للمستقبل هو ايضا بداية التاثير في شكل هذا المستقبل . وان الذين يثيرون اسئلة حول المستقبل ، ويخططون وفقا لذلك ، هم الذين يصنعون المستقبل .

فهل نحن من هؤلاء ؟

علي الدين هلال



مرافعة في أغرب قضية عرفها الإنسان

بقلم: فتحي رضوان

اكتشفت احدى الشركات الكبيرة التى يتسع نشاطها لعدد من القارات ، أن المعلومات التى غذت بها اجهزة الكمبيوتر ، والتى تتضمن تفاصيل مشروعات المستقبل التى سيتكلف تنفيذها البلايين من الدولارات أو الجنيهات ، قد سطت عليها شركة منافسة ، فاصبحت قادرة على ان تسبق الشركات الاخرى بتنفيـــذ تلك المشروعات ، وبالوقوف على كل هـــذه المعلومات التى انفقت الشركة المجنى عليها الجهد والمال فى سبيل الوصول إليها .

وقد كان لهذا الاكتشاف دوى فى جميع دوائر المال والصناعة والجاسوسية العلمية والسياسية . فقد ادركت الشركات العظمى والمؤسسات الكبرى ، والدول ذات الحول والطول ، ان اخطر اسرارها واولاها بالصيانة ، واحقها بالحراسة ، مهددة بالكشف والسطو والضياع ، وبالتالى تصبح هى مهددة بالمخاطر ذاتها .

وقد استولى على زعماء المال والصناعة والبحوث العلمية والتخطيط هم مقيم ، لانهم ادركوا انهم معرضون لخطر يجعل كل ما يعملونه حمى مستباحا ، مما يحيل ثمار حياتهم إلى اسلاب وغنائم لا يكاد ينفع فى حمايتها لا جيش ولا حرس .

والخبر الذى نقل الينا تفاصيل هـــذه الكارثة لم يخبرنا بما اذا كانت الشركة المجنى عليها ، قد ابلغت النيابة بنبا هذا السطو ، فطلبت تعقب الجناة وإنزال العقاب بهم ، ثم تعويض الشركة التى نزل بساحتها هـــذا المصاب بالبلايين المساوية للخطر والمتكافئة مع الضرر .

وقد اجتمعنا ذات يوم ، وفينا المحامى ورجل القضاء وعلماء الكمبيوتر والادباء واساتذة الطب النفسى ، فتداولنا على سبيل السمر وإزجاء الفراغ فى هذه القضية الفريدة غير المسبوقة ، فتباينت الآراء ، وتناءت التصورات فمن قائل انه ليس فى الامر جريمة ، لان ما احتوته هذه الالات ، ليس سوى علم خالص ، مما يجب أن يكون مشاعا بين الناس ، وان ترتيب هذا العلم على نسق معين لا يحيل هذا العلم الى ملك خاص ، يحمى من الآخرين بالقانون والعقاب والمحاكمة .

ومن قائل إنه ليس هناك علم ، وانما هناك تبويب وتصنيف وتحليل ، وهدف مقصود ، وغاية منشودة ، فاكثر ما وصلت اليه الانسانية من حقائق ضخمة غيرت مسار الحياة وصنعت ما نشهده من معجزات فى الارض والسماء ، وتطورات فى الماء والهواء ، وثروات مشتقة من اجرام صغيرة ، وعناصر حقيرة ، ليس سوى التصنيف الذى يصنع حقا من الحبة قبة ، ومن الذرة غير المنظورة دنيا مهولة .

وقال ثالث ان الحيـــازة والتملك والاستئثار افات تخرج منها أعظم الشرور التى تتصاعد حتى تصبح حروبا تستمر الدهور ، ويتداول انباءها الانسان طوال العصور ، فمن الخير ان يصبح كل شىء

ملكا للجميع ، ولنبدا بما هو علم ، ليسبق الخير الشر ، ولينحسم الحقد بغير خصومة او قضاء .

ثم اقترح مقترح ان نتصور قضية ترفع من الشركة المجنى عليها ضد الشركة الجانية ، ومرافعة من الجانبين ، ثم حكما يصدر بين المتنازعين ، فجرى الامر على الصورة التالية .

على انه قبل ان تنعقد المحكمة ، وتجرى المحاكمة ، اختلفنا فيمن يسند اليه شرف القضاء فى هذه القضية ، فمن قائل انها قضية علم ، فيجب ان يحكم فيها خمسة أو سبعة من العلماء الذين حصلوا على (إجازة نوبل) ، فاعترض معترض لان جائزة نوبل لم تعد جائزة علمية ، فقد تحولت الى مؤسسة سياسية ، واصبح الحائزون على مكافاتها يمثلون جانبا من الراى الذى انقسم الى معسكرين ، وبذلك بطلت الثقة فى ابطال مؤسسة نوبل ، ووجب ان نختار المحكمين من العالم الثالث الذين استفاضت شهرتهم وعلت سمعتهم ولو لم يحصلوا على جائزة دولية او رتبة عالمية . وقبل الجميع هذا الراى .

الا ان بعض الجالسين قال اننا ما دمنا قد اتفقنا على ان القضاة سيكونون من العالم الثالث فلا باس من ان نضيف اليهم رجالا من علماء الاقتصاد ورجالا من رجال المباحث الدولية ، ليحققوا فى الجانب الجنائى من القضية مع بعض رجال القانون ليبصروا المحكمة بالاجراءات الصحيحة وطريقة الاستدلال القضائية السليمة ، واسلوب كتابة الاحكام . وارتضى الجميع هذا الراى ، وانعقدت المحكمة .

وبدا رئيس الجلسة بالمناداة على ممثل الشركة التى قامت بتقديم البلاغ . وسال القاضى وهو عالم كبير فى الهند فقال ممثل الشركة الشاكية :

لقد ثبت لدينا بالدليل القاطع ان البرامج التى اعددناها لسنوات ، وانفقنا فيها المال والجهد لعدد ضخم من مشروعات الصناعة والاقتصاد والزراعة العظمى التى نرجو ان تعود بالخير على الانسانية كلها ، قد سطت عليها الشركة الجانية ، ووضعت اليد عليها ، وهى لا تملك الخبرة ولا القدرة الادارية ولا الموارد المالية ، ولا النظرة العالمية التى وصلنا اليها ، وحصلنا عليها خلال قرن كامل من الدراسة المتصلة ، والتجارب التى كلفتنا بلايين من الاموال ، فى اشق الظروف واقساها فى مناطق لم تطاها قدم ، ولا يدرى احد ما تخبئه فى باطنها . ولم يكن تحقيق الربح الهائل هو الهدف ، لأن ما انفقناه فى الماضى ، وما ننفقه الآن وما سننفقه فى المستقبل لا يمكن تعويضه قط فى جيل واحد او اجيال ونحن راضون باحتمالات الخسارة ، وقانعون بمخاطر مشروعاتنا وما قد تجره علينا من متاعب لا اول لها ولا اخر .

رئيس المحكمة : ـ ماذا تعنى بالمتاعب ؟

المحامى : ـ وهو ايضا عالم كبير ينتمى لدولة فى الغرب ـ لقد قصدت يا سيدى القاضى ان استعمل لفظ متاعب ، فان ما نتعرض له فيما نسميه « مشروعات المستقبل » له ردود فعل مروعة . فنحن نعمل فى مناطق قاحلة لا يسمع عنها احد ، ولم تهتم بها حكومة ولا جماعة ، والوصول اليها بالقطار او السيارة دونه خرط القتاد حقيقة لا مجازا ، والوصول اليها بالطائرة مجازفة بالحياة نفسها ، فلا مطار بها ، ولا ابسط مقومات الحياة الاساسية ، وقد تكون المنطقة التى نرتادها لأول مرة بالنيابة عن الجنس البشرى كله ، استوائية ترتفع بها درجة الحرارة الى خمسين درجة مئوية ، ويملأ جوها حشرات طائرة وهوام لم يدر بها عالم ، ولم يصفها كتاب . وقد تهاجمنا فيها اذا نصبنا خيامنا وحوش كاسرة ، وقد نحسب اننا نقيم على ارض صلبة ، ثم يتضح بعد حين اننا عسكرنا فوق مستنقع تغطيه طبقة ترابية خداعة ، واوراق نباتات فطرية . ولهذا فما نجمعه من معلومات ليس ثمرة جهد سابق من جماعات او شركات غيرنا سبقتنا الى المنطقة التى نحاول العمل فيها ، ووضعت لنا ولغيرنا ، حصيلة من المعلومات والمعارف نبنى فوقها ونزيد عليها . فى بعض الاحيان نحن نعالج افكارا تبدو كانها خيالات او تصورات لانسان حالم ، وقد نترك كل ما فعلناه وخططنا له فى سنوات عديدة باعتبار ان التجربة اثبتت انه وهم كله .

رئيس المحكمة : ـ ان ما تقوله مفهوم تماما ، ولا احد يجادل فيه . ولكن هذا هو الذى حدث فى كل مجال جديد فى علوم الطبيعة أو الكيمياء او الجغرافيا . ففى بعض المجالات يكون البحث بداية مطلقة لم يسبقها تمهيد . ولكن لا يستطيع عالم ان يدعى انه فى اي منطقة من مناطق البحث لايجد خطوات انسانية سابقة ، وان بدت منقطعة عن البحث الجديد . فالعلم الانسانى كما تعلم هو حجرات ابوابها مفتحة بعضها على بعض . فالجغرافيا والفلك وعلوم البحار صلتها غير مقطوعة حتى بالأدب والقصة والشعر . والكابتن كوك الذى ذهب الى استراليا مهد الطريق للاميرال بيرد الذى ذهب الى القطب .

المحامى : ـ انا لا انكر شيئا من هذا ، ولكن الذى اعنيه ان البحث فى منطقة بعينها قد لا يكون محلا لاهتمام سابق لجهة بحث اخرى ، بالمعنى الضيق ، وفى خصوص مجال بحث محدود .

رئيس المحكمة : ـ مفهوم .. ولكن إلام تهدف من تقرير هذه الحقائق ؟

المحامى : ـ أهدف الى ان بعض الحقائق المكتشفة يجب ان تبقى حقا خالصا للجهة التى اهتدت اليها ولايجوز وضع اليد عليها ، ومحاولة سبق الذين شقوا فى سبيلها ، وبذلوا الجهد وتعرضوا للخطر ، حتى ينتهوا من بحثهم ، ثم يعلنوه بصورة من صور الاعلان العلمى المتفق عليه ، فى رسالة مطبوعة او كتاب منشور او مجلة تتداولها الايدى .

رئيس المحكمة : ـ ما الفرق بالضبط بين نشر معلومات فى كتاب او مجلة او دورية علمية ، وبين ايداع تلك المعلومات فى كمبيوتر ؟

المحامي : ـ الفرق كبير جدا . ذلك لان الكمبيوتر هو وسيلة من وسائل البحث الخاصة ، اشبه شيء بالمسودة التى يعدها العالم فى مختبره ، ليسجل عليها بعض الحقائق الناقصة او غير المؤكدة ليعود اليها ، فيحذف منها ، ويضيف إليها او يستغنى عنها تماما . فلا يجوز ان يذهب

عالم اخر او مندوبه الى مكتب العالم الذى يدرس شيئا ويجمع اوراقه ويجرى بها ، ثم ينتفع بها فى بحث لم يبداه ، او فى بحث بداه ، ولكنه توقف عنه لانه لم يستطع ان يمضى به ، وعليه ان ينتظر حتى تنشر تلك الحقائق بالاسلوب الذى تراضى عليه العلماء فى كل مكان . ومع ذلك فان الشركة التى تسرق معلومات غذي بها جهاز كمبيوتر لا تهدف الى الوقوف على حقيقة علمية . هنا الهدف اموال ومنافع مادية ، وسبق تجارى بحت ، وهذا هو وجه الخطر .

رئيس المحكمة : ـ ولكن ما هو الدليل على حصول السرقة ؟ هل لديكم شيء اكثر من شهادة بعض موظفى الشركة المتهمة الذين اعترفوا ضد الشركة التى يعملون فيها بانها حرضتهم على سرقة هـــذه المعلومات .

المحامى : ـ اليس هذا كافيا ؟

رئيس المحكمة : ـ كافيا فى اى شيء ؟

المحامي : ـ كافيا لاثبات السطو .

رئيس المحكمة : ـ اتنكر انه من الممكن فى جو المنافسة القاتلة التى بينكم وبين الشركة المتهمة ـ كما دلت اوراق الدعوى ـ ان يكون الشهود قد تلقوا تحريضا من الشركة المدعية ليشهدوا بما لم يقع .. ؟

المحامي (مقاطعا) : باي غرض ؟

رئيس المحكمة : ـ لتلويث الشركة المتهمة بالسرقة ، وربما لاخراجها تماما من ميدان المنافسة .

المحامي : ـ هذا جائز ، ولكن الاوراق التى قدمناها لكم تقطع بان الشركة المتهمة لم يسبق لها ان وضعت قدمها فى المنطقة التى نعمل فيها . لتقدم ورقة ثابتة التاريخ دالة على انها بدات هذا البحث ، فى اي تاريخ سابق على اليوم ، ثم توقفت فيه .

رئيس المحكمة : ـ (موجها الكلام الى محامى الشركة) هل بدائم فى اجراء بحث فى الموضوع الذى وقعت فيه السرقة .. السرقة المدعاة ؟

محامى الشركة المتهمة : ـ سيدى الرئيس احد كبار علمائنا ـ اى علماء الانسانية ـ فى الموضوع الذى يجرى فيه التنافس بين الشركتين ويعلم ان البداية فى بحث علمى ، قد تكون منقطعة الصلة من جوهر هذا البحث لسنوات طويلة ، ثم فجاة تظهر الصلة واضحة .

رئيس المحكمة : ـ يعنى انكم تدعون ان موضوع القضية كان محل بحوث ميدانية قديمة عندكم ؟

المحامى : ـ بل انا ساقدم لعدالة المحكمة عند المرافعة الادلة على اننـــا ـ اعنى شركتنا ـ هى رائدة هذا البحث الخطير وانها انفقت الملايين ، ولا تزال تنفق . ان كثيرا جدا من المجلات العلمية ولسنوات متصلة تابعت نشر نتائجنا ، التى تؤدى اخر الامر الى الموضوع الذى تزعم الشركة المدعية انها سبقت الجميع اليه وانفردت به . ان دعوى الشركة المدعية خطر شديد يهدد العلم وحرية البحث ، ويجعل الاغراض التجارية والتنافس على السبق وعلى مناطق الدرس قيدا على الجهد البشرى من اجل الكشف عن الحقائق المخبوءة . نحن فى اول عصر الكمبيوتر . ومن الخير ان تقرر المحكمة العليا التى ضمت عددا من اكبر علمائنا مع خبراء فى علم النفس والادارة والمخابرات ، انه لا شيء اسمه سرقة المعلومات وانه حتى اذا ثبت ان دافعه السرقة فيجب الا تمنع الهيئات او الافراد المتهمون عن مواصلة الانتفاع بالمعلومات التى وصلت اليهم ، ولو بطريق يقال انه غير مشروع ، والاكتفاء بتعويض الجهة المضرورة التعويض الكافى . اما اخضاع جهات البحث بدعوى السرقة ، للقانون الجنائى فهو ردة لا نقبلها ورجعة لا نسكت عليها .

رئيس المحكمة : ـ الا يكون من الافضل وضع قواعد لتنظيم التعاون بين الجهات التى تبحث فى مجال واحد ، بطريقة ملزمة وبامر من محكمة عدل دولية للشـــئون العلمية .

المحامى المشكو فى شركته : ـ

ياسيدى الرئيس ، لقد ضمنت مرافعتى شيئا من هذا القبيل ، وإنى لارجو ان يتضمن حكمكم ـ بعد سماع المرافعات وتبادل المذكرات والاطلاع على دلائل الاتهام والبراءة والمستندات ، هذا المبدا وتاكيده ، فان القضية المعروضة على سيادتكم اخافت هيئات بحث كثيرة فى العالم كله واوقفت بحوثها مما ضيع عليها مالا انفقته وجهدا بذلته ، ووقتا كانت فى اشد الحاجة اليه ، ولذلك نحن نلتمس ان يفصل فى هذه القضية باسرع وقت .

رئيس المحكمة : ـ نحن حريصون على ذلك ، فنحن ندرك الجانب العلمى والانسانى فى الدعوى . ونحن نراه جانبا اولى بالرعاية .

المحاميان معا : نحن نشكر عدالة المحكمة .

رئيس المحكمة : الا ترون ان نرفع الجلسة لنصف ساعة ؟

الجميع : موافقون .

فتحى رضوان

قضية الساعة في السياسة العربية :

كيف يخلق العرب تناقضا بين أمريكا والكيان الصهيوني؟

بقلم : عصام شريح

إزاء البروز الساطع لليهود الاميركيين ، وتأثيرهم الصاعق في افكار المرشحين للرئاسة الاميركية لعام ١٩٨٤ ، والتوجهات السياسية لهؤلاء المرشحين نحو الصراع العربي ـ الاسرائيلي بوجه خاص ، ومنطقة الشرق الاوسط بشكل عام ، يقف العرب ككل مشدوهين لما يبدر على لسان مرشحي الحزب الديموقراطي (وولتر مونديل و غاري هارت) ، وأيضاً إدارة الرئيس (الجمهوري) الحالي رونالد ريغان . من تصريحات ومواقف ، هي بعينها السياسة الاسرائيلية في المنطقة العربية .. وازاء هذا كله نعيد طرح موضوع اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة ، محاولين رسم خطوط عامة لتحرك عربي استراتيجي ، لمواجهة هذا اللوبي ، الذي يشكل احد اعمدة الكيان الصهيوني الذي اقيم على أرضنا المغتصبة منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما .

تشير الروايات التاريخية الى أن أول فوج من اليهود هاجر الى اميركا في عام ١٦٥٤ ، وكان يتالف من ثلاثة وعشرين يهوديا برازيليا ، حطوا رحالهم في ميناء «نيوامستردام» ـ نيويورك حاليا ـ والتي كانت انذاك ضمن المستعمرة الهولندية في اميركا الشمالية وقد توالت الهجرات اليهودية بعد ذلك التاريخ ، وكان اهمها ماعرف باسم هجرة السفارادين ، او اليهود الشرقيين (المتحدرين من اصل اسباني) ، وقد استوطن هؤلاء في مستعمرات رودايلند ، ونيويورك ، وفيلادلفيا ، وبنسلفانيا ، وجنوب كارولينا ، وكنكتكت ، وفرجينيا وجورجيا ، وتبع هؤلاء (١٨٣٠ ـ ١٨٨٠) ٢٥٠ الف يهودي الماني ، ثم هجرة اكبر بلغ تعداد افرادها ، مليونا ونصف المليون من يهود اوروبا الشرقية (الاشكنازيم) وذلك ما بين ١٨٨١ ـ ١٩١٠ ، ومعظم هؤلاء كانوا من اليهود السوفييت والبولونيين ، اما الهجرة الاوسع نطاقا ، فقد حدثت خلال فترة ما بين الحربين العالميتين ، وكان اكثر المهاجرين هنا من يهود المانيا الهاربين من الحكم النازي ، وقد بلغ مجموع اليهود في الولايات المتحدة في عام ١٩٤٥ ، خمسة ملايين يهودي ، كانوا منتشرين في كافة انحاء الولايات ، بيد انهم تجمعوا في جاليات كبيرة واحيانا ضخمة ، في اهم المدن الاميركية واكبرها حجما . وقد بدات الافكار الصهيونية بالتسرب الى الولايات المتحدة واميركا الشمالية ، مع هجرة يهود اوروبا الشرقية (الاشكنازيم) الذين اسسوا فرعا لما كان يعرف بجمعية «احباء صهيون» ، التي كانت تنادي باحتلال فلسطين من قبل اليهود ، وبعد تاسيس الحركة الصهيونية على يدي تيودور هرتسل (١٨٩٧) ، تاسس مايعرف باسم «اتحاد صهيوني نيويورك» ، وتبعه في عام ١٨٩٨ تاسيس ما يسمى «باتحاد الصهيونيين الاميركيين» ، بعد ذلك ، توالى تاسيس جمعيات وروابط يهودية صهيونية في مختلف المدن الاميركية ، وتحت اسماء واهداف مختلفة ومتعددة من الناحية الشكلية ، لكنها متحدة من ناحية الهدف والمضمون الفكري الجوهري .

وهناك حاليا ٣٢ منظمة وجمعية يهودية رئيسية ، تمثل قرابة ستة ملايين يهودي اميركي.

وتتحد جميع هذه المنظمات والجمعيات ـ كما يقول الدكتور اي . ج . نايدو (هذدي) في مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية ، الذي يعرف بشكل عام ، باسم «مؤتمر المنظمات اليهودية» .

ويقوم رئيس هذا المؤتمر بدور الناطق الرسمي باسم جميع هذه المنظمات والجمعيات ، خلال الاجتماعات التي تعقد مع اركان الحكومة الاميركية ، لمناقشة مسائل تتعلق بالصراع العربي ـ





السناتور وليم فلبرايت، ندد بالضغط الصهيوني واساليب اسرائيل من اجل الحصول على السلاح والاموال الامريكية



السناتور جيمس ابو رزق من اصل عربي ، ومعروف بمواقفه المؤيدة للعرب

الجنرال جورج براون ، الرئيس الاسبق لهيئة الاركان المشتركة للجيش الامريكي

الصهيوني . اما راس الحربة للوبي اليهودي فهو « لجنة الشؤون العامة الامريكية ـ الاسرائيلية » ، وتضم ١٥ الف عضو ، اما لجنتها التنفيذية ، فتضم جميع رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية . وتعتمد هذه اللجنة في عملها ونشاطاتها الواسعة بين المسؤولين في الادارة الامريكية ، او بين اعضاء مجلسي النواب والشيوخ (الكونغرس) ، على مؤسستين بالغتي الاهمية ، هما : « مركز ابحاث الشرق الادنى » و « مركز معلومات » تابع للوبي اليهودي » الذي يراسه إي . ل . كينين ، الذي راس « لجنة الشؤون العامة الامريكية ـ الاسرائيلية » لسنوات طويلة ، ومازال يحتفظ « بعضوية شرف » فيها . ويعد « مركز ابحاث الشرق الادنى » ، دراسات حول منطقة الشرق الاوسط بشكل عام ، وحول الصراع العربي ـ الصهيوني بشكل خاص ، كما يعد المركز كلمات وابحاثا لبعض اعضاء الكونغرس ، ويصدر نشرة دورية اسبوعية ، باسم « ذي نير ايست ريبورت » ، لها حوالي ثلاثين الف مشترك ، وترسل حوالي اربعة الاف نسخة منها بالبريد ، الى كل عضو في الكونغرس الامريكي ، والى السفارات والمسؤولين التنفيذيين في الحكومة الامريكية ، والى وفود الدول المختلفة في الامم المتحدة .

نفوذ اللوبي وتاثيره في الحياة السياسية

تلعب الاقلية اليهودية دوراً نشطاً ومؤثراً جداً في السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، وخاصة في القضايا المتعلقة بمنطقة الشرق الاوسط ، واهمها الصراع العربي ـ الصهيوني ، ويظهر هذا الدور جليا في الانتخابات الامريكية ، سواء انتخابات الرئاسة منها ، او انتخابات اعضاء مجلسي الكونغرس ، وذلك على الرغم من ان اليهود لا يشكلون اكثر من حوالي ٣ بالمائة من مجموع سكان الولايات المتحدة ، لكن ما يعطي هذه النسبة الضئيلة اهميتها في الانتخابات الامريكية هو نظام الانتخابات الامريكي نفسه ، فانتخاب الرئيس ، يتم على مرحلتين يسبقهما اختيار الحزبين الرئيسيين (الديمقراطي والجمهوري) مرشحه للرئاسة ، ثم تبدا المرحلة الاولى ، بتشكيل الهيئة الانتخابية ، او الناخبين الثانويين ، وهي تتكون من ممثلين منتخبين ، يماثل عددهم عدد الشيوخ في كل ولاية (اي عضوان للولاية الواحدة) ، ويضاف اليهم عدد من النواب ، بحيث يصبح مجموع اعضاء الهيئة الانتخابية ٣٥٧ عضوا يمثلون جميع الولايات ، وتقوم هذه الهيئة في المرحلة الثانية بانتخاب رئيس الولايات المتحدة ، والمهم هنا بالنسبة للمرشح للرئاسة ، ان يحصل على غالبية اصوات اعضاء الهيئة ، حيث تؤول اليه الاصوات الشعبية باكملها في اي ولاية يتفوق فيها باصوات الهيئة الانتخابية على المرشح المنافس ، ولو كان هذا التفوق بصوت واحد وطبقاً لقانون الانتخابات الامريكي ، لابد لمرشح الرئاسة من الحصول على الحد الادنى من اصوات الهيئة ، اي ٥١ بالمائة ، وهو ما يعادل ٢٦٩ صوتا ، ولليهود منها ١٧١ صوتا انتخابيا ، بسبب تمركزهم في الولايات ذات الاصوات الانتخابية العالية مثل ولاية نيويورك التي يبلغ عدد اصواتها داخل الهيئة الانتخابية ٤١ صوتا ، وهذا بدوره يفسر التنافس المثير بين مرشحي الرئاسة الامريكية للفوز باصوات اليهود في مدينة نيويورك .

ويضاف الى ما تقدم ايضا ، ان اليهود هم الجالية الاكثر اقبالا على صناديق الاقتراع ، حيث يصوتون في الانتخابات الامريكية بصورة شبه جماعية ، في حين تقف بقية الجاليات ، موقف اللامبالاة غالبا من هذه الانتخابات ، وعلى سبيل المثال فان اليهود لا يشكلون اكثر من ربع السكان في مدينة نيويورك ، إلا ان اربعين بالمائة من اصوات الناخبين في هذه المدينة هي اصوات اليهود ، ومن الواضح هذا ان الحركة الصهيونية هي التي توجه وتحدد اتجاهات الناخبين اليهود .

ولا ينحصر هذا الدور اليهودي في الانتخابات الامريكية على انتخابات الرئاسة ، بل هو ينسحب كذلك على انتخابات مجلسي النواب والشيوخ وحكام الولايات والقضاة . ونظرا لتركيب المجتمع الامريكي المترجرج ، والقائم على تركيب إثني (عرقي) متشعب ، وحديث العهد نسبيا ، فان ما يهم الرئيس الامريكي او المرشح للرئاسة ، هو قبل كل شيء الحفاظ

كيف يخلق العرب تناقضا بين أمريكا والكيان الصهيوني؟

على ما يسمى « بالسلام الداخلي » Internal Peace ، او التوازن بين الاقليات العرقية ، عن طريق الاستجابة لمطالبها وتوجهاتها السياسية الخارجية ، كما ان المرشحين او الاعضاء فى مجلسي الكونغرس وكذلك حكام الولايات والقضاة ، فان ما يهمهم اولا وقبل كل شيء هو تامين مقاعدهم ومناصبهم ، والعودة اليها ثانية فى الانتخابات التالية ، ومن هنا يجد هؤلاء انفسهم مرغمين غالبا على كسب ود اليهود ، والاستجابة لمطالبهم التى هى على العموم مطالب اسرائيل ، ضاربين بالمبادىء ، ومصالح بلادهم الحقيقية ، عرض الحائط ، كما ان الدور البالغ التاثير لليهود الامريكيين فى تمويل الحملات الانتخابية ، بحكم وضعهم المالي المتميز ، يجعل من الرؤساء الامريكيين واعضاء مجلسي النواب والشيوخ ، مطية سهلة الانقياد لاسرائيل .

ولا يقتصر النفوذ اليهودى فى الولايات المتحدة ، على ما تقدم ، بل انه يتعداه الى السيطرة على وسائل الاعلام ، وعلى قطاعات واسعة من النشاطات الاقتصادية ، والشركات الاحتكارية (كارتل) ، وينشا مصدر كل هذه الطاقة السياسية ، عن التشكيل الاجتماعى ـ الاقتصادى لليهود فى المجتمع الامريكى ، فهم فى اكثريتهم الساحقة من الطبقة الوسطى ، ويشكلون الجماعة الاكثر بحبوحة فى هذا المجتمع ، ويقدمون نحو ٢٠ بالمائة من المحامين فى الولايات المتحدة ، و ١٩ بالمائة من اساتذة الجامعات ، ويلتحق نحو ٨٠ بالمائة من شبابهم وشاباتهم بالجامعات ، ويصيرون من اصحاب المهن . وبالنسبة لوسائل الاعلام ، فانه يكفي ان نشير الى ان شبكات التليفزيون التجارية الثلاث : « إن . بى . سي » و « سي . بي . اس » و « اي . بى . سي » يملكها يهود ، كما ان عائلات يهودية ثرية تملك صحيفتي « النيويورك تايمز » و « الواشنطن بوست » ، اضف الى ذلك ان لليهود سيطرة ونفوذا واسعا على عدد من دور النشر مثل « دبل داي » و « مكميلان » و « هاربر ورو » .. الخ . وهذه السيطرة الهائلة على وسائل الاعلام الامريكية ، تجعل الراي العام الامريكى غالبا اسير وجهة النظر الصهيونية بالنسبة لاحداث الشرق الاوسط ، خاصة وان وسائل الاعلام الالكترونية والمطبوعة فى الولايات المتحدة قد اضحت مؤسسات كبرى ، تكاد تكون فى مثل قوة الحكومة فى تكوين المواقف والمفاهيم

كيف يعمل اللوبي ؟

عندما تبرز مسالة مهمة ، تتعلق باسرائيل ، امام الكونغرس تقوم لجنة الشؤون العامة الامريكية الاسرائيلية ، بابلاغ قادة الجالية اليهودية فى مختلف الولايات باخر تطورات هذه المسالة والموقف الواجب اتخاذه منها ، وذلك عن طريق مذكرات ترسل الى هؤلاء القادة على عجل ، وفور تلقي هؤلاء هذه المذكرات ، يقومون باطلاع العناصر البارزة فى الجالية اليهودية فى ولاياتهم على مضمونها ، وفى غضون فترة قصيرة من الوقت تنهال الاف الرسائل على اعضاء الكونغرس ، فيما يبدا زعماء اليهود فى كل ولاية اتصالات مع النواب والشيوخ ، وخاصة النافذين منهم ، من اجل دعم وجهة النظر الاسرائيلية . اما فى حال اتخاذ بعض اعضاء الكونغرس موقفا غير مؤيد لاسرائيل ، فان هؤلاء يتعرضون على الفور الى حملة تشهير فى وسائل الاعلام ، كما تنهال عليهم « رسائل الكراهية » التى تحمل عبارات بذيئة وتهديدية ، كما حدث للسناتور جيمس ابو رزق (من اصل عربى) المعروف بمواقفه المؤيدة للعرب فيما خص الصراع العربى ـ الصهيونى ، حيث تلقى الاف الرسائل من هذا النوع من اليهود

الرئيس بنيامين فرانكلين

السيناتور شارلز بيرسي

الامريكيين ، كما قام اللوبى اليهودى بتوزيع ملف عنه فيه الكثير من التزييف والتزوير وتاويل المواقف على غير حقيقتها على كبار الشخصيات فى الكونغرس والحكومة . كما تلقى السناتور تشارلز بيرسي عشرين الف رسالة من اليهود الامريكيين ، نددوا فيها بما وصفوه بتصريحاته « غير المبررة » حول الصراع العربى ـ الصهيوني ، وكان بيرسي قد طالب فى تصريحاته تلك فى اعقاب جولة له فى منطقة الشرق الاوسط فى عام ١٩٧٤ ، طالب اسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ .

ويقدم لنا رئيس هيئة الاركان المشتركة الاسبق للجيش الامريكى الجنرال جورج براون ، نموذجا لطريقة عمل اللوبى اليهودى فى الاوساط العليا الحاكمة فى الولايات المتحدة ، ففى عام ١٩٧٦ ، اظهر الجنرال براون تبرمه من النفوذ اليهودى ، الذى وصفه بانه من القوة بحيث بات مسيطراً على الكونغرس ، وقال ان اليهود يملكون الصحف والبنوك ، ويهيمنون على الاقتصاد والسياسة الامريكية الى حد لا يمكن تصديقه ، واعترف الجنرال براون بان القوات البرية الامريكية كانت تعانى انذاك من نقص حاد فى الدبابات ، ومع ذلك فان الحكومة الامريكية مستمرة فى إمداد اسرائيل بالدبابات ، وفقا لالتزام سابق ، ثم اعطى المثال التالى على النفوذ اليهودى فقال :

« ياتي الاسرائيليون ، ويطلبون من البنتاغون (وزارة الدفاع الامريكية) معدات حربية ، فتؤكد لهم ، انه من الصعب جدا الحصول عليها بدون موافقة الكونغرس ، فيجيبون على الفور : لا يهمكم امر الكونغرس .. نحن نعرف كيف نعالجه .. ثم يتبين لنا ، انهم يعرفون بالفعل كيف يضمنون موافقة الكونغرس .. » ، بيد ان الجنرال براون حذر من ان حظرا نفطيا جديدا يفرضه العرب ، كما فعلوا فى اعقاب حرب عام ١٩٧٣ ، « قد يدفع الامريكيين الى اتخاذ موقف اقوى ، قد يحطم النفوذ اليهودى فى هذا البلد » ، وسرعان ما ثارت ثائرة اليهود عليه ، وقد اقسم الحاخام الاكبر لمدينة نيويورك ، بان نهاية الجنرال براون ستكون كنهاية وزير الدفاع الامريكى الاسبق فى عهد الرئيس هاري ترومان ، وهو الجنرال فورستال ، وكان يشير بذلك الى ما وصف بانتحار الجنرال فورستال حيث القى بنفسه (كما قيل) من احدى الطوابق العليا فى احدى ناطحات السحاب

ولقي مصرعه في الحال ، وكان فورستال معارضا لاقامة اسرائيل في عام ١٩٤٨ .

كما يقدم لنا السناتور السابق وليم فولبرايت ، صورة اخرى عن النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة ، فقد قال:ان اسرائيل لا تعرف كيف تستفيد من « صديق جيد » ، لانها تدفع الولايات المتحدة الى مواقف سياسية تثير عداء الدول العربية ، وندد فولبرايت بالضغط اليهودي الذي لا نهاية له ، كما ندد بالاساليب التي تلجا اليها اسرائيل من اجل الحصول على السلاح والاموال الامريكية ، وقال « ان قصر النظر لدى الاسرائيليين ، امر يمكن فهمه بسبب عقلية الحصار في اسرائيل ، ولكن الامر الذي لا يمكن فهمه ، هو وجود هذه العقلية لدى مؤيدي اسرائيل في الولايات المتحدة ، اولئك الذين يشجعون اسرائيل بمواقفهم المتصلبة ، ويدفعونها الى الاستمرار في طريق يؤدي بها الى الهلاك ، وربما هلاكنا ايضا » ، ثم يصف فولبرايت موقف اليهود الامريكيين بقوله : « الجالية اليهودية في هذا البلد (الولايات المتحدة) عبارة عن اناس يضعون الاخلاص لاسرائيل في المرتبة الاولى » .

ما العمـــــل ؟

لابد من التنويه اولا بان ما يحرك عجلة السياسة الامريكية الخارجية ، وخاصة بالنسبة للمنطقة العربية ، ويحدد بالتالي خطوط وربما تفاصيل هذه السياسة ، هما عاملان : اولهما العامل اليهودي الذي يفرزه الوضع المادي المؤثر للجالية اليهودية في الولايات المتحدة في الانتخابات الامريكية ، والثاني البعد الاقتصادي ، الذي تفرزه الاستثمارات الامريكية في مجال الصناعة النفطية ، والاستثمارات الصناعية والتجارية للشركات الامريكية في حقول اخرى غير النفط ، ويضاف الى هذين العاملين ، العامل الاستراتيجي ، الذي ينادي اصحابه بضرورة استمرار التفوق الامريكي في العالم ، ومع ان هذا العامل لا يشكل نقطة خلاف بين اللوبي اليهودي والشركات الاحتكارية من حيث كونه هدفا اساسيا ، الا ان الطرفين يختلفان حول اسلوب الوصول الى هذا الهدف ، إذ بينما يطالب اللوبي اليهودي بسياسة امريكية متطابقة مع السياسة الاسرائيلية في الشرق الاوسط ، وتجاهل الامة العربية تماما ، ودعم سياسة التوسع الصهيوني في الارض العربية ، واعتبار اسرائيل الحليف الوحيد والدائم للولايات المتحدة في المنطقة ، مما يحقق بالتالي العامل الاستراتيجي الامريكي ، فان الشركات واصحاب الاستثمارات ينادون بما يمكن وصفه « بتلطيف السياسة الامريكية في الشرق الاوسط » والعمل من اجل ضمان استمرارية المصالح الامريكية في المنطقة ، بحيث لا تفسد السياسة الامريكية هذه المصالح او تؤدي الى الاضرار بها .

ومع ذلك ، فان بذور التناقض بين المصالح الامريكية والكيان الصهيوني في المنطقة موجودة ، وان كانت في حالة جنينية ، وامام العرب مجالان مهمان ، لتنمية هذا التناقض ، وتوسيع حجمه ، ويتمثل المجال الاول في الولايات المتحدة نفسها ، حيث بامكان العرب خلق لوبي عربي من مليون من العرب الامريكيين وانصارهم ، ثم في وضع خطة عملية مبرمجة للاستثمارات والودائع العربية في الولايات المتحدة ، ودول الغرب الحليفة لها . اما المجال الثاني فيتمثل في التنافس بين الانظمة الراسمالية الاوروبية واليابانية والامريكية ، بحيث يقوم العرب باستثمار هذا التناقض لمصلحة قضيتهم ، ويضاف الى هذين المجالين مجال التناقض الامريكي ـ السوفييتي ، الذي يمكن استخدامه لصالح القضية . وعلى اية حال فان هذه مجرد افتراضات ، لكن لا يجوز تجاهلها او التخلي عن العمل من اجلها ، تحت اي مبرر ، وقد يكون السـبيل الى « تحرير » الولايات المتحدة من النفوذ اليهودي ، هو ثورة شعبية ، كما تصور ذلك الرئيس الامريكي الاسبق بنيامين فرانكلين الذي حذر في عام ١٧٨٩ ، من هجرة اليهود الى الولايات المتحدة ، وطالب بادراج نص صريح في الدستور الامريكي يمنع اليهود من دخول البلاد « حفاظا على حضارتها وقيمها واقتصادها ومستقبل ابنائها » ، لكن حتى مثل هذه الثورة تحتاج الى توسيع التناقض او خلقه ان لم يكن موجودا بين امريكا واسرائيل ، وبين امريكا ويهودها .. ونزعم ان هذه احدى المهام الرئيسية الملقاة على العرب اليوم ولاشك في ان تصعيد الكفاح الفلسطيني المسلح داخل فلسطين المحتلة ، والدعم العربي لذلك ، يشكل المدخل الاساسي لهذا الطموح .

عصـام شريح

التـــوزيع الاستـــراتيجي لأصوات اليهـــود الأمـــريكيين

تشير الاحصاءات الامريكية الى ان عدد اليهود في الولايات المتحدة يبلغ حاليا خمسة ملايين و ٧٢٥ الف نسمة ، وان نسبتهم الى الشعب الامريكي تبلغ حوالي ٣ بالمائة . وتشير القائمة التالية الى عدد اليهود ، ونسبتهم في اهم عشر مدن امريكية ، تلعب دورا مؤثرا في مجرى الانتخابات وبالتالي سياسة الولايات المتحدة الخارجية .

- نيويورك : ١٨٧٢١٥٠ (١٠,٦ بالمائة من عدد السكان) .
- كاليفورنيا : ٧٧٥٩٩٥ (٣,٢ بالمائة) .
- فلوريدا : ٤٧٨١٨٠ (٤,٧ بالمائة) .
- نيوجرسي : ٤٣٥١٦٥ (٥,٩ بالمائة) .
- بنسلفانيا : ٤١٥١٢٥ (٣,٥ بالمائة) .
- ايلينويز ٢٦٦٩٨٥ (٢,٣ بالمائة) .
- ماساشوسيتس : ٢٤٨٥٤٥ (٤,٣ بالمائة) .
- ميريلاند : ١٩٥٩١٥ (٤,٦ بالمائة) .
- اوهايو : ١٣٨٧٩٥ (١,٣ بالمائة) .
- كونكتيكوت : ١٠٢٠٧٥ (٣,٣ بالمائة) .



مشروعات الأستاذ حريقة

بقلم: محمود السعدني

اغرب ادباء قهوة محمد عبد الله كان مهندسا ويشتغل باطفاء الحرائق ، وكانت صلته بالقهوة وبالادباء بسبب زمالته القديمة لواحد من فرسان القهوة هو زكريا الحجاوى ، إذ كانا زميلين فى مدرسة الفنون والصنايع والتى خرجت جيلا عملاقا من المهندسين العظام ، ولكنها اغلقت فى حقبة الثلاثينات لاسباب سياسية ، وخسرت مصر باغلاقها معهدا فنيا ممتازا ومن اعظم طراز .

كان مهندس الحرائق الذى بدا حياته ضابط مطافىء فى الشرطة ، ثم استقال والتحق بالعمل فى احدى شركات البترول الاجنبية الكبرى العاملة فى مصر مما اتاح له دخلا محترما جعله يبدو فى شلة الادباء المعسرين جميعا ، اشبه براع للادباء ومنقذ للازمات التى تعصف بهذا المحيط الغنى بالفكر الفقير بالمادة !

وكان المهندس يكتب قصصا قصيرة احيانا يقراها على الجالسين فى قهوة عبد الله ثم يمزقها وينساها بعد حين . واحيانا كثيرة كان يثرثر حول افكار ادبية يريد ان يكتبها ثم ينسى الامر كله بعد حين ! ومرة واحدة دون عدة فصول من رواية شرع فى تاليفها ، وكان يقراها على بعض الاصدقاء ، حتى استمع إليها ذات مرة عبد الحميد قطامش ، فسخر منه بشدة جعلت المؤلف المهندس يتخلص منها بالتمزيق .

وكان عبد الحميد حمدى ومهنته الهندسة وشهرته « حريقة » ، يبدو كمن ضل الطريق فى الحياة ، كان يتمنى فى اعماقه لو انه كان من اصحاب القلم او من اهل الفن ، ولو واجه الجوع والفلس والضياع . وقد سعى فى فترة من فترات حياته الى تعلم العزف على العود ، و اجهد نفسه فى محاولة تلحين بعض الاغانى ، وكان يعزفها فى الامسيات التى يعقدها فى بيته الفخم القابع على ربوة على شاطىء البحر الاحمر فى السويس . ولكن فنه الموسيقى لم يكن اسعد حظا من انتاجه الادبى . فكان موضوع سخرية الاصدقاء من اهل الفن والادب ، وغالبا ما كان يثور بشدة ويتهم شلة الاصدقاء بالحقد والغيرة والخوف من ان يذيع صيته وتضرب شهرته شهرة الاخرين . وبالطبع لم يكن موقفه هذا إلا مشجعا لشلة الاصدقاء على التمادى فى السخرية وتشريح اعماله الفنية بقسوة ليس لها مثيل . ولكن عبد الحميد كان يبدو سعيدا بصحبة هؤلاء الاصدقاء ، وفخورا ايضا على نحو ما ، وإلا لما كان هذا الاصرار من جانبه على توطيد اواصر الصداقة والاخوة ، بل كان حرصه اشد على عقد السهرات التى تضم هؤلاء الاصدقاء فى منزله ، وكان يبدو كريما فى تلك السهرات على عكس مسلكه مع نفس الشلة خارج منزله ، وكان هذا المسلك من جانب عبد الحميد موضع ثورة شديدة ونقد دائم من جانب الشاعر محمود حسن اسماعيل .

ولقد استطاع المهندس عبد الحميد حمدى ان يدخل تاريخ الادب رغم انفه ، فقد كتب عنه الفنان زكريا الحجاوى فصلا شيقا فى كتابه الكوتشينة ، وداعبه الشاعر محمود حسن اسماعيل بقصيدة صغيرة ، واطلق عليه عبد الحميد قطامش لقب الابتر ، باعتبار ان ذيوله الادبية كالقصائد والقصص والروايات التى يكتبها ثم ينساها بعد حين ، باعتبارها ذيولا مقطوعة ومبتورة وصاحبها بلا ذنب ، فهو الابتر . وكان عبد الحميد يضحك كثيرا على هذه التسمية ويعلق عليها بانها شهادة بفضله على الاخرين لانه بلا ذيل بينما الاخرون بذيول !!

وبالرغم من مهنة عبد الحميد حمدى وخطورتها ايضا ، إلا انه كان يتحين الفرص للهروب من جحيم مهنته إلى قعدات الادباء والفنانين ، وكانه يريد ان يعيش بخياله فى عالم لم يستطع ان يحيا



فيه على قدميه . واحيانا كان يعانى بشدة من هذه الصحبة ولكنه كان على استعداد لتحمل كل شيء واى شيء فى سبيل ان تزدهر هذه الصحبة وتمتد .

ذات مرة اقنعه زكريا الحجاوى بتوصيله لمكان قريب جداً من القاهرة ، إذ كان المهندس عبد الحميد يمتلك سيارة فرنسية الصنع فى الوقت الذى كانت فيه السيارات الخاصة نوعا من الترف المبالغ فيه ، ولما كان المهندس عبد الحميد حمدى لابد ان يعود الى السويس ليستكمل عملا هاما بداه ولابد من استكماله فى الصباح التالى ، فاذا علمنا ان عمله كان يتعلق باطفاء الحرائق فى شركة تعمل فى حقول البترول ، لادركنا مدى الاهمية التى توجب وجود المهندس فى مكان عمله فى الوقت المحدد . ولكن من قال ان زكريا الحجاوى الفنان حريص على اطفاء الحرائق حتى ولو كانت فى شركات البترول ! إنه ذاهب الى موعد هايف للغاية ، فهو على موعد مع فنانة الشعب خضرة وفنان الشعب أبو دراع ، وهو ذاهب للاستماع إلى ملا عيب شيحا من خضرة والموال الاحمر من ابو دراع وليذهب المهندس والمواعيد والبترول والحريق ، بعد ذلك إلى الجحيم . ولا مانع من ان يذهب معهم زكريا الحجاوى ، شرط ان يذهب الى السهرة وبعد ان يستمع الى ما يريد .

انطلق الرجل الطيب بالسيارة وبجانبه زكريا الحجاوى فى الطريق إلى قليوب ، وهى ضاحية قريبة جداً من القاهرة وقد تصور المهندس عبد الحميد انها وجهة زكريا الحجاوى ، ولكن زكريا الاديب راح يحكي قصصاً من جعبته المليئة بالقصص وكان يعلم عشق عبد الحميد لمثل هذه القصص وشغفه الشديد للاستماع إليه ، وظل الرجل يسوق على طرق ممهدة وعلى طرق لم تمهد بعد حتى اشار إليه زكريا الحجاوى بالتوقف عند قرية على بعد مئتي كيلومتر من القاهرة وتدعى مطوبس ، وهى قرية مصرية ترقد على ربوة عالية وتطل على فرع رشيد وتشرف على قناطر انشاها محمد علي فى زمن سابق ولكنها تضفى على القرية مسحة جمال ليس لها مثيل . ورغم ان المهندس عبد الحميد ثار على زكريا الحجاوى وصرخ فيه ، إلا انه جلس يستمع حتى الصباح مع زكريا الحجاوى ، وعاد معه ايضا ، وقرر ان لا يخالط زكريا الحجاوى او يتحدث معه او يصافحه ، وان يبتعد عن طريقه وإلى اخر العمر ، وهمس الصديق عبد الحميد قطامش فى اذنى بضرورة التدخل لاصلاح ذات البين ، ولكنى لم ابد اهتماما بما همس به قطامش بل اننى لم ابد اى اهتمام لمحاولات الاصـــدقاء الاخرين لجمع شمل زكريـــا وعبد الحميد ، والسبب اننى كنت اعرف ما الذى سوف يحدث بينهما مستقبلا .

ولقد حدث ما توقعته بالضبط ، ذات مساء دخلت المقهى واذا بزكريا الحجاوى مستلق على ظهره يضحك من الاعماق ضحكة صافية ، بينما عبد الحميد حمدى يضحك هو الاخر وقد تقوس ووضع يديه على معدته حتى لا تنفجر من شدة الضحك. روى لى زكريا الحجاوى كيف اجتمعا ولماذا استغرقتهما نوبة الضحك ، فقد ذهب زكريا الى المقهى فلم يجد احداً فى الركن الذى اعتادت شلة الادباء الجلوس فيه ، ولكنه لمح عبد الحميد يجلس وحيداً داخل المقهى كانه لا يريد ان يرى احداً من افراد الشلة ، واشار زكريا الحجاوى الى واحد من باعة الفاكهة الذين كانوا يفرشون الارض امام المقهى ، وكان زكريا موضع احترامهم جميعا وحبهم ايضاً ، وامر زكريا البائع بالذهاب الى الافندى الجالس فى الداخل ، واشار نحو عبد الحميد ، وقال للبائع روح للسواق وقولله كلم البيه بره عاوزك !

وذهب الرجل بسلامة نية الى عبد الحميد وامره بان يسرع للقاء البيه ولكن

مشروعات الأستاذ حريقة

عبد الحميد شخط فى بائع الفاكهة وامره بالانصراف ، ولكن الرجل الذى كان يحب زكريا الحجاوى ويطيعه ، ومستعدا لتنفيذ أوامره ولو ادى به الأمر إلى الليمان ، امسك بعبد الحميد من رقبته ليجره إلى حيث يجلس البيك ، وغضب عبد الحميد غضبا شديدا وصفع البائع على وجهه ، فما كان من البائع إلا ان صفع عبد الحميد باعتباره سائق سيارة البيك ، واسرع زكريا الحجاوى الى التدخل عندما تطورت الامور إلى هذا الحد ، ولكن بائع الفاكهة الذى كان قد جن جنونه قرر أن يواصل المعركة الى النهاية ، ولم يجد زكريا بدا من صفعه لكى يتوقف الا ان البائع انشب اظفاره فى رقبة زكريا الحجاوى ولم يخلص زكريا منه إلا رجال الشرطة ، وعندما انتهت المعركة جلس زكريا وعبد الحميد يضحكان من الاعماق .

والاغرب انه فى نهاية تلك السهرة ، سافرت مع زكريا الحجاوى فى سيارة عبد الحميد إلى مولد السيد البدوى فى طنطا ، وسهرنا هناك حتى الصباح ، والاغرب ان عبد الحميد بعد ان عاد بنا فى الصباح الى القاهرة ، وجه الينا لوما شديدا لاننا صرفناه عن عمله الهام ، واقسم الا يرانا مرة اخرى ، وقد بر بقسمه ، فلم يزرنا مرة اخرى خلال ذاك النهار ، ولكنه عاد فى اليوم التالى وسهر معنا حتى مطلع الفجر .

ولقد ظل عبد الحميد على اتصال بالجميع حتى واراهم التراب ، وذهب خلف زكريا الحجاوى ، وسار خلف قطامش ، وبكى فى جنازة محمود حسن اسماعيل ، واشترك فى حمل نعش انور المعداوى ، وظل وفيا لهم ولذكـــــراهم ، يحتفظ بقصاصات ورق كتبها زكريا الحجاوى ، وشرائط تسجيل لسهرات فى بيته ضمت قطامش وآخرين .

وبالرغم من السنين الطويلة التى عاشها عبد الحميد فى صحبة الادباء والفنانين ، الا انه لم يترك مهنته قط ، ولم يقصر فى اداء عمله ابدا ، صار فى النهاية واحدا من اكبر خبراء إطفاء حرائق البترول فى مصر . وطار مرة إلى العراق ليشرف على اطفاء حريق شب فى احد ابار البترول هناك ، كما سافر إلى بلاد عربية اخرى ايضا لنفس الغرض . ولكن قلبه الذى يعشق الفن ، اتسع لحب مهنته إلى درجة التفانى ، وكان اسم حريقة الذى اطلقته عليه شلة الادباء هو التعبير الحقيقى عن واقع يعيشه عبد الحميد ، كان حديثه دائما عن الحرائق وكيفية إطفائها ، وعن الامن الصناعى وفروعه واساليبه وطرقه المتشعبة . كان حريصا على ان يحمل معه دبوس ابرة فى اى مكان يذهب إليه ، وكان يستخدمه عند التدخين ، كان يخرم به السيجارة فى اسفلها ، وكان هذا الخرم يتيح للدخان ان يتسرب اثناء التدخين ، وكان يؤكد ان النيكوتين والقطران يتسربان من هذا الخرم ويبقى الدخان الذى لا يؤذى الصدور ، وكان يطلق شاربه بطريقة معينه ومضحكة ، ولكنه كان يؤكد على ان الاسلوب الذى اطلق به شاربه هو الطريقة العلمية التى تحمى انفه ورئتيه من غبار الطريق .

وكان شديد الحرص على التفتيش بنفسه يوميا ليتاكد من ان الامن الصناعى مطبق بحذافيره فى كل قسم من اقسام الشركة ، وكان يبدو فى احسن حالاته عندما يخطر بنشوب حريق فى احد ابار البترول ، وكان يبدو فى زيه الغريب كانه روميل على خط النار ، ولكن قلبه تحطم ذات صباح عندما تحطمت منشئات الشركة ولم يستطع ان يقدم لها يد المساعدة ، لان التدمير لم يكن بفعل النار التى تشب فى مثل تلك المواقع كان التدمير بفعل مدافع اسرائيل وصواريخها وقد ارادوا الانتقام بعد اغراق المدمرة ايلات ، فصوبوا مدافعهم وصواريخهم على منشئات شركة تكرير البترول بالسويس وظلوا يقذفونها لمدة ثلاثة ايام كاملة حتى اصبحت المنشئات اثرا بعد عين .

والغريب أن عبد الحميد بدا بعد هذه الكارثة كانه جزء من منشئات الشركة ، فقد انهار تماما كانه احد الجدران التى انهارت من العدوان ، وصار اكثر شرودا واقل ثرثرة عما كان ، لقد عاشت الشركة زمنا طويلا تحت حمايته ، كان يطفىء الحرائق التى تشب ، وكان يمنع الحرائق قبل ان تنشب ، ولكن جاءت لحظة حرجة وقاتلة ، احترقت الشركة كلها امام عينيه ولم يستطع ان يفعل شيئا ، وماذا كان فى وسعه ان يفعل والقذائف تنهال على الشركة كانها مطر ينهال من السماء ، ومع ذلك حـــــاول عبد الحميد فى البداية وقد كانت النية صادقة والامكانيات متوفرة ولكن القذائف التى كانت تنهال عليهم بمعدل عشر قذائف كل دقيقة لم تترك فرصة لاحد لان يفعل شيئا ، والتهمت النيران حتى الارض .

وعاش عبد الحميد بعد ذلك وقد انطفات اللمعة التى كانت فى العيون والجذوة التى كانت فى الروح والرعشة التى كانت فى القلب كانما انتهت الحياة عندما اتت النيران على كل شىء فى معمل تكرير البترول فى السويس . ولقد اعتزل عبد الحميد العمل ، وصار مستشارا فنيا لشركات البترول ، ولكنه يحن دائما إلى السويس حيث العمل الذى وهبه روحه ، والجيزة حيث الشلة التى اعطاها حياته ، وربما المحنة التى عاشها ايام حرب الايام الستة وبعد ذلك فى حرب الاستنزاف هى التى ارغمته على اللحاق بموكب المؤلفين ، فقد صار مؤلفا رغم انفه ، فقد عكف على تاليف كتاب عن الحريق فى الاعماق ، وهو عن حرائق ابار البترول اسبابها وطرق مكافحتها من خلال الخبرة والتجربة والسنين الطويلة . وبالرغم من ذلك مازال المهندس عبد الحميد الذى شارف السبعين يعزف على العود ويحاول كتابة قصص قصيرة واحيانا روايات يمزقها بعد ذلك وينساها بعد حين .

محمود السعدنى



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

التقوى

● التقوى في كثير من ايات القران الكريم تشير الى معنى : الترك والتجنب ، لما هو باطل في الاعتقاد ، وسيىء في المعاملات والتصرفات وسيىء في السلوك .

ولذا : الآيات التي تحكي دعوة الرسل السابقين لأقوامهم تطلب اليهم : التقوى أولا ، بمعنى الترك لما كانوا عليه ، كتمهيد لقبول الرسالة في جانبها الايجابي وهي العمل الصالح على اساس من الايمان بالله وحده . فتقول هذه الآيات :

« اذ قال لهم اخوهم نوح : الا تتقون ؟ » (الشعراء : ١٠٦) .

« اذ قال لهم اخوهم هود : الا تتقون ؟ » (الشعراء : ١٢٤) .

« اذ قال لهم اخوهم صالح : الا تتقون ؟» (الشعراء : ١٤٢) .

« اذ قال لهم اخوهم لوط : الا تتقون ؟ » (الشعراء : ١٦١) ..

« اذ قال لهم شعيب : الا تتقون ؟ (الشعراء : ١٧٧) ..

وفي حديث القران عن مهمة داود عليه السلام يقول : « ياداود : إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا ، يوم الحساب » (.. الى ان يقول : « ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات .. كالمفسدين في الأرض ، ام نجعل المتقين .. كالفجار ؟ » (ص : ٢٦ ، ٢٨) فتقضي الآية الأولى من هاتين الآيتين بأن جزاء الذين ينحرفون عن سبيل الله – وهو سبيل الايمان بالحق – هو العذاب الشديد يوم الحساب ، اي في الآخرة ..

وتجيء الآية الثانية هنا لتوضح : ان هذا الجزاء هو العدل بعينه ، ولكن في صورة منطقية ومقنعة . هي صورة : التفرقة في الجزاء بين المفسد في الأرض ، والمؤمن الذي يعمل عملا صالحا .. بين المتقي ،

وهو الذي يترك الجرائم الاجتماعية كلها من : زنا ، وسرقة ، وقتل ، كما يترك الباطل في الاعتقاد من الوثنية والخرافة ، وذلك الآخر الذي يقابله وهو : الفاجر الذي ينحرف عن الطريق المستقيم في السلوك والهدايـة معـا . فوضـع المفسد في هذه الآية : في مواجهة المؤمن الذي يعمل صالحا .. وهو وضع المتقي : في مواجهة الفاجر المنحرف ومن هذا الوضع ، وهو وضع التقابل ، يفهم : ان التقوى هي ترك الانحراف والباطل ، سواء في الاعتقاد .. أو السلوك .

● ومن اجل ذلك : ترد في آيات اخرى ، كلمة : التقوى ، بهذا المعنى والمفهوم – وهو مفهوم الترك والتجنب للباطل – في اقتران مع عمل ايجابي آخر طبقا للايمان بالله وحده كشرط لرضاء الله سبحانه . نقرا مثلا قوله تعالى : « وان تؤمنوا ، وتتقوا فلكم اجر عظيم » (آل عمران : ١٧٩) . وقوله : « وان تحسنوا ، وتتقوا ، فان الله كان بما تعملون خبيرا » (النساء ، ١٢٨) . وقوله : « وان تصلحوا ، وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما » (النساء : ١٢٩) .

فالايمان في اية ، والاحسان في اية اخرى ، والاصلاح في اية ثالثة هنا ، في مقابل : التقوى فيها جميعا .. يشير الى العمل الايجابي ، بينما : التقوى تشير فقط الى : الترك والتجنب . وقلما يكتفي القران في حسن قبول الانسان عند الله بالتقوى وحدها . بل يضيف اليها : العمل الصالح ، وهو العمل الايجابي المثمر ، ممثلا في الايمان او التصديق ، او ممثلا في الاحسان او ممثلا في الاصلاح . كما نرى هنا .

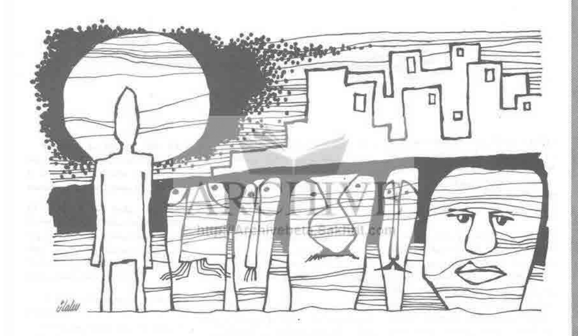
والمتقي إذن هو الذي يترك الموبقات ، والفحشاء والمنكر ، والاعتقاد الباطل ولكي يكون مقبولا عند الله لابد ان يعمل – بجانب ذلك الاتقاء – عملا صالحا قائما على الايمان بالله وحده ومتبعـا فيـه هدايتـه .

ولكن لأن ترك الفحشاء والمنكر والاعتقاد الباطل يحتاج من يتركها الى عزم قوي وارادة نافذة ، وصبر وتحمل .. كان دور المتجنب لها دورا اساسيا عند الله .

ولذا : عظم شان المتقي ، وشان التقوى في التقدير ، وفي العرف معا ..

بكائية طاهر عبد السلام

بقلم : علي حمد إبراهيم



يلزمني ان اكتب حكايته كاملة هذا المساء ، لأروح بها عن نفسي ، وليكون التاريخ شاهداً عليها . اعني حكاية زميل الدراسة ، وصديق العمر طاهر عبد السلام. لقد سكن الريح العاصف اخيراً ، وهدأ الموج الصاخب ، وكفت أمطار المدينة . والرعود تقلص هديرها ، واسفر من بين السحب والضباب قمر جديد ، يدافع ظلام الليل الذي لامس كل اطراف المدينة . كل موجات الأثير اخذت تتحدث عن حكايته الغريبة بمجرد ان طلع هذا الفجر الدافيء من ايام أكتوبر المبشر بالخير . الحديث عن « طاهر عبد السلام » يجب ان لا يترك للصدف ، ولا للذين لا يعرفون طاهر عبد السلام معرفة موثقة . انني اعتبر نفسي اكثر الناس معرفة بطاهر عبد السلام ، رغم انني اعترف أن فعلته الغريبة فاجأتني تماما .. اما نهايته ، فقد تركتني بخليط من المشاعر فلا انا حزين عليه ، ولست ادعى انني اتمنى له نهاية غير تلك التي انتهى اليها . ولكنى ابدا حكايته من البداية ـ اعنى حكاية صديقي « طاهر عبد السلام » .

اول مرة توثقت فيها علاقتنا كانت عندما انتهينا من الدراسة الجامعية ، واحتوتنا تلك المدينة بحياتها المتناقضة . كان شديد الاستغراق والتفكير ، لا يكاد ينظر تحت قدميه وهو يتجول فى طرقات المدينة عند كل مساء . يقرا اللافتات البارزة باهتمام شديد ، ثم يفكر قليلا ، ثم يبتسم لنفسه ، ويوسوس ببعض كلمات ثم يردد العبارة التي سمعتها منه كثيراً فيما بعد : « عفن كثير . يكفى لتلويث كل العالم . » ويمضي بتؤدة الى غير اتجاه . قال لى ذات مرة : « ساكتب سيرتي ، ليس لانني اصبحت مهماً ، لكن لانني اصبحت شخصاً هامشياً ، ينظر تحت عصف الريح . و لانني على يقين من ان هذا الريح الصرصر سوف يلقي بي في قاع القمقم ، فان كتابة سيرتي كانسان بائس ، يصارع اقداره العاتية ، سوف تقدم خدمة كبيرة لهواة البحث عن الآثار من الأجيال اللاحقة . فربما عرفوا من خلال سيرتى اننى كنت خلاصة بيئة ، زكم

العفن انفها فسالت واعشى القذى عيونها ، فغلبها ان تنظر الى اعلى » . ولكنه تساءل « هل من الممكن ان اكون مخدوعا هل تنعدم الرغبة في البحث والتنقيب عن الاسباب لدى الاجيال القادمة . فنضيع من ذاكرة التاريخ ، كما ضعنا من ذاكرة الحياة ؟ والدتي . تلك المرأة الصبورة المغلوبة على امرها معي ، تقول انني ولدت مخدوعا ، كبرت مخدوعا ، وسوف امضي الى منتصف الطريق قبل ان اكتشف مقدار الخديعة . فقد كنت طفلا مشاغبا وبطرا رغم انني ولدت وليس في فمي حتى ملعقة خشب . لذلك فقد كانت تزجرني كلما بدر مني مايعكر صفوها .. مولود على اللحاف ، وبطران .. » .

كانت تلك بعض هواجس صديقي طاهر عبد السلام في ايامنا الاولى في المدينة ، التي كانت تتحول الى سوق كبيرة للنخاسة البشرية . حقيقة الامر .. كان يزعجه تحول المدينــــة الى مــلاه ، تفــــوح منها الروائح الكريهة دون ان ينتبه احد الى ذلك النمو بالاتجاه المعاكس . وكان يجهد نفسه ويجهدني معه بالبحث عن مكان يمكن ان نمضي فيه امسية صافية . كان يسالني باستغراق غريب : « .. هل تسمع صوت هذا الهدير واهتزاز الأرض هذا ؟ وهذا الدوار الا تحسه ؟ .. كيف لا ترى كل هذا الضباب الكثيف يخيم على بنايات المدينة التي تطول الى اعلى ، بينما تغوص اساسات المدينة في القاع ؟ » وكنت اجهد نفسي لمجاراته في تهويماته ، او كنت أتظاهر بذلك . كان هذا في بادىء الأمر ونحن نعيش الدوار في المدينة التي اخذت تصرخ ملء شدقيها كالملسوع من عقرب مائي . ولكنني وجدت نفسي افكر في كل ما يقول باكثر من طريقة . كان يجذبني عمق تفكيره وقوة ملاحظاته . سالني ذات مرة : « .. لماذا تسرع عربات المدينة باتجاه البحر ؟ ولماذا تبطىء وهي تسير باتجاه الجبل ؟ ولماذا ترتدي المدينة رداء احمر في الليل ثم تلقيه عن جسدها اذا ما عم نور الصباح ؟ وأذرع هذه المدينة .. لماذا تبدو ضارعة باتجاه البحر ، وكانها تطلب النجاة من البحر ؟ » .

ويتنهد طاهر عبد السلام طويلا ثم يضيف جملتين : « مسكينة هذه المدينة ! انها لا تدري عدد أسماك القرش في البحر ، ولا تستطيع ان تشيح بانفها عن رائحة العفن الذي يزكم انفهـــا ، ويلوث كـل الارجاء .. » .

اعترف انني لم استطع ان افهم صديقي طاهر عبد السلام بالكامل ، رغم العشرة الطويلة . لكنني لمست عن قرب مواهبه المتفردة العديدة . وطربت روحي لخاصية السخرية ـ الحادة التي تعمر روحه الصافية . فقد كان ساخرا حتى اخمص قدميه . قال لي ذات مرة ان والده يزرع الحبوب الزيتية منذ عقود سحيقة من الزمن ، ولكنه لم يستطـع ان يوفر رطلا واحدا من الزيت لعياله الذين ياكلون الخبز الناشف بالماء والملح . طاهر عبد السلام يعتقد ان والده يزرع الحبوب الزيتية فقط لكي يقال إنه يشارك في عملية تحويل البلاد الى قارورة زيت للمنطقة العربية ..

في محيطنا الصغير اخذنا نلحظ بروز مواهب طاهر عبد السلام في الرسم بصفة خاصة . لوحاته كانت بلون الدم والزيت ، تتشابك الأشياء فيها حتى لا تستبين البدايات والنهايات . ويبدو الافق غير الافق ، كانه يضرع الى اعلى . حقيقة الامر .. كل الاشياء في لوحات طاهر عبد السلام تضرع الى اعلى ، رغم لا تميز بوضوح ـ لماذا تضرع الأشياء ؟ .. او من اين تبدا الضراعة والى اين تنتهي . لقد قلت قبلا ان الاشياء في لوحات طاهر عبد السلام تتشابك باهتياج عنيف . لوحات «تل الردى» و «الخروج السادس» و «الحصار» ، تصدم مسامات الحس بصورة قاتلة ... الاطفال والنساء والعجزة يتكدسون تحت سنابك خيل ضلت طريقها ، والموتى يعانقون وطنا يرونه في الخيال ، او ربما تمثلوه في خيمة تحت قنابل الاشقاء ، او في حفرة تحميهم من الرصاص العائم فوق رؤوسهم .. قال لي طاهر عبد السلام ذات مرة ان بعضنا يقتل لانه اصبح عبئا على اعصاب الآخرين .. اننا يجب ان نطرد الموت العبيط . حتى لا تقتلنا الديكة الرومية . ثم همس لنفســـه لا يمكنني ان اتصالح مع هذا الجاثم على صدري .

وتطول بنا الايام ونحن نبحث في ليل المدينة ونهارها عن عمل يوفر لقمة العيش الشريفة لنا .. لم اكن اتصور انني ساصبح مطلوبا لان اكتب كل ذلك رغم انني شاركت في الاحداث من الموقع الاقل .. اذكر حتى هذه اللحظة ان طاهر عبد السلام كان يقول : إن الابطـــال هم الذين يكتبون الواقع بدمائهم ولا يعيشونه ..

اتذكر ذلك اليوم الذي شفت فيه روح الفنان في طاهر عبد السلام مقدار الياس الذي اصابني : ان لا يسفر صبح جديد بعد ليل المدينة الذي طوانا بظلامه الدامس الطويل . فقد ضحك ساخرا وقال : « ان اشجار البلوط لا تقف الا على جذور راسخة .. دعنا نكون كاشجار البلوط . نموت واقفين اذا كان لابد من الموت .. »

« الحياة بالنسبة لي قضية خسرتها منذ بعض الوقت . حقيقة الامر . لقد خسرت حياتي قسرا .. اخذت مني حياتي بالقوة . ولكي استرد حياتي ، فانني على قناعة بان ما اخذ مني بالقوة لن يكون باستطاعتي رده الا باستعمال القوة ذاتها .. الذين يقفون في منتصف الطريق دائما تفوتهم سفن النجاة .. اما الذين يمدون ايديهم في كل الاتجاهات املا بان تلتقطهم احدى السفن العابرة ، فهؤلاء يغرقون لان سفينة النجاة الواحدة لا تاتي من جميع الاتجاهات .. اما الذين يرهنون انفسهم للظروف بانتظار ان يكون لكل حادثة حديث فهؤلاء تفوتهم فرصة الحديث ، عندما ياتي وقت الحديث ، فلايستمع اليهم احد ، فيبتخرهم عباب السفينة . » ثم زجرني طاهر عبد السلام .. ان احسن صحبته ، والا فراق بيني وبينه اكيد . قلت بل احسن صحبتك فتمتم بكلمات لم اتبينها كاملة .

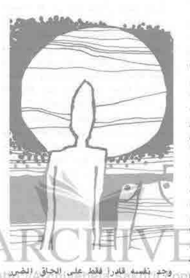
كان يكثر عن الم مفاجيء ، ثم اخذ يهمس لنفسه « .. لقد اضاعت الثيران الضعيفة ابقارها يوم تركتها للثور الابيض يرعاها لوحده ، ولم تات لنجدته يوم اكل ذلك الثور الابيض . لقد دارت الدوائر على الابقار الهزيلة فلم ينفعها خوارها العالي ، ولا الضراعات المستكينة . »

وتمتد مناظراتي مع طاهر عبد السلام عبر ليل المدينة الطويل . كان شغوفا بقراءة التاريخ . في غرفة الطعام يظل ممسكا بكتاب التاريخ . في غرفته تراه دافنا عيونه في كتاب التاريخ . وحتى عندما يلف حيّنا الظلام الكثيف ، يظل نور مسرجته يقاوم النعاس ، بينما عيون طاهر عبد السلام تلتهم السطور . ولكنه كان يقذف بالكتاب بعيداً ، احيانا ، ويقفز من مكانه كالملدوغ وقد انتصف الليل ، ثم يناظر نفسه في توتر أشبه بالجنون ! هذه أمتنا لها تاريخ مذكور .. ولكن ما بالها لا تنهى العدو عن حياضها ـ هذه الامة . لو ان كل صاروخ من الامة اخذ حجراً ورمى به هذا العدوا ، لفعلوا به كما فعلت الطير الابابيل بجيش

ابرهة المعتدي . ولكنهم لا يريدون اخذ المسالة كل تلك المسافة . »

وتفترق بنا السبل . اختار طاهر عبد السلام ان يختفي من على سطح الحياة كما يقول لي دائماً . لم استطع ان افهم بالكامل ماذا كان يعني بالاختفاء من سطح الحياة . صحيح لم اتعمق في المحاولة لكي افهم ، لانني كنت قد سئمت كثيرا من التفكير الفلسفي الذي ملا به راسي . كانت مشاكلي قد تفاقمت ولم يعد لدي لا الوقت ولا الرغبة في اضافة المزيد من المشاكل الذهنية الى مشاكلي الاخرى باي حال . ودعت طاهر عبد السلام ذات مساء وقلت له .. لنكن على صلة . فعشرة الايام الطويلة التي عشناها سويا يجب ان تبقى . ان احزاننا المشتركة باقية ، وكذلك همومنا المشتركة ، وايضا امالنا . لم يعلق بشيء . اعطاني صورته الشمسية . قال : احفظ هذه . هي تذكرك بشخصي في جميع الحالات . خصوصا في الحالات الخاصة والطارئة . ووعدني بان يكتب لي اذا وجد ما يستحق ان يكتب .. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بالفعل عندما اغلق باب غرفتنا المتواضعة وراءه . واسلم نفسه للظلام ..

وتمضي سنتان قبل ان اسمع من طاهر عبد السلام اي جديد . الرسالة الطويلة التي وصلتني منه في تلك الامسية زادت من حيرتي . طابع البريد وختم الارسال يشيران الى نفس المدينة . طاهر عبد السلام لم يغادر المدينة اذن . ربما غادرها وعاد اليها . ربما جاء اليها في زيارة قصيرة المهم انه كان موجودا في المدينة عندما كتب هذا الخطاب . وتاريخ الخطاب يقول انه كتب في يوم السبت العشرين من اكتوبر . ولكن الطريف حقا هو ماذا كتب طاهر عبد السلام بعد سنتين من الانقطاع عن صديقه الذي قاسمه قسوة الاغتراب في ليل المدينة الطويل . كتب قائلا انه ظل يكافح : (فندقيا) حتى صار من فصيلة المكافحين الذين لا يلحقون اذى باحد ، ولا يلحقهم اذى من احد الا ما قدر الله منذ الأزل . وانه



وجد نفسه قادرا فقط على الحاق الضرر ببعض ابنية المدينة وبعض اهلها من السابلة .. اما ليل المدينة القاسي الطويل فهو لم يزل هناك . انه مازال يتعلم كيف يرمي ليل المدينة هذه بحجر . واختتم رسالته بان سالني عما اذا كنت مازلت احتفظ بصـــورته القديمة . قال .. انهـا لا تشبهه الان .. ولكنها تعطي قريبا من ملامحه الاساسية على اي حال .. وقال ايضا بعد عودته من سفره الطويل ربما اعطاني صورة اخرى . ثم وقع على رسالته بنفس توقيعه القديم .. (طاهر عبد السلام العزب) ساعتها فقط تذكرت اننا كنا نناديه بذلك اللقب ـ العزب ـ ونحن بعد طلبة في الجامعة .. كان هو نفسه الذي اطلق على نفسه لقب ـ العزب ـ اذ كان يقول انه عزب من صفتين من صفات عصر التدني ـ كما كان يسميه ـ وهما صفتا الخوف والطمع . فهو لا يخاف الا من الواحد القهار ، ولا يطمع في غير شبر من الارض تدفن فيه رفاته . اذكر اننا ضحكنا للصورة الجميلة التي يرسمها لنفسه بهذا اللقب ، ثم اعجبتنا عندما تدبرناها ، فاطلقناها عليه . كنا نناديه بطاهر العزب او طاهر عبد السلام العزب فكان يقبل علينا مبتسما .. كانه يسعد بذلك النداء . لقد انستنا هموم ما بعد عصر الجامعة كثيرا من الطرائف والملح ، وعدنا اناسا نكشر انيابنا عن خوف شديد . لقد اكتشفنا ان السؤال كان اكبر من الاجابة المطروحة .. ان تستمر الاحلام الجميلة على عهد الجامعة الى ما وراء ذلك العهد وكيف .. تلك خواطر اعادتني اليها توقيع طاهر عبد السلام فقط في هذه اللحظة ..

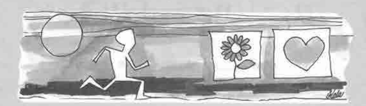
ولكنني غضبت مرتين من رسالة طاهر عبد السلام . انه لم يترك لي عنوانا ارد اليه فيه . هذا اولا وقبل كل شيء . ثم انه لم يسالني عن احوالي الخاصة ، ولم يذكر لي شيئا عن احواله هو الخاصة . لقد ملأ رسالته كالعادة بحديث النظريات التي ماأشبعت بطنا ، والعنتريات التي ماقتلت ذبابة . هذا ما خطر بذهني على اي حال . وضعت الرسالة برفق في مكان امين وقلت ارد عليها لو اردفها طاهر عبد السلام باخرى تحمل عنوانا . ثم قمت الى صورته القديمة انظر اليها باعجاب . قال إنها لا تشبهه الآن . ولكنها تعطي بعض ملامحه الاساسية مازالت . هذا الشخص مازال مناكفا بعد سنتين من الانقطاع ـ قلت لنفسي ، ثم مضيت في بعض شئوني الخاصة ..

وحدث ذلك الشيء الغريب في ذلك اليوم الدافيء من اكتوبر ... كل موجات الاثير كانت تتحدث عن السائق الغريب الذي اقبل نحو العدو وهو يبتسم .. لقد نسف العدو . ونسف نفسه ايضا .. كانه يريد ان يلتحم مع العدو لاول مرة التحاما حقيقيا . عندما نشروا صورة السائق المبتسم للموت وجدت نفسي احتضنها بعنف .. فقد عرفت صاحبها .. طاهر عبد السلام العزب . صحيح انها لا تشبه الصورة التي معي . ولكنها تعطي الملامح الاساسية للبطل . لقد وعد بان يعطيني صورة جديدة بعد عودته من سفره الطويل ..

علي حمد ابراهيم ـــ ابو ظبي



شعر: عبدالرحيم عمر



قَدْكَ ما اَجَّجْتَ فى القلب المولّعْ !
يا شَجِيَّ الصوت : يا من يسكب
الاحزانَ من اعماق اعماق الاسى فى كل مَسْمَعْ
ثانى اثنين تلاقي الشمس ملهوف المنى فى كل مطلع
لا تذرنى خجلا فى ثوب اعذارى المرقع
ضائعاً بين التأني والتمني واستغاثات : انصروني [1]

● ● ●

لا تذرنى حائر الخطو مُرَوَّع
هدفاً للريح تذرو الرمل فى حبة عيني
كلما اغمضت الاجفان جاء العصف اوجع
والصدى يرسم حَدّاً زائغاً بين مدى الصوت وبيني :
انصروني .. انصروني

● ● ●

اى نصر من فراغ الصمت تستجدين بالدمع والوان البكاءْ
لقتيل راح لم يأبه له اهلٌ ،
ولا انهلّ له دمع الخنساءْ
لم يزل يُقْتَلُ فى كل صباح ومساء
عاشقاً اَغْنَى قصيد الشعراء
شاعرا غَنّى شموخ البسطاء
ثائرا جَسّدَ معنى الكبرياء
عاملا امن ان العمر من كدح ومن طول كفاح وعناءْ

● ● ●

اى هامه ؟
جاوزت فى بثها العاني نواح المستهامه
هجرت حاضرة القوم وشطت ذاهله
لم يؤانسها ضجيج القافله
فمضت للبيد لهفى جافله
خبزها اليومي
ندب الدَّم فى الحي المجَوَّع
كلما ازداد شجاها
افتقدت بعض رجاها
وتلظّت تحرق الوحشة والريح جناحيها
فاغضى العالم المسكون بالرغبة فى الأذلال والصمت المقَنَّعْ
وكان الريح والانواء فى الكون تنادى : انصروني
وكان الورق فى الغابات ، فى اعشاشها جرحى ، تنادى : انصروني
وكاني الواحد المسجون فى عالم شنق الذات قد قررت ان اخرج !
أن اجعل نفسي الزيت والنار لمن يشكو من القرّ
وان اجعل نفسي الماء والزاد على مائدة الفقر
وارجو ضارعاً ان ينصروني !

● ● ●

لا تذرنى خاوى القلب مُلوَّعٍ
فالأعاصير التى تعدو وقد خلّت صعاليق الشعاب
ليس فيها من جنوح الرغبة الملحاح للأسمى سوى بعض رغابي
فاذا اقفر روضى بعد أن اينع بلقعْ
فلقد انفقت عمرا كاملا وسط اليباب
حائرا بين وعود النبع بالماء واحلام السراب

● ● ●

يا شهيداً ! ظل يستنخي شهامات الدهور الأزلية
حاملا فى كل ارض عربية
شوقها اللاهب للآتي ، وما يمنع فيها من كلام
مرة ابصرته يقتل فى لبنان مجهول الهويه
وعلى « الأوراس » يقضي حاملا سفر الوصايا العربيه
وعلى شطآن « عكا » يلبس الكوفية البيضاء ، يخفي سر احزان جديدة
كيف اصبحت من الماء إلى الماء نياشين وموسيقى « سلام »
وتلاشى الشوق للأسمى ،
وغابت عن مساء الحيّ اصداء : انصروني .. انصروني ..

هـامش :

(١) كان العرب يعتقدون ان هامة تخرج من راس القتيل تظل تصرخ « انصروني » الى ان ياخذوا بثأره

حول كتاب : د. كافود

النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي

● الحلقة الأولى ●

بقلم : عبدالرزاق البصير

في تقديري ان افضل ما يقدمه المفكر في منطقة الخليج العربي ، هو ان يغرس في النفوس حقيقة ثابتة منذ تكونت هذه المنطقة ، وانتشر الانسان العربي في اقطارها ، وهذه الحقيقة تقول بانه لا توجد اية فوارق اجتماعية او حضارية بين هذه الأجزاء العربية في الخليج . فالفرد العربي من سكان اى جزء من اجزاء الخليج العربى لا يمكن ان يشعر بغربة حين ينتقل من الكويت مثلا الى البحرين او الى قطر او عمان ، لان التقاليد والعادات .. لا اقول متشابهة ، وانما اقول واحدة ، على الرغم من ان المستعمر بذل جهودا كبيرة ليوهم الناس بوجود تفاوت وتباعد فى الاخلاق والطباع والعادات ، ولكن طبيعة الاشياء وقفت امامه منتصبة كالجبل السامق معلنة للعالم ان ما يهدف اليه لا يمكن ان يكون ، لان وحدة الخليج كالشمس الساطعة التى تبدد بشعاعها ماياتيها من سحب مهما كانت ثقيلة . الا اننا مع ذلك فى حاجة الى طرح هذه الحقيقة واعادة الحديث عنها ، لان وسائل المستعمر كثيرة متنوعة قد تصنع بعض السحب ، ولاسيما فى نفوس الجهال ، اذ ان المنتفعين من الذين يتاجرون بالكلمة يغذون جهود المستعمر ، الامر الذى خلق ما نشاهده من تفكك يتجلى فى دنيا السياسة ، وهو امر يمزق نفس كل عربى مخلص ، ويتجلى هذا التفكك فى ما يتخذ من خطوات اقتصادية وتربوية تجعل المصالح مختلفة على غير منهج منطلق من التكامل . ولكن الذى يخفف من الالام هو أن ذوى المصالح الاقتصادية قد تنبهوا الى هذه الناحية الضارة فاخذوا يسعون الى التكامل الاقتصادي ، لادراكهم ان الفرد لا يمكن ان يكتفى بالآثار الذظرية التى يصدرها المفكرون من حين الى حين ، وانما يريد ان تكون هذه الآثار الذظرية واقعا محسوسا .

ولعلي لو اردت ان اتحدث بالتفصيل عن النواحي الاقتصادية لخرجت عن القصد ، ولكن نظرة متجردة الى تقارب نظم المصارف والى ما طرا من الغاء بعض الحواجز ، والى ما يقوم به رجال الاعمال من نشاط في مختلف اقطار هذه المنطقة يؤكد ما اشرنا اليه من اننا مقبلون على اقتصاد متكامل ، وهو بلا شك من اهم الأركان للحلم الذي يداعب النفوس ونعني به الوحدة السياسية لهذه المنطقة ، اضف الى ذلك ماتشهده المنطقة من مؤتمرات وندوات ثقافية واجتماعية لمحو ما زرعته ركائز الاستعمار من اوهام في بعض النفوس .

ومهما يكن من امر ، فان حديثي هذا لم يكن مقصوداً به أن أمس الناحية العزيزة على قلوبنا واعنى بها الوحدة ، وانما قصدت به ان يدور حول الناحية الثقافية لأني أريد أن اناقش الدكتور محمد عبد الرحيم كافود حول بعض ما جاء في كتابه « النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي » من قضايا نقدية ، لما لهذا الكتاب من اهمية في دنيا الثقافة ، ذلك ان الاستاذ كافود قد درس الحركة الثقافية في منطقة الخليج العربي دراسة دقيقة مركزة ، مبتدئا بالناحية التعليمية ، فالمؤلف يرى ـ والحق معه ـ أن التعليم هو القاعدة التي يرتكز عليها وعي الانسان ، الأمر الذي يؤهله للمساهمة في تغيير مجتمعه الى الافضل ، متخذا شتى الوسائل في ذلك والصحافة من اهم الوسائل لذلك .

لهذا ، نجد المؤلف يؤرخ الصحافة الخليجية مبتدئا بمجلة « الكويت » التي اسسها المرحوم عبد العزيز الرشيد ، ثم بكل المجلات والجرائد الشهرية والاسبوعية واليومية ، مشيرا الى ما للصحافة من دور كبير في النقد عامة ، غير ان المؤلف كان مهتما بالنقد الادبي لانه كان الغرض الذي قصده في هذا الكتاب القيم .

وكنت اتمنى لو ان المؤلف اشار الى ما للنقد من اثر كبير فى التطور والتجديد ، لان النقد لا يقتصر على الجانب الادبي وانما يتناول شتى جوانب الحياة من اقتصاد وسياسة واجتماع ، واكاد اقول بان النقد الادبي يهم المتخصصين الذين يعنون بالشعر والقصة وما الى ذلك من الناحية الادبية .



غلاف كتاب النقد الادبي الحديث في الخليج العربي

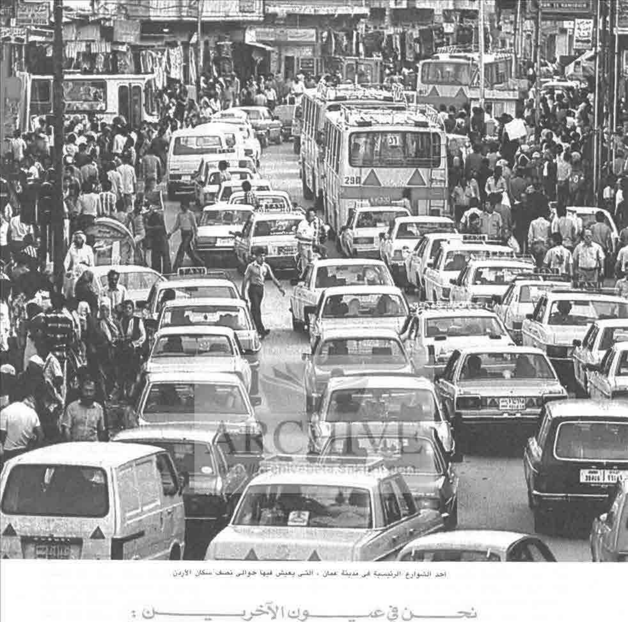
اما النقد بمعناه العام ، فانه يمس الحياة بصورة شاملة ، مما قد يعرض الناقد الى كثير من المتاعب ، فمن المحقق ان المؤلف لا يخفي عليه ان احتجاب كثير من الصحف وارغام الكثير من المثقفين على ان يبتعدوا عن نشاطهم وممارساتهم ، بل حتى عن اعمالهم التي تمكنهم من العيش ، كل ذلك يعود الى ما يمارسه من نقد في الشئون العامة ، كان على المؤلف ان يلم بذلك لتكون دراسته اشمل ، فان في ذلك اعظم النفع للجيل الناشيء ، خاصة وان المؤلف لا تنقصه الجراة الادبية كما سيتضح بعد حين . وعلى كل حال ، فان المؤلف كان موفقا حين تحدث عن مقاييس النقد عند القدامى ، وانها تعتمد على الذوق وهو مقياس غير صالح للحكم على الاثر الادبي ، على الرغم من اهمية ذلك المقياس ، لان الاذواق تختلف من شخص لآخر من حيث السمو او الهبوط ، ولهذا نستطيع ان نصف هذا المقياس بالقصور (اذا ظل وحده مقياسا للحكم) ، وهو حق ، ولكن ليس هو الحق كله ، فالاديب الموهوب يفرض نفسه على الناقد حتى لو اتخذ الذوق مقياسا له في احكامه ، بدليل ان النقاد القدامى مجمعون على تقدير الموهوبين من الشعراء قبل الاسلام ، والموهوبين من الشعراء في العصر الاموي والعباسي ، كاصحاب المعلقات ، وجرير والفرزدق وبشار وابي نواس وابي الطيب المتنبي وأمثالهم . ولست اجهل اختلافهم في تفضيل هذا الاديب او ذاك ، معتمدين في ذلك على الذوق ، ولكنهم جميعا متفقون على طاقة اولئك الشعراء وانهم يفوقون غيرهم من الشعراء في القوة الادبية .

وانا متفق مع المؤلف في رايه القائل بان النقاد في منطقة الخليج العربي ، قد ساروا على النهج القديم في النقد ، ولكني اظن ان سبب ذلك يعود الى ان هؤلاء النقاد لم يطلعوا على نظريات النقد الحديثة ، التي لم تصل اثارها الى هذه المنطقة الا بعد ان اصدر النقاد عندنا اراءهم واحكامهم على ما وقفوا عليه من آثار ادبية ، وما اظن اني ابعد عن الصواب من أن المؤلف لو اصدر كتابه هذا قبل ثلاثين سنة لكان نهجه نهج اخوانه من نقاد هذه المنطقة ، ومهما يكن من امر ، فان نقاش المؤلف لأدباء هذه المنطقة نقاش موضوعي مفيد جدا لانه بعيد عن المجاملة ، ثم انه ارخ في خلال هذا الفصل لكثير من النقاد ، مما يجعل مؤلفه مرجعا لكثير من الناس ، بل ان هذا الكتاب ربما سيدفع النقاد الى ان يعيدوا النظر فيما سيصدرونه من احكام واراء للآثار الأدبية في المستقبل ، وهو امر عظيم الاهمية .

ولست في حاجة الى ان اوضح بانني اشارك المؤلف فيما ذهب اليه من مخالفة الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري ، من ان الشاعر هو القادر على نقد الشعر ، فقد بين المؤلف ذلك بصورة مفصلة حينما تعرض لما ذكرته من صفة الناقد الادبي (ص ٤٩) .

وما احب ان اخفي على القراء انني استغربت أعظم الاستغراب من ذلك الفصل الذي عقده المؤلف والذي تحدث فيه عن خصومات ادبية ، وفيما جاء في تلك الخصومات من اراء وافكار لبعض النقاد في منطقة الخليج ، وقد ناقشها المؤلف مناقشة نقدية ، وكان ذلك قبل خمس واربعين سنة ، وهي ايام كنا فيها مبتدئين في ممارسة النشاط الادبي ، وقد قلت اكثر من مرة ان اول مقال نشرته في جريدة البحرين هو المقال الذي انتصرت فيه للدكتور زكي مبارك ، حينما كان يهاجم المرحوم احمد امين ، ومن يراجع تلك المقالات يجد ان المسالة ليست مسالة دعوة الى التجديد ودعوة الى المحافظة حسبما ذهب اليه المؤلف ، فقد كان احمد امين يقول عن الأدب العربي بانه ادب « معدة » ، وانه لايصلح لان يكون ادبا انسانيا ، الامر الذي اثار الدكتور زكي مبارك فقام بمهاجمته بكل قسوة وغلظة ، ولقد عدت الى ما كتبه الدكتور زكي مبارك ، فوجدته يصف احمد امين بالجهل والعامية ، ووجدته ينعت احمد امين بانه « ممعود » كما حدثنا عن محاربة الهنود لمعدهم ، وهذا ما جاء في بعض تلك المقالات .. يقول الدكتور زكي مبارك : « ان المباعدة بين المعدة والروح عقيدة هندية الأصل ، وتلك المباعدة هي التي قضت بان يعيش الهنود فقراء ، ولو احترم الهندي معدته كما يحترم الانجليزي معدته لما استطاع الانجليز ان يكونوا سادة الهنود » . وهذا قول لا يستند على اساس من المنطق كما هو معروف لان الهنود هزموا الانجليز دون ان يحترموا معدهم .

ومن المحقق انني لا اعد تلك المقالات التي نشرتها في ذلك الحين من المقالات التي تستحق التسجيل والنقاش ، لانني كنت قد كتبتها قبل ان يستوي نبات الأدب على سوقه في نفسي ، واني لأشكر صديقي الدكتور كافود ، حيث شوقني الى قراءة تلك المقالات التي كتبها الدكتور زكي مبارك ، كذلك وجدت في هذا الفصل فقرة تشير الى كتاب « في الشعر الجاهلي » الذي الفه الدكتور طه حسين والذي اثار هزة فكرية عظيمة ، كان فيها اكبر النفع ، ولكنها - فيما اعتقد - تتصل بمنهج المؤلف في هذا الكتاب لان « طه » كان يعالج قضية انتحال الشعر ، وان ما ينسب الى الشعراء الجاهليين امر مشكوك فيه ، فهي تعالج صحة الادب الجاهلي ، وهي قضية تختلف عن تطور النقد الادبي ، ولكنه استطراد مفيد لكثير من الناشئة ، لاننا نرجو ان يشوقهم الى الوقوف على ما احدثه ذلك الكتاب من اثر كبير ليس في الجانب الادبي وانما في الجانب الفكري ، على انني اود في الحلقة القادمة ان لا اترك هذا الفصل قبل ان اناقش المؤلف فيما ابداه من راي حول الشعر القديم .



احد الشوارع الرئيسية فى مدينة عمان ، التى يعيش فيها حوالى نصف سكان الأردن

نحن في عيون الآخرين :

جولة في ربوع الأردن

بقلم: توماس ابركرومبي ● تصوير: جودي كوب





من اثار البتراء عاصمة النبطيين

بعض شباب الأردن بالملابس الوطنية فى الجامعة

انتهت الحافلة الصغيرة من قطع المنطقة الحرام وتوقفت امام اخر نقطة تفتيش عربية وسط اعواد الاسل النامية على ضفة نهر الاردن .

اطل ضابط اردنى ذو شارب كث خلال باب الحافلة . وقال : باسبورتات !

كنت حريصا على تسليمه جواز سفرى الموجود فى جيب معطفى الايمن . راح يتطلع اليه ويقارن بين الوجه والصورة ..

قال الضابط الأردنى وهو يعيد الى وثائقى : الله يسلمك ! واوما لى وانصرف .

وقرقعت عجلاتنا فوق الواح جسر الملك حسين او جسر اللنبى كما كان يعرف من قبل ، وهو احد جسرين مقامين فوق نهر الأردن المضطرب ، اما الآخر فهو جسر داميا الذى يبعد ١٦ ميلا الى الشمال . ان عرض النهر هنا لا يتجاوز ٥٠ قدما حيث يقطع التيار اخر امياله نحو البحر الميت بمياهه اللزجة المالحة ، فى هذا النهر جرى تعميد السيد المسيح ، والى اليوم لايزال الحجاج ياخذون ملء الاوانى للتبرك ، وعبر ضفافه الطينية سارت جيوش المصريين والفرس والاغريق والرومان والبيزنطيين والعرب والترك فى طريقها نحــو انشــاء الامبراطوريات .

« شالوم .. شالوم » ..

قالها جندى اسرائيلى يحمل مدفعا رشاشا وهو يدخل الحافلة ، اخرجت جواز سفرى ، الآخر من جيبى الايسر ، وراح حرس الحدود الاسرائيليون يفرغون محتويات حقيبتى وهم يفتشون كل ما تصل اليه اصابعهم ، حتى لقد فحصوا عينة من معجون اسنانى وفكوا ماكينة حلاقتى الكهربية ، واخيرا قامت امراة من البوليس الحربى بلصق طابع فى جواز سفرى ، ان

مثل هذه العلامة إذا وضعت فى جواز سفرى « الحقيقى » كفيلة بعدم ادخالى البلاد العربية او حتى العودة من حيث جئت عبر نهر الأردن ، ولذلك كنت كالكثيرين من امثالى الذين يعبرون النهر كثيراً ، احتفظ بجوازين للسفر احدهما للعرب والآخر للاسرائيليين .

وقالت المجندة الاسرائيلية بالانجليزية وهى تعيد لى وثائقى : مرحبا بك فى اسرائيل .

انتابنى شعور بالراحة للانتهاء من هذه الرسميات فلم احاول ان اصحح لها ما قالت فانا لست الآن فى اسرائيل ، حقا لقد احتلت اسرائيل هذا الجانب من نهر الأردن عام ١٩٦٧ ولكنها لم تضم اليها رسمياً الضفة الغربية .. اذن فانا قد عبرت من الأردن الى الأردن . اليس كذلك ؟

إن العرب هنا يمثلون ٩٧٪ من سكان الضفة الغربية ، وهم يعتبرون بمثابة مواطنين أردنيين ، واللغة الغالبة هى العربية ، والثقافة عربية ، وهنا ايضـــا تطبق القوانين الأردنية ويتعامل الناس بالدينار الأردنى وكل دول العالم تقريبا بما فيها الولايات المتحدة تنظر رسمياً الى الضفة الغربية والقدس الشرقية باعتبارهما « أراض محتلة » ، وحتى الأردن نفسه يعتبر سكان الضفة فلسطينيين يجب ان يقرروا مصيرهم فى النهاية . ولكن بالرغم من أن اتفاقيات كامب ديفيد تلزم اسرائيل بالانسحاب عند الوصول الى اتفاق إلا ان الحكومة الاسرائيلية الحالية عازمة على الا تفعل ذلك مطلقاً .

هذه هى « الاراضى المقدسة » من قديم ، لقد ظلت تحت حكم الاتراك العثمانيين عدة قرون ثم خضعت للانتداب البريطانى على فلسطين وشرق الأردن بعد الحرب العالمية الاولى ، وفى عام ١٩٤٦ اعلن عبد الله ملكا على دولة عربية مستقلة هى المملكة الاردنية الهاشمية ، وفى عام ١٩٤٨ قامت اسرائيل ،وادى ذلك الى الحرب العربية الاسرائيلية الاولى ، وبالرغم من ان الحرب انتهت بهزيمة الجيوش العربية وتركت معظم الشعب الفلسطينى تحت الحكم اليهودى إلا ان القوات الأردنية احتفظت بالقدس الشرقية وسيطرت على الضفة الغربية لنهر الأردن التى اختار سكانها الفلسطينيون أن يتحدوا مع الأردن . وفى حرب ١٩٦٧ احتلت اسرائيل الضفة الغربية ولا تزال تحتلها .

● ●

فى كل مرة أعبر جسر اللنبى الضيق من الأردن الى الأردن (أو الى الأراضى المحتلة) واعود من حيث اتيت اشعر بالتوتر المتصاعد على جانبى النهر ، فليست هناك دولة تشارك اسرائيل فى مثل هذه الحدود الطويلة كالاردن ، وقد اقامت اسرائيل بالفعل حوالى ١٥٠ مستعمرة يهودية تلقى بظلالها على مستقبل الضفة الغربية ، وتؤثر فى رخاء المملكة الأردنية بالكامل وتجعله محفوفا بالشـــكوك والمخاطر .

لقد قمت مؤخرا بجولة استغرقت شهرين فى تلك الدولة الهامة بالشرق الأوسط ، خلال هذه الجولة تحدثت مع أردنيين فى المزارع والمصانع .. فى القصر الملكى وفى مضارب البدو المتربة ، فى الوزارات وقاعات المدن .. فى الجامعة وفى مواقف سيارات النقل البعيدة داخل الصحراء .

وفى عاصمة الأردن المتاججة بالنشاط ، عمان ، اكتشفت لنفسى ملجا مفضلا ، هو الطابق الثانى من مقهى يسمى « سنترال » فى قلب السوق القديم ، هناك كنت اجلس لادخن « الشيشة » بينما النادل يضيف بين الحين والآخر جمرات من الفحم المتقد بواسطة ملقاط حديدي كبير .

ان معظم رواد المقهى ـ وجميعهم من الذكور ـ يأتون الى هنا للدردشة ولعب الطاولة ، اما بالنسبة لى فقد كان المقهى بمثابة بانوراما عن الحياة الأردنية ، إذ عندما تهدا حرارة الجو فى ظلال الاصيل تمتلىء الحارات اسفل المقهى بالضوضاء والمارة الذين ينتمون الى ست جنسيات مختلفة على الاقل ويغشـــون الدكاكين والمتاجر الصغيرة التى تعرض اكواما من اوانى الطبخ والأطباق الصيني والمعاطف والحقائب والصنادل والاحذية ،فاذا انتهيت من مشروبى استجمعت قواى ، ونزلت الى اسفل لاتحول الى نقطة داخل هذا المنظـر المبرقش !

على طول شارع الملك فيصل مررت على دكاكين الصاغة والصرافين . وتزاحمت بين القرويات بملابسهن المزركشة ، والتجار الذين يرتدون حللا من ثلاث قطع وعلى رءوسهم غطاء الرأس العربى ، وعمال البناء المصريين بجلاليبهم الطويلة وهم يسيرون فى جماعات وقد حمل بعضهم اجهزة « الستريو » الجديدة اللامعه .

وتحت مآذن جامع الحسين تمتد صفوف من باعة الحلوى العربية حيث يتعطر الجو برائحة السكر المعقود وماء الورد لتحلية البقلاوة والكنافة والبورما ، ويتهافت الناس على شراء الفستق المقشر . وتوقفت امام احد الاكشاك ، عبارة عن متجر بدوى عام يعرض خليطا من البرادات والسروج والسيوف والصوف الخام ومصائد الفئران والدفوف ، والى جانبه اخر يعلق على جدرانه قطعاً من السجاد الزاهية الالوان منسوجة يدويا بواسطة سكان الصحراء

قال لى وزير العمل جواد العنانى وهو اقتصادى تلقى تدريبه فى امريكا والتقيت به فى مكتبه الجديد فى مركز شميساني ، ان اهم مواردنا القومية « الخبرة » .. ان الأردنيين يعطون أولوية عالية للتعليم .. والاسر الاردنية تقتر على نفسها وتضحى كى ترسل ابناءها وبناتها الى المدرسة .

واضاف وزير العمل الاردنى : ونتيجة لذلك لدينا الآن فائض مهارة .. ان حوالى ٣٠٠ الف عامل ماهر ـ اى نصف قوة العمل الأردنية ـ يشتغلون فى الخارج ، معظمهم فى المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى ، وهم يرسلون الى الوطن اكثر من بليون دولار سنويا تمثل اكبر مورد منفرد للدخل بالنسبة للاردن . اما البطالة فلا وجود لها تقريبا بل نحن فى الواقع نستورد عمالا من الخارج فلدينا ١٢٥ الف عامل اجنبى معظمهم من مصر .

اللقاء الثانى

فى قصر بسمان المطل على وسط عمان استقبلى جلالة الملك حسين بن طلال . لقد انقضت الآن خمس عشرة سنة منذ التقيت بجلالته لاول مرة فى هذه الحديقة الصغيرة التى تقوم فيها اشجار الصنوبر والسرو . ان الملك الشاب لايزال صوته كما كان عميقاً ، وتحيته دافئة ، وقبضة يده فى المصافحة حديدية . ولكن جلالته صدمنى بان بدا اكبر من عمره اذ يبلغ الآن السابعة والأربعين فقط ..

لقد ظل الملك عدة شهور يتابع مبادرة الرئيس رونالد ريجان ، وتفاوض مع ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية حول الوصول الى « اتفاق » بشان مستقبل الضفة الغربية ، وقام بسفريات واسعة للحصول على التاييد فى العواصم العربية وواشنطون بل حتى فى الصين . وقبل ايام قليلة من التقائى به اعلن الملك حسين ان المبادرة الامريكية قد توقفت .

قال لى جلالته وهو يهز كتفه : « مـاذا نستطيع ان نفعل سوى ان نواصـــل المجادلة ؟ لقد واجهتنا ازمات كثيرة من قبل .. وهذه ايضا سوف نجتازها » .

والملك حسين هو الآن اقدم رئيس دولة فى العالم العربى ، وقد خاض اربعة حروب عربية اسرائيلية .

وجه المدينة

إن الكثيرين من الاردنيين يعتبرون التعليم بمثابة مفتاح البقاء فى مثل هذه الازمنة الحالية غير المستقرة ، او كما قال لى طالب التقيت به فى جامعة الاردن « ان المعرفة ضمان .. انها راسمال لا يمكن ان يسرق او يضم او يصادر » .

ويوجد فى الاردن الآن نحو ٨٥٠ الف طالب منهم ٢٧ الفا فى المستوى الجامعى ، او بمعنى اخر يوجد بين كل ثلاثة اردنيين طالب واحد ، وهناك حوالى ٦٠ الف طالب اردنى يدرسون فى الخارج ، ويعودون مزودين بلغة اجنبية ثانية - غالبا ما تكون الانجليزية او « الامريكية » - وشيئا فشيئا تتحول عمان الى مدينة ثنائية اللغة .

وعمان مدينة مزدحمة بالسكان ، وبالرغم من نشاط حركة البناء فان الطلب على المساكن اكبر من العرض ، ويتاثر بازمة الاسكان بصفة خاصة ، فقراء المدينة وهم فلسطينيو الضفة الغربية الذين طردتهم الحرب والاحتلال الاسرائيلى وكذلك القرويون الاردنيون الذين تجتذبهم وعود المدينة ، فهؤلاء واولئك يتكدسون فى معسكرات اللاجئين التابعة للامم المتحدة او فى ازقة مبنية بالطوب النيىء ، ولكن فى السنوات الاخيرة اتخذت « ادارة التنمية المدنية » التى انشئت حديثا عدة خطوات للتخفيف من هذه الماساة .

قال لى الدكتور هشام الزاغة الذى يشرف على تخطيط مدينة عمان : اننا فى الوقت الحالى نزيل خمس مناطق من الاحياء الفقيرة وسوف نقيم مكانها ثلاثة مواقع لمدن جديدة تماما على الحد الشرقى للمدينة تتسع لـ ٤٠ الف شخص .

والتقيت فى موقع الوحدة الشرقية بالسيدة هداية خيرى وهى باحثة اجتماعية من مواليد القدس التى قالت لى وهى تشير الى ما حولها : اننا هنا نبنى موقع الوحدة والمدارس الابتدائية وبعض المبانى .. والى ابعد من ذلك قليلا سنقيم المستشفى والجامع .

وسرعان ما التف حولنا الناس ومعظمهم من النساء فى ملابسهن القروية . كانوا متحمسين للمشروع ولكن لديهم بعض التساؤلات التى ترد على معظمها السيدة هداية . قالت احدى السيدات : هل سيمكننى الاحتفاظ بعنزاتى التى اقتات من لبنها وجاء الرد « نعم » وسالت اخرى



داخل الخيمة العربية نجد الكرم العربي

فى قلق وهى تحمل طفلا باكيا : انني احتاج الى الدخل الذى احصل عليه من دكانى فى منزلى القديم . قالت السيدة هداية : إننا سنحاول توفير دكان مماثل فى منزلك الجديد ، وسال رجل كهل : هل يتسع المنزل الجديد لزوجتي الاثنتين . وجاءه الرد باسما : يحسن ان تبحث هذا الامر مع المهندسين !

خارج العاصمة

بالرغم من اغراء المدن فان حوالى نصف سكان الاردن مازالوا يعيشون فى المناطق القروية مع من ندرة الميـاه اللازمة لنمو المحاصيل . وحول عمان اثناء امطار الربيع الشحيحة يسوق الرعاة اغنامهم عبر « مساحات » من الزهور البرية تفصل بين مربعات واسعة من القمح والشعير ، ولكن الانشودة الرعوية لا تلبث ان تذوى تحت حرارة الشمس فى فصل الصيف المترب الجاف ، وعلى طول وادى الاردن الساخن الذى يقع معظمه على عمق الف قدم تحت سطح البحر تمتد الاراضى الزراعية الرئيسية للبلاد ، ولكن الحاجة الى المياه تترك معظم هذه الاراضى قاحلة غير مزروعة .

وطوال العقود الثلاثة الماضية عملت حكومة الاردن بمساعدة الولايات المتحدة اولا ثم بمساعدة البنك الدولى وبعض الدول العربية الغنية المجاورة على خطط لانعاش الوادى بتزويده بقنوات الري والطرق والمدارس والمساكن ومصانع تعليب الطعام ، واليوم تبلغ ميزانيـة « هيئة وادى الاردن » ١٨٠ مليون دولار سنويا . وفى « دير الله » بالقرب من ملتقى نهر الاردن ونهر الزرقاء تحدثت مع الدكتور منذر حدادين رئيس هيئة تعمير وادى الاردن والى خلفنا مياه نهر الزرقاء تندفع عبر ازاهير اللوز والنباتات العطرية نحو قناة الغور الشرقية التى اقامتها الهيئة لتعمير المنطقة . وقال الدكتور حدادين : ليست هناك مناطق كثيرة فى العالم صالحة للزراعة مثل هذه المنطقة .. ان الارض خصبة للغاية والجو جاف خال تقريبا من البرد .. يمكنك هنا ان تزرع مختلف الاشياء .. الموالح والموز والليمون والخضروات .. ان لدينا الماء ، ولدينا الارض ، ولدينا الناس ، ومهمتنا بسيطة ان نجعل هذه الاشياء تلتقى معا .

كانت حرب ١٩٦٧ قد ضربت خطط التنمية فى وادى الاردن ، اذ ادت الى شطر الوادى وتمزيقه ثم قصفت اسرائيل بالقنابل قرى الضفة الشرقية والمزارع وقنوات الرى وحولت معظم مياه نهر الاردن ونتيجة لذلك انخفض عدد السكان .

وقال لى الدكتور حدادين : ان قناة الغور الشرقية التى اقمناها على امتداد ٦٠ ميلا كانت خطوة كبرى نحو تعمير الوادى ، انها تستخدم جزءاً من مياه نهر اليرموك وغيره من روافد نهر الاردن وهى الآن تـروى ٥٧,٥٠٠ فدان .

وقدر لى ان اشاهد نموذجا لوفرة الوادى عندما قمت بزيارة مزرعة خاصة يملكها زيد الرفاعى ، وهو صديق طفولة للملك حسين وعمل رئيسا للوزراء فى الفترة من ١٩٧٣ الى ١٩٧٦ . واستقبلنى زيد الرفاعى وكان يدخن سيجار « هافانا » طويلا ويرتدى حذاء برقبة طويلة .. واصطحبنى فى جولة داخل مزرعته التى تبلغ مساحتها ١٦٠ فدانا بالقرب من « الكرامة » . ان هذه المزرعة كانت منذ ثلاث سنوات فقط ارضا قاحلة ولكنها الآن تنتج الخيار والشمام والقرع والكـروم والليمـون كما تزرع الطماطم داخل صفوف مغطاة بالبلاستيك وتجرى تهويتها بالمراوح الكهربية وتروى

فى فصل الشتاء تغطى الثلوج عمان ، وخلال هذا الفصل كثيرا ما ترى الناس وهم يمرحون بكرات الثلج

بالتنقيط مما يجعلها قادرة على الانتاج على مدار السنة .

وقال لى السيد الرفاعي اننا نوقف زراعة الطماطم فى يوليو واغسطس ففى الصيف لا نستطيع منافسة المحاصيل التى تزرع فى الاراضى المرتفعة ولكن طماطمنا الشتوية تاتى لنا بضعفي الثمن العادى .

لقد قام السيد الرفاعي ، خريج جامعة هارفارد ورئيس الوزراء الاردنى السابق ، بسفريات واسعة ليحصل على احدث مبتكرات التكنولوجيا الزراعية ، وقد ارانى فى مخازنه جرارا ايطاليا . وبذورا امريكية ، وانابيب ري المانية ، ومحاريث انجليزية ، وبيوتا زجاجية هولندية .

وقال السيد الرفاعي : ان التكنولوجيا الزراعية المتقدمة مكلفة للغاية ، وهذا المشروع يستخدم ٤٠ موظفا بصفة دائمة بالاضافة الى ١٠٠ عامل موسمي فى فصل الحصاد ، وهو يتكلف ٤٠٠ الف دولار فى العام يخص الماء منها رغم ندرته ٢٪ فقط من الميزانية . ان اعادة الحياة الى الوادى مرة اخرى تتطلب مشاركة الاستثمارات الحكومية والخاصة ليس فى المال فحسب وانما ايضا فى العمل الشاق والايمان .

ومضى قائلا : اننا مازلنا نعيش تحت تهديد المدافع ،وقد اقيمت ١٩ مستوطنة عسكرية اسرائيلية جديدة عبر النهر مباشرة ولايزال مستقبل الضفة الغربية ابعد ما يكون عن الاستقرار ، ولكن بفضل مشروعات مثل تلك التى تقوم بها هيئة تعمير وادى الاردن بدأ الناس يعودون ، ولكن السلام وحده هو الذى يمكن ان يحقق الاستقرار فى هذا الوادى .

«تسالنى عما إذا كنت متفائلا ؟ اعتقد ان ما بنيته هنا يمكن ان يعطيك الجواب !» .

ان الزراعة فى هذا الوادى ليست بالحديثة العهد ، بل انها تعود الى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد ، كما ان الاطلال القديمة الرائعة والمختلفة ، التى يزهو بها الأردن الحديث تلخص شطرا كبيرا من صراع البشرية ، ففى هذا المكان وجدت ادوات من الظران شذبها الصيادون منذ نصف مليون عام تملأ الصحراء حول واحة الأزرق ، وكشفت الحفريات الحديثة فى عين غزال بالقرب من عمان عن واحدة من اقدم المستوطنات البشرية تعود الى ٨٠٠٠ عام مضت وفيما بعد ترك الفرس والاغريق والرومان والبيزنطيون علاماتهم ، كما خلف الصليبيون قلاعهم ، وبنى الاتراك حصونهم ومساجدهم .



كنوز البتراء

ولكن اروع ماتزهو به الأردن من اثار قديمة مبانى البتراء المنحوتة فى الصخر وقد كانت عاصمة دولة النبط الغامضة وتبعد ١١٥ ميلا جنوبى عمان ، ومن النادر



جمع الفواكه فى المزارع النموذجية الحديثة فى وادى الاردن

ان نجد تضافرا من الطبيعة والانسان الذى نجح فى انشاء مثل هذه المدنية الوردية الجميلة القديمة قدم الزمن .

لقد قدم النبطيون من قلب الجزيرة العربية وكانوا تجار قوافل يحملون البخور والاصباغ والحرير والعبيد . واقاموا لانفسهم قلعة هنا عند مفرق طرق القوافل المزدهرة فى القرن الرابع قبل الميلاد ونحتوا مئات من القبور المنقوشة والمنازل فى الصخر الحي لتزيين عاصمتهم التى عاشت سبعة قرون . وفيما بعد حلت الخطوط البحرية محل قوافل الجمال القديمة فخبت المدينة التجارية العظيمة وظلت منسية الف عام .

وقد قمت بزيارة عاصمة النبطيين ذات يوم مع الاشعة الاولى للصباح . وحتى تصل اليها عليك ان تمر عبر الشق الطويل فى جدار الجبل الذى يبدأ بالضبط من تحت بيت الضيافة الحكومى فى وادى موسى ، وعليك ان تقطع زهاء ميل فى ممر ضيق منحوت داخل الحجر الرملى الاحمر بلون الدماء ويزداد هذا الممر اظلاما كلما تعمقت فيه الى الداخل ، فهو مخبوء فى باطن الجبل بعيداً عن حرارة شمس الصحراء ووهجها ، وفوق راسك على ارتفاع ٢٠٠ قدم تبدو الحوافى العليا للجبل مضيئة بلون السماء ، وبين الحين والاخر يمرق صقر عبر الثغرة المتاحة بين حافتي الشق الجبلى ، لقد كان هذا الطريق مرصوفا بالحجارة الملساء ايام عزه القديم اما اليوم فهو اشبه بمدق خشن تعترضه جلاميد الصخور ، اما عرضه فانه يسمح بالكاد لحصانين بالمرور جنبا الى جذب .

وعلى الجانب الاخر للشق تتبدد الظلال تحت هجمة الضوء الوردى ، وما ان تخرج من النفق حتى تطالعك واجهة البناية الكلاسيكية الهائلة بعمدانها وقبابهـــا الكورنيثيـــة التى تلمع فى وهجها القرمزى كما لو كانت جديدة لم تطلها يد البلى .

ان احداً ـ حتى من الخـــبراء ـ لا يستطيع ان يحدد ما هى هذه البناية بالطبع .. قبر ؟ .. معبد ؟ والبدو المحليون يسمونها « خزانة الفرعون » ، والبعض منهم لايزال يعتقد حتى الآن انها تخفي ثروة هائلة من الذهب .. ولكن كنوز البتراء الحقيقية ليست فى الذهب وانما فى هذه الجواهر المعمارية التى ليست خزانة فرعون سوى الاولى منها .

دخلت احدى هذه المقابر المنحوتة فى الصخر ، وهى مزودة الآن بباب خشبى تعلوه لافتة صغيرة مكتوب عليهـــا : « مرحبا .. تحويل عملة .. سوبر ماركت بدوي .. صندوق بريد » .

قال لى عوض حمد مدير مكتب بريد البتراء : ان حوالى ٢٠ أسرة لاتزال تعيش بين هذه الاطلال بالرغم من ان الكثيرين قد رحلوا الى القرية الجديدة التى بنتها الحكومة على مسافة ميل الى الشمال .

واضاف : انهم لايزالون يرعون اغنامهم هنا ويزرعون سفوح التلال القريبة ، وهناك دائما موارد للرزق سواء فى العمل فى مناطق التنقيب عن الآثار او فى ارشاد السياح .

اما « السوبر ماركت » الذى يديره عوض فانه يحوى بعض السلع الاساسية : مسحوق الصابون . امواس حلاقة . طباق محلى . بطاطس . بطاريات اضاءة ، وفى الخارج تقوم زوجته وبناته فى ملابسهن الطويلة السوداء بغربلة الدقيق فى نسمة الصباح الخفيفة ، ولكن يمكنك بواسطة تليفون قديم بذراع مثبت على الحائط ان تتصل بالقرن العشرين فى الخارج وتدرك أن تاريخ الشرق الاوسط المضطرب .... لا يزال يدور !

الحياة فى البادية

بينما ازدهرت عبر الاف السنين مواقع فى الشرق الأوسط ـ مثل البتراء ـ ونمت الى مدن وامم وامبراطوريات ظلت صحراء شرق الأردن ساحة للبدو الرحل ، وقد حصل هؤلاء البدو على الجمل قبل ١١٠٠ عام قبل الميلاد واخذوا يجوبون الصحراء الصخرية القاحلة من مكان الى مكان بحثا عن الكلا لقطعانهم الهزيلة . اما الآن فقد اصبحت ايام البداوة معدودة ، واصبح البدو ساكنو الخيام اقلية ضئيلة فى المملكة هبطت الى اقل من ٣٪ من السكان ، ومع ذلك فقد ترك البدوى علامته على بنى عمومته الذين يسكنون المدن كما يتجلى ذلك فى معايير الشرف المتشددة ، وفى احساسه العميق بالدين ، وفى مزاجه فى الاكل ، وفى ملابسه ومفرداته اللغوية .

وتشرف على النظام والقانون هنـــا قوة بوليس تسمى « شرطة البادية » وهى اقدم قوة عسكرية فى الأردن ولاتزال تجند فى صفوفها البدو المحليين من امثال الكابتن عوض غازى امر المركز «هـ ـ ٥» وهو عبارة عن محطة مزدحمة لسيارات النقل فى قلب الصحراء البازلتية السوداء على الطريق الرئيسى بين عمان وبغداد .

قال لى الكابتن غازى : ان الصحراء بالنسبة لنا ليست مخيفة او غامضة ، انها وطننا ، ونحن نعرف كل تل فيها وكل شبر ، ونفهم علاماتها وسكانها .

واضاف الكابتن غازى : اننا لانزال نرسل داورياتنا من راكبى الجمال ، انهـا الوسيلة الوحيدة لتغطية بعض اجزاء هذه المنطقة الشاسعة المليئة بالصخور الناتئة التى تمتد من هنا حتى الحدود السورية ، وهذه الداوريات تستطيع ان تفاجىء المهربين الذين يجتازون الحدود حاملين العطور واجهزة التليفزيـــون والسجائر ، فالجمل افضل من يتعامل معهم لانه لا يثير الغبار ولا يصدر صوت محرك كما تفعل السيارة .

ولكن شرطة البادية مزودة ايضا بسيارات « لاندر روفر » وشاحنات خفيفة من طراز « دودج » .. وقال لى الكابتن غازى ان واجباتنا مثل تلك التى تقوم بها ايـــة قوة بوليس اخرى .. نبحث عن جواز سفر ضائع .. ننقذ ركاب سيارة تعطلت بهم فى الصحراء ، نحمل الآن جهاز راديو ارسال واستقبال ، واخذنا دورة تدريبية على التقاط بصمات الاصابع ، ونستطيع ان نستدعى الشرطة النسائية عند الحاجة اليها ، ولدينا معمل جنائى متنقل ، بل وحتى طائرات هليكوبتر حربية .

وقررت ان ابحث عن ساكنى الخيـــام فاخذت سيارة من نقطة « هـ ـ ٥ » قطعت بى الصحراء جنوبا الى « قاع الشجرة » وقد اسميت كذلك بسبب شجرة فستق وحيدة كثيرة الفروع تقوم الى جانب بركة ضحلة من الطين تخلفت عن الامطار النادرة ، وتتدلى من فروع هذه الشجرة قصاصات صغيرة من القماش علقها هناك على سبيل التبرك البدو الرحل الذين يمرون بالمكان ، وفعلت مثلهم فقطعت قصاصة من منديلى واضفتها لحسابى الخاص .

وعلى هضبة صخرية صغيرة خلف البركة الضحلة تقوم خيمة خلف سرحان ، وخلعت نعلى وانا ادلف الى الخيمة حيث استقبلنى خلف وهو رجل نحيل اسمر البشرة يرتدى جاكت بدلة فوق قفطان طويل رمادى اللون ويضع على راسه كوفية حمراء ، واضاف خلف بضع حفنات من روث الجمل الجاف الى النار وراح يحرك فوقها المروحة الى ان تحولت الى جمر مشتعل وسرعان ما بدات رائحة بذور القهوة المغلية تملا المكان .

كانت تغطى الارض من حول الموقد سجاجيد ممزقة ، وثمة ستارة من القماش السميك تفصل بيننا وبين المكان المخصص للنساء داخل الخيمة ، وصندوق خشبى بدائى الصنع عليه اكواب ومصباح كيروسين . وخلال فتحة فى الخيمة كان فى استطاعتى أن ارى قطيع خلف ويضم مائة جمل او اكثر مشغولة باكل الكلا على خط الافق الجنوبى .

وقال لى خلف : «اننى وابنى الاصغر نرعى هذه الجمال الآن ، فقد رحل معظم رجال العشيرة ، لى خال يخدم فى الجيش واخ يسوق سيارة نقل » .

ان مثل هذه الاعمال خارج الصحراء اصبحت المصدر الرئيسى لدخل البدو الآن .. وقلب خلف القهوة واضـاف قليلا من حب الهيل قبل ان يصبها فى انائه النحاسى الطويل ثم ناولنى قدحى قائلا : باسم الله .

إن معظم بدو الأردن الذين يقدر عددهم بنحو ٢٥٠ الفا قد طووا خيامهم الآن ، سـواء نتيجة مواسم القحط القاسية التى حدثت فى السبعينات او استجابة للوعد بحياة اسهل طبقا لبرامج الاسكان الحكومى ، وقد زرت قرية لاسكان البدو بالقرب من قلعة الشرطة الصحراوية فى دير الكهف ، وهناك اصطحبنى الشيخ مقبل سرحان فى جولة داخل القرية الصغيرة الجديدة التى تضم ٨٠ منزلا صغيرا كل منها مقام على مساحة فدان ، وكثير من هذه المنازل تحيطها حديقة مزروعة حديثا بالكروم واشجار الزيتون ، ويمكنك ان ترى بعض مظاهر التحول واضحة من حولك ، فهذا مثلا جمل مربوط خلف احد المنازل وسيارة « بيك ـ اب » تنتظر امام الباب التالى . اما بيت الشيخ مقبل سرحان فمزود بالطاقة الشمسية ، ويرتفع فوق البيت هوائى طويل متصل بشبكة من صفائح الخلايا الشمسية لتزويد المنزل بالطاقة وتشغيل اجهزته التى منها الة تليفون تعمل بالضغط على الأزرار .

وقال لى الشيخ مقبل مؤكدا : هذا فى الصحراء كل شىء يقاس بالماء ، وكنا نجلبه اولا بسيارات الصهاريج مقابل ١٠ دنانير (٣٠ دولارا) للحمل الواحد ، ولذا لم يكن هناك ما يكفينا من الماء لتربية الثروة الحيوانية ولكن منذ ثلاث سنوات ربطتنا الحكومة بخط انابيب المياه الذى يمتد من واحة الازرق الى إربد ، والآن لدينا مايكفينا لزراعة بعض المحاصيل الصغيرة .

استغلال الثروة المعدنية

وفى الوقت الذى يعتنى الاردن بمزارعه الثمينة لاينى جهدا عن استغلال ثروته المعدنية التى تبعث صناعتها النشاط فى اوصال مناطق قاحلة اخرى ، فالفوسفات يستخرج من مناجم التراب فى الصحراء والبوتاس يستخلص من مستودعات المياه المالحة ذات البللورات اللامعة والتى تجلب من البحر الميت ، وينتج الاردن اكثر من اربعة ملايين طن من هاتين المادتين مما يجعل صناعة الاسمدة الكيماوية اكبر صناعة فى الاردن .

وقد زرت شركة البوتاس العربية التى تدير مصانع استخراج الملح على الحافة الجنوبية للبحر الميت ، وهذا المشروع رأسماله ٤٦٥ مليون دولار بالاستثمار المشترك بين المملكة العربية السعودية والكويت والعراق وليبيا والاردن ، وبعد تناول الغذاء فى « مدينة » الشركة ـ وهى واحة بالقرب من غور الصافي تكلفت ٢٥ مليون دولار ومزودة بالحوانيت وملاعب التنس وحمام سباحة ـ ركبت السيارة مع مروان خورى مدير المبيعات الذى اصطحبنى الى البحر الميت وهو يقع على عمق ١٣٠٠ قدم تحت سطح البحر ، وهناك تقوم محطـة للضخ تضخ المياه البلورية الصافية ـ التى تبلغ درجة ملوحتها سبعة اضعاف



هكذا يعامل جنود الاحتلال الصهيونى سكان الارض المحتلة

ملوحة مياه المحيط ـ الى بركة التبخير الاولى .

وشرح لى مروان العملية قائلا : اننا نكثف المحلول فى اربع مراحل . هذه هى المرحلة الاولى التى نشاهدها الان وهى عبارة عن شبكة من الاحواض تغطى مساحة ٣٧ ميلا مربعا من ارض الصحراء ، واشعة الشمس تقوم بكل العمل فى هذه المرحلة وخاصة فى فصل الصيف حيث تقترب درجة الحرارة من ١٢٠ درجة فهرنهايت فلدينا هنا شمس قوية ..

وبعد ان تتكثف المياه وتتحول الى ما يشبه الثلج او الجليد تؤخذ الى محطة التكرير التى تستخرج منها املاح البوتاس الخام وهى على درجة عالية من النقاوة ، وتحمل هذه الاملاح على سيارات نقل صنعت خصيصا حمولة ٥٠ طنا تاخذها جنوبا عبر الصحراء الى ميناء العقبة .

فى ميناء العقبة

وحتى وقت قريب كان ميناء العقبة ـ وهو الميناء البحرى الوحيد فى الاردن ـ مجرد قرية صيادين تقوم تحت ظلال الدخيل بالقرب من القلعة الصغيرة التى انتزعها يوما لورانس العرب من يد الاتراك بعد تقدم سريع عبر الصحراء . وهى محصورة بين اسرائيل وحدود السعودية حيث يبلغ طول الساحل الاردنى بالكاد خمسة اميال .

قال لى محدثى : فى عام ١٩٦٥ استطاعت الحكومة الاردنية ان تعقد اتفاقا مع السعودية حصلت بمقتضاه على ١٢ ميلا اخرى على شاطىء البحر ..

كان محدثى هذا هو مزاحم محيسن كبير مهندسى لجنة تخطيط مدينة العقبة ، وكنا نتناول عشاء من الاسماك الحمراء الطازجة فى مطعم مزدحم فى المركز التجارى الجديد للمدينة .

واضاف محدثى قائلا : ومنذ ذلك الحين نمت مدينة العقبة ستة اضعاف وصارت تضم نحو ٤٠ الف نسمة .

وان انطلع عبر خليج العقبة الذى يغمره ضياء القمر كان فى امكانى ان اشاهد انوار ايلات الميناء الاسرائيلى الذى لا يبعد اكثر من خمسة اميال وكذلك انوار السفن التى تتلألأ بعيداً فى البحر .

وقال مزاحم : احيانا تتجمع لدينا مائة سفينة فى انتظار التفريغ او الشحن ، ولكن امكانات الميناء الان لا تتجاوز ٣٠ او ٣٥ سفينة فى المتوسط ، وسوف يبدأ العمل فوراً فى انشاء امكانات للشحن والتفريغ الآلى تتكلف ٥٠ مليون دولار .

واضاف : ان حوالى ٢٠٠٠ سيارة نقل تخرج يوميا من الميناء لتقطع الصحراء شمالا الى عمان ، وحوالى ٧٠٪ من هذه الحمولة تذهب الى بغداد،فقد ادت الحرب بين العراق وايران الى اغلاق موانىء العراق على الخليج العربى مما ضاعف من عبء العمل فى ميناء العقبة .

وفى صباح اليوم التالى قمت بجولة بحرية فى الميناء على ظهر « لنش » صناعة امريكية يبلغ طوله ٣١ قدماً ويقوده محمد مسلم . فمررنا امام شاطىء البحر الذى تقوم فيه البلاجات والفنادق ثم اتجهنا جنوباً لنمر بين السفن العملاقة الراسية فى عرض البحر ، وكان منها سفينة نقل سوفيتية شاهدنا على مؤخرتها اثنين من البحارة يصطادان السمك بواسطة السنانير ، فلما شاهدانا سارعا بسحب حبالهما واختفيا وراء حاجز السفينة .

فابتسم الكابتن مسلم وقال : ها .. انه لا يوجد قانون يحرم الصيد هنا .. ولكنهم يحذرون الدوريات البحرية على اى حال ، وخلال هذا الاسبوع وقعنا غرامات على ثلاث سفن لتلويثها مياه الميناء بالنفايات وقيمة الغرامة الواحدة ١٤٠٠ دينـــار (٤٠٠٠ دولار) .

وعدنا ادراجنا بازاء سلسلة من العوامات الحمراء والبيضاء تمثل خط وقف اطلاق النار بين الاردن واسرائيل فى البحر وخلف هذا الخط كان ضباط الزورق الحربى الاسرائيلى يرمقوننا عبر نظاراتهم المكبرة .

وبالرغم من ان « الحدود » مع اسرائيل مغلقة وعليها حراسة ثقيلة من الجانبين إلا ان الحكومة الاردنية لاتزال تحتفظ بعلاقات حيوية مع عرب الضفة الغربية وقد قابلت حسن ابراهيم وزير شئون الاراضى المحتلة فى مكتبه الذى يضج بالحركة فى عمان ، وكان يحدثنى وهو منكب على العمل بين اكوام من الوثائق .

قال لى الوزير الاردنى : اننا يجب ان نفعل كل شيء لكل الناس الذين يعيشون على الجانب الآخر من النهر ويبلغ عددهم ٨٠٠ الف مواطن اردنى ، ونجدد جوازات سفرهم ، نعطيهم قروضا للاسكان ، ندفع مرتبات الكثيرين من موظفى البلديات ، نحاول تقديم كل ما يمكن من الخدمات الصحية والزراعية ، نصدر شهادات المدارس الثانوية .. وكل عملية من ذلك متعبة للغاية لعدم وجود اتصال بريدى او تليفونى مع الجانب الآخر ، فكل شيء يجب ان ينقل مع رسول مخصوص فى حين تقول اسرائيل ان الضفة الغربية تخصها وتعمل على تغيير وجه الارض حتى تنتزعها من اصحابها .

واضاف قائلا : ولكن هناك شيئا لن يستطيعوا تغييره .. روح شعبنا .

الضفة الغربية

لقد لمست بين سكان الضفة الغربية باستمرار تصميما على الاحتفــاظ بشخصيتهم الفلسطينية ، وهو تصميم يؤججه اليوم الغضب والياس . انك هنا لا ترى ابتسامات على الوجوه ولا تجد سهولة فى الحصول على الاشياء كما هو الحال فى عمان المنتعشة بالرخاء . واذا كان المستقبل يتسع بالنسبة للاردن فهو



تعتبر « العقبة » هي المنفذ البحري الوحيد للاردن

على العكس من ذلك يضيق بالنسبة لعرب الضفة الغربية الذين تنزع الارض من تحتهم فدانا بعد فدان .

والسياسة هي الموضوع المسيطر على احاديث ومناقشات سكان الضفة الغربية ، حتى بين الاطفال ، والحياة تتركز هذا كما كانت منذ قرون حول الاسرة والعشيرة ، وهم يتمسكون بعناد بالارض التي فلحها اباؤهم .

ومن اكثر الناس معرفة بهذه الارض وحبا لها كمال عبد الفتاح رئيس قســم دراسات الشرق الاوسط بجامعة بيرزيت شمال غربي القدس ، وهو يقوم في هذه الجامعة بتدريس جغرافية فلسطين كما يقوم باستمرار بدراسات ميدانية في الريف الفلسطيني ، وقد اصطحبني في يوم اجازته الى جولة في الطرق الخلفية للضفة الغربية .

وقال لي كمال ونحن نخرج في الفجر من المدينة المقدسة في اتجاه طريق نابلس : ان القدس هي مفرق طرق فلسطين ، وفلسطين مفرق طرق العالم القديم فقد ظلت لمدة خمسة الاف عام المعبر الرئيسي بين مصر ودمشق .

وفي شمال رام الله وصلنا الى بئر رومانى ثم اجتزناه وبدانا نصعد بالسيارة خلال هضبة من الحجر الجيري ذات شرفات متعاقبة تنمو فيها اشجار الزيتون وتفترشها الآن ازهار الزعفران البري ذات الرائحة النفاذة ، وهي اولى ازاهير الشتاء ، وكلما صعدنا الى اعلى تزداد السفوح برودة وتخلى اشجار الزيتون مكانهـــا لشجيرات التين ، ومررنا بقريتي كفر مالك وخربة ابو فلاح حيث تقوم بيوت ذات اسقف مدببة ، وشاهدنا الرجال يحملون الزيتون الى المعاصر المحلية الصغيرة ، وشممنا رائحة الخبز المخبوز في الافران التي يتعالى منها الدخان امام البيوت . وبالقرب من تل العشور قادتنا طرقات الفولاذ على الصخر الى المحجر القريب حيث راينا رجال المحاجر وهم يقطعون الاحجار وسط سحابات من التراب الابيض .

واخذنا قسطا من الراحة في « اريحا » حيث جلسنا بين اشجار النخيل والموز ، وشربنا القهوة ، وذقنا فواكه المنطقة البرتقال والمانجو والافوكاته . اما اسوار اريحا التي اقتحمها يوما يوشع وجيوشه النافخة في الابواق فلم يبق منها شيء .

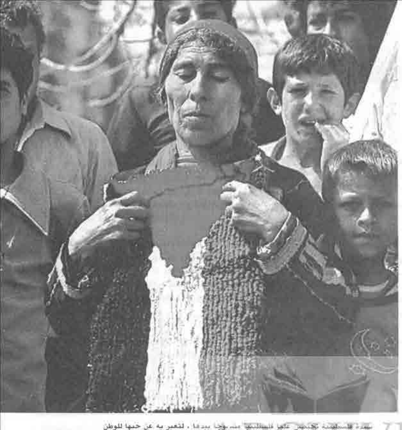
ومضينا قدما ، واشار كمال الى المستوطنات الاسرائيلية ، انها تبلغ حوالي ١٥٠ مستوطنة تحت الانشاء بعضها يبدو كمجرد مركز مراقبة عسكري صغير ، وبعضها الآخر مثل « راموت » و « نيف ياكوف » مخططة بحيث تتسع لآلاف السكان .

وفيما وراء اريحا توقفنا في قرية عربية صغيرة تسمى « العوجة » حيث شاهدنا الرجال يقطعون اشجار البرتقال الجافة ويحولونها الى اخشاب للوقود .

وشرح لي كمال الامر قائلا : ان مستعمرة « يتياف » الاسرائيلية القريبة من هنا قد حفرت آبارا عميقة وهي الآن تسيطر على كل المياه الجوفية في هذه المنطقة مما يؤدي الى موت الاشجار فلا تصلح إلا اخشابا للوقود ، والعرب هنا لا يمكنهم حفر الآبار لري اراضيهم بسبب التعليمات والنفقات الكبيرة .

واضاف : ان نصف اراضي الضفة الغربية تقريبا تحت سيطرة الاسرائيليين المباشرة بالرغم من ان عدد المستوطنين الاسرائيليين ٢٥ الف اي اقل من ٤٪ من السكان .

وفي هذا المكان ايضا تقوم جامعة بيرزيت التي يعمل بها كمال ، وهي احدى اربع جامعات عربية في الضفة الغربية المحتلة ، وبؤرة للوطنية الفلسطينية ، وهي تتكون اساسا من المنزل الضخم لاسرة ناصر المسيحية التي انشات الجامعة وضمت اليها فيما بعد عدة



سيدة فلسطينية تحتضن علما فلسطينيا منسوجا يدويا ، لتعبر به عن حبها للوطن

بيوت اخرى مجاورة يحوطها سور حجرى .

وقد قام الجنود الاسرائيليون بدعوى مقاومة النشاط الارهابى بايقاف الدراسة فى الجامعة ثلاث مرات خلال عام واحد . وقال لى البرت اغازاريان مساعد رئيس جامعة بيرزيت : لقد ضربوا الطلاب وحطموا الفصول اننا تحت ضغط هائل ، ولكننا بالرغم من المضايقات نقوم ببناء حرم جامعي حديث بالقرب من هنا ، وتبلغ نسبة الطالبات لدينا ٤٠٪ من عدد الطلبة المسجلين بالجامعة والذى يصل الى ٢٤٠٠ طالب بعضهم فى « مدارس الخريجين » .

وفى بيرزيت يطلقون اسم « مدارس الخريجين » على السجون الاسرائيلية .

وقد طفت خلال اقليم بيت لحم بسيارة يرافقنى فيها خبير زراعي ان هذا الخبير وزملاءه يقدمون للاهالى الارشادات الفنية الخاصة بالرى وانشاء الطرق وبناء الصهاريج وعمل تعريشات العنب كمساعدة للمزارع الصغير . وفى مكان ليس بالبعيد عن مسقط رأس المسيح انحرفنا عن الطريق الرئيسى الى حيث زرنا اخوان الحمامرة الاربعة وهم يقومون تحت اشراف المرشد باقامة الصهاريج واعداد الارض للزراعة ، وتساعد فى العمل نساء العائلات حيث يحملن المونة الطرية الى السفوح . وقال لى احد هؤلاء الاخوة جابر الحمامرة ان هذا السفح ظل سنوات لا يصلح لغير رعي الاغنام ، اما الآن فاننا نامل ان نزرع هنا العنب والزيتون واللوز .

واصلاح الارض على هذا النحو لا يعنى بالنسبة للحمامرة وامثالهم ربحا اكثر فحسب وانما هو ايضا ضمانة اكبر ، لان الارض التى يوجد فيها نشاط وعمل من الصعب مصادرتها ، وقد اغلقت اسرائيل حتى الآن اربع مناطق رعي من اقليم بيت لحم بدعوى « الاستخدام العسكرى المشروع » .

مع بسام الشكعة

فى اليوم التالي بينما كنت اقطع شوارع نابلس بسيارة « فورد » استاجرتها خصيصا في طريقي الى بيت بسام الشكعة القى التلاميذ العرب الطوب على سيارتي ظنا منهم انني عدو لان السيارة تحمل لوحة ارقام صفراء في حين ان السيارات العربية تحمل لوحة زرقاء .

ومدينة نابلس هي اكبر مدن الضفة الغربية المحتلة ويسكنها حوالي ١٠٠ الف نسمة وتقع بالقرب من القدس ، وهي مركز مقاومة عنيدة ، وقد ترك الاحتلال الاسرائيلى اثاره على نابلس وسكانها وخاصة على عمدتها بسام الشكعة ، فقد امرت السلطات الاسرائيلية بنفي عمد الضفة الغربية لرفضهم التعاون مع الاحتلال ولكن الشكعة رفض ان يرحل ، وفي عام ١٩٨٠ انفجرت فى سيارة الشكعة قنبلة زرعها ارهابيون اسرائيليون فبترت ساقيه الاثنتين ، وقد التقيت به فى منزله حيث يقيم تحت الاعتقال المنزلي .

قال لى بسام الشكعة : ان السلطات طردتني من مكتبى بدعوى انني عميل لمنظمة التحرير الفلسطينية ولما لم يقبل اى عربى منصب العمودية عينوا السيد شلومو كوهين ليدير هذه المدينة العربية ثم استبدلوا به ضابطا متقاعدا فى الجيش الاسرائيلى . ولكننى لا ازال العمدة الشرعي للمدينة .

وبعض العرب مضطرون للتعاون مع الخطط الاسرائيلية ، فالفلاحون وسكان القرى عليهم ان يذهبوا الى مكاتب روابط القرى التى اقامتها اسرائيل من اجل الحصول ، مثلا ، على مد خط كهربائى ، او تصريح بالبناء ، أو اذن بالسفر . ولكن روابط القرى تلقى احتقارا عريضا ، ويوصف الشكعة القائمين بها بانهم « خونة ومتعاونون مع الاحتلال » .

وفى طريق عودتى من الخليل مررت بالمسجد الرمادى المقام فوق قبر ابى الانبياء ابراهيم . وهذا الموقع المقدس من بؤر المواجهة المتكررة بين الجانبين يرمز الى الصراع من اجل التعايش وسط المرارة لان جزءا منه يستخدم كمعبد يهودي .

إذا وقفت فوق جبل الى الشمال الغربى من عمان يمكنك أن ترى بانوراما جميلة للضفة الغربية بتلالها الصفراء ، ومدنها البيضاء ، ووديانها الخضراء . واذا كان اليوم صافيا يستطيع بصرك ان يمتد عبر البحر الميت ليشمل كل وادى الاردن حتى الجليل الادنى .

وفى طريق عودتى الى عمان قال لى صديق اردنى يرافقنى فى السيارة : « ليس هناك ما يدعو للدهشة فى ان الله ارسل الكثيرين من انبيائه الى هذه الارض المقدسة .. فلا يوجد مكان على الارض يحتاجهم اكثر مما يحتاجهم هذا المكان » .

ترجمة : محمد العزب موسى

(عن مجلة ناشيونال جيوجرافيك

عدد فبراير ١٩٨٤

غــدًا في معــامل الأطـبـّــاء :

تحليل "الدمع" بعد تحليل "الدم"

● لاخوف على الذين يعرفــون الدمــوع ، أمّا الذين لا يبكون فهـم مهـدّدون بقـرحة في المعـــدة !!

بقلم : د. نـبـيــل ســليم



هكذا يعكف العلماء على تحليل الدموع داخل معاملهم

اثناء معالجة الدموع كيمائيا للتعرف على خواصها

بداية .. ماذا عن الدموع ؟ .

إن الانسان العادى يفرز ، بمعدل ثابت حوالى نصف لتر من الدموع فى العام ، اى بمقدار ١.٥ سم مكعب فى اليوم .. إن نقطة من الدموع تنساب من العين يومياً ، وبطريقة آلية ، ضرورية جداً لنظـــافة و « تشحيم » العين .. وإن اختلاج الاجفون الذى يحدث مابين عشر مرات إلى خمس عشرة مرة فى الدقيقة ، يعمل على توزيع الدمعة بالتساوى على قرنية عين الانسان الطبيعى !!

ولكن من هو الانسان الطبيعى ؟ !

هو الذى يبكى حينما يشعر بذلك ولا يحبس دموعه !

ومن المؤكد ان الدموع لم تعد توزع كما يجب منذ ان اصيب الانسان بحالة مرضية سميت « مرض التمساح » .. وهو البكاء بغزارة كلما جرى المضغ !

كذلك يعود السبب ايضا الى العادات المتبعة لدى معظم شـعوب العالم حيث يعتبر بكاء الرجل ضـعفا ، وبكاء المراة واجبا ، واصبح ذرف دموعها موهبة تتمتع بها كلما اقتضى الحال ذلك !

البكاء علاج مفيد

ونحن نجد فى الطبيعة البشرية كل انواع البلل الذى تسببه الدموع ، فهناك الدموع الصحية ، وهى دموع إجبارية وثابتة فى نوعيتها وكميتها ، كما انها تخرج بسرعة عن طريق الانف .. وليس هناك ادنى خوف من هذه الدموع التى تذرفها العين بغزارة .. وإنما الخوف ـ كل الخوف ـ من العين « الجافة » وهى تلك التى لا تذرف الدمع او تلك التى دربت على عدم البكاء ، وتخاف من الوقوع فريسة له .. وعوضاً عن ذلك تقع فيما هو اسوا وهو الاصابة بقرحة معدية

ولهذا السبب نجد ان نسبة الرجال الذين يصابون بهذا المرض ، بل وبالعديد من الامراض ، يفوق نسبة النساء اللائى يصبن به .. ومن هنا يجىء التساؤل عما

الألياف البصرية بين أصبعي السبابة .. لقد أصبحت تستخدم فى أجهزة التشخيص الطبية للعين ودموعها !



محلل ذاتى لتحليل مركبات الدمعة .. ثم لقطة مكبرة للدمعة كما تبدو وتحت الميكرسكوب العادى

إذا كانت هناك علاقة بين عدم ذرف الدموع والاصابة بالمرض ؟ .

ويجيب على هذا التساؤل العالم الامريكى الدكتور « وليم فراى » الذى يعمل فى المركز الطبى بولاية مينسوتا قائلا :

« بدون شك !! فالدموع تعمل على اخراج المواد السامة التى تولدها بعض حالات الانفعال ، لذا فان حبس الدموع يعرض الانســـان للاصابة بالتســـمم البطيء ! » .

ومنذ زمن بعيد عكف العلماء على دراسة الدموع ، وكان العالم الشـــهير « جاليان » اول من وصف الغدد الدمعية Lacrimal Glands ، ولقد اصبح من المعروف حاليا ، بالاضافة الى الغدد الدمعية ، عشرات من الغدد الاخرى ، بما فى ذلك الغدد الجنسية وهى ترتبط ايضا بافراز الدموع !

إن إفراز الدموع ـ هو فى الواقـع ـ عملية معقدة ، فمثلا عند تقشير البصل او تقطيعه او خرطه ، وفى حالات الحزن او الضحك او الضيق ، او إذا دخل العين جسم غريب كالتراب ، فى كل هذه الحالات وغيرها ، يختلف تركيب الدموع من حالة الى اخرى . والمعروف ان الرضيع لا يذرف دمعا قبل اربعة اشهر من مولده .. كما ان المصاب بالسكر يذرف دمعا مسكرا !

ولمعلوماتك فالدموع مائلة بدرجة معينة الى الملوحة ، ولكن اذا ما كثرت الاملاح فى الجسم نجد ان نسبة الملوحة فى الدموع ترتفع ايضا ، وقد لوحظ ان الهرمونات الجنسية لها دور فى نوعية الدموع ، وكذلك تتوقف هذه النوعية على السبب ، وهل هو نفسى او انعكاسى .. ومن الشائع اليوم ان نطلب نحن الأطباء من مرضانا اجراء التحاليل العديدة على : الدم و البول ومختلف السوائل الفسيولوجية ، واظن الى حد بعيد اننا سوف نطلب منهم قريبا ايضا تحليل دموعهم .

وما دام ان هناك ثمة انواعا مختلفة من الدموع ، فلماذا لا يستفاد منها فى تشخيص الامراض ؟

إن دموعك تحتوى على صوديوم ، وبوتاسيوم ، وانزيمات، واحماض امينية ، وزيت ، ومواد مخاطية مختلفة . ونسب مكونات هذا الخليط فى الدموع تختلف إلى مالا نهاية !! .

والدموع التى تذرف إثر حزن تحتوى على بروتين بكمية اكبر منها فى الدموع التى يحدثها « تقشير » البصل .. كما ان بحوثا اخرى تجرى فى هذا المجال وتتركز على إحداث الدموع لدوافع غير الانفعالية والفسيولوجية وفحصها .. وبفضل التقدم المذهل الذى تحقق بتحليل الكيمياء الدقيقة يعتزم الدكتور « وليم فراى » وضع قائمة كاملة بمختلف تحليلات الدموع . وبفضلها سيتمكن الطبيب من قراءة ما تحتويه الدموع كما لو كان ينظر فى « كرة البلور » فيرى فيها ما يشكو منه المريض وهل هو مرض نفسى او عضوى ؟ .

ولاشك ان قيمة هذا البحث بالغة الاهمية من حيث ما قد يؤدى اليه من نتائج هامة فى مجال الوقاية قبل التشخيص والعلاج .

ومن ناحية اخرى فقد ثبت ان الدموع لها تاثير مباشر على جحوظ العين ، حيث ان التهاب الغدة الدمعية يكون احد الاسباب الرئيسية للجحوظ ، إذ ان هـــذا الالتهاب ينتقل سريعا الى العضلات والنسيج الدهنى، وبالتالى الى معظم الانسجة . وهو إن كان فى معظم الاحيان يصيب كبار السن إلا ان إصابات الاطفال به ايضا ممكنة !

أسباب الاصابة

ولكن ما هو الجحوظ ؟

الجحوظ هو بروز مقلة العين خـــارج « الحجاج » وهو عبارة عن تجويف مخروطى قاعدته إلى الامام وقمته إلى الخلف وجدرانه مكونة من صفائح من العظم تتخللها فتحات وشقوق تسمح للاعصاب والاوعية الدموية التى تغذى العين بالمرور خلالها . ويحتوى الحجاج بالاضافة الى العين على الكثير من الاوعية الدموية والاعصاب والعضلات والانسجة الدهنية التى تحيط بالعين . ويتناسب نمو تجويف « الحجاج » مع نمو كرة العين ويتوقف ببلوغ العين حجمها النهائى . ومن ناحية اخرى نجد انه إذا ازيلت العين من « الحجاج » خلال سنوات الطفولة تتوقف الزيادة فى حجم حجاج هذه العين ، ويصير اصغر حجما من حجاج الناحية الاخرى مما يؤدى إلى عدم تناسق شكل الوجه . وكنتيجة لهذا التناسب فى نمو حجم كرة العين وحجم تجويف الحجاج تظل العين محتفظة بوضعها داخل الحجاج بحيث أن القرنية لا تبرز خارج الخط الذى يصـــل حواف الحجـــاج العلوية والسفلية وتبرز خارج الخط الذى يصل الحافة الداخلية بالخارجية بمقدار لا يزيد عن ١٦ مم ، واما فى حالة الجحوظ فان القرنية تكون موجودة خارج هذه الحدود .

والعوامل الاساسية التى تؤدى الى الجحوظ إما أن تكون نتيجة لصغر حجم تجويف الحجاج او نتيجة لزيادة فى حجم احـــد الانسجة الموجودة بداخل هـــذا التجويف او فى جدرانه العظمية . وترجع هذه العوامل إلى اسباب خلقية او التهابات - اورام - إصابات او اختلال فى وظائف الغدة الدرقية او وظائف التمثيل الغذائى فى الجسم .

وتنتقل هذه الاسباب عن طريق الجينات (الكروموزومات) الوراثية وتؤدى إلى ان يكون حجم الحجاج اصغر من الحجم الطبيعى ، وعادة ما تكون مصاحبة بتغير فى شكل الراس والفم او غيرها من العيوب الخلقية فى منطقة الراس او فى باقى الجسم . فى هذه الحالات يظهر الجحوظ منذ الطفولة المبكرة وعادة يكون فى كلتـــا العينين .

وهناك بعض العيوب الخلقية التى تؤدى الى اتصال مباشر بين الشرايين والاوردة التى تغذى العين ، وهذا يجعل الدم الشريانى - ذا الضغط العالى - يندفع ليملأ الاوردة ويزيد من حجمها عدة مرات .

الالتهـــابات

إذا حدث التهاب فى اى نسيج من انسجة الجسم يحدث رد فعـــل مضاد لهذا الالتهاب ويأخذ صورة تمدد الاوعية الدموية التى تغذى هذا النسيج وزيادة الرشح من خلال جدران هذه الاوعية مما يسمح لخلايا الدم البيضاء بالتجمع بكثرة فى مكان هذا الالتهاب لمقاومته والقضاء عليه . وكنتيجة لهذه العوامل نجد أن حجم هذا النسيج يزيد عدة مرات عنـــد إصابته بالالتهاب .. كما أن جميع الانسجة الموجودة داخل تجويف الحجاج - من عضلات ودهن واوعية دموية - وتلك التى تشكل جدرانه - من عظام وغضاريف - معرضة للاصابة بالالتهابات التى تؤدى لزيادة حجمها ، وبالتالى تدفع العين إلى الأمام مسببة جحوظها ، وهناك بعض الديدان الطفيلية التى يمكنها ان تســتقر داخل انسجة الحجاج فيؤدى رد فعل الجسم الى تكون كتلة من الخلايا حول هذه الديدان ، او تقوم هذه الطفيليات بتكوين كيس يحتوى على يرقاتها ويأخذ هذا الكيس فى النمو داخل تجويف الحجاج مؤديا الى جحوظ العين .

الاورام

تصاب انسجة الحجاج بمختلف الاورام من خبيثة وحميدة ، كما يمكن للاورام التى تنمو فى المناطق المحيطة بالحجاج ان تغزوه من خلال الفتحات الموجودة فى جدرانه او بعد تدمير هذه الجدران والامتداد المباشر داخل الحجاج . والاورام التى يمكنها ان تصل الى الحجاج بالطريق المباشر هى تلك التى تنشا فى منطقة الحلق والجيوب الانفية ، اما الاورام الخبيثة التى تنمو فى المناطق البعيدة من الجسم فتبعث بعض الخلايا السرطانية عن طريق الدم وتنتشر فى مختلف انحاء الجسم بما فيها الحجاج . وقد يكون منشا هذه الخلايا السرطانية هو ورم خبيث فى احد الاعضاء مثل الثدى او الرئة حيث يمكن تشخيص المرض بالكشف الاكلينيكى او بالاشعة، وقد يكون المنشا هو نخاع العظام حيث تتكون خلايا الدم ، ويمكن تشخيص هذه الحالات بفحص الدم او اخذ عينات من نخاع العظام للفحص .

الاصابات

يمكن للبطحات التى تصيب الراس ان تؤدى إلى نزيف داخل الحجاج او كسر عظام الحجاج وصغر حجم تجويفه او تمدد فى جدران الاوعية الدموية او حدوث قنوات اتصال مباشر بين الشرايين والاوردة وكلها من اسباب الجحوظ ، اما فى حالات الاصابة بالاجسام الغريبة نجد ان الانسجة تحاول التخلص من هذا الجسم الغريب عن طريق احاطته بعدد كبير من الخلايا المدمرة مكونة كتلة من النسيج الخلوى التى تؤدى الى جحوظ العين .

وهناك اسباب اخرى منها امراض العظام المصحوبة بزيادة فى سمك جدران الحجاج ، واوديما الانسجة التى تؤدى الى تجمع كميات كبيرة من السوائل داخل هذه الانسجة واختلال التمثيل الغذائى للدهون فى الجسم مما يؤدى الى تجمع هذه الدهون داخل خلايا الانسجة التى يزيد حجمها .

انواع الجحوظ

يقسم الجحوظ إلى اقسام اكلينيكية كالآتي :

١ ـ جحوظ حاد .. ينشأ كنتيجة لأسباب سريعة التأثير مثل الالتهابات ـ النزيف ـ الأوديما ـ الكسور .

٢ ـ جحوظ بطيء .. ويتسبب عن اسباب بطيئة النمو مثل الأورام والاكياس .

٣ ـ جحوظ متردد : والسبب في هذا النوع من الجحوظ هو وجود تمددات في الاوردة وهذه التمددات لا تمتلىء بالـدم وتسبب الجحوظ إلا بعد القيام ببعض الحركات الخاصة مثل خفض الراس اسفل مستوى الجسم او ثني الرقبـــة ، بينما يختفي الجحوظ في الأوضاع العادية .

٤ ـ جحوظ نابضة : يعنى هـــذا ان العين تتحـــرك إلى الامـــام والخـــلف في تردد ممـــاثل لضربـات القـــلب او نبضات المخ . ويلاحظ هذا التردد في حالات الجحوظ الناشئة عن تمددات في الشرايين او وجود اتصالات بين الشرايين والأوردة حيث يتغير حجم هذه التمددات مع نبض القلب فيزيد الحجم مع انقباض البطين ويقل مع ارتخائه وينعكس تغير حجم هذه التمددات على الجحوظ الذي يصبح نابضا . وفي حالة وجود امتداد كيس من اغشية المخ داخل الحجاج فان الجحوظ في هذه الحالة يكون نبضه مماثلا لنبض السائل النخاعي الذي يملأ هذا الكيس .

٥ ـ الجحـــوظ المنكمش : في بعض انواع الجحـــوظ يمكن على الـعين ان تعـــود الى وضعهـا داخـل الحجاج وذلك في حالة ما اذا كان سبب الجحوظ كيسا في اغشية المخ او تمدد في الاوعيـــة الدموية . اما إذا كان السبب هو ورم او التهابات خلف العين فلا يمكن للجحوظ ان يكون منكمشا .

أهم الأخطار

والأخطار الناشئة عن الجحوظ تتلخص في :

● يقوم الجفن اثناء حركة فتح وغلق الجفون بتوزيع السائل الدمعي في صورة طبقة رفيعة من السائل على سطح القرنية لترطيبها . اما في حالة النوم فان القرنية تحتفظ رطبة خلف الجفون المغلقة التي تمنع تبخر السائل الدمعي المغطي للعين . وفي حالة توقف حركة الجفن او في حالة ما إذا كانت هذه الحركة غير كافية لكي تنتشر طبقة الدموع على جميع سطح القرنية ؛ او اذا فشلت الجفون في تغطية كافة هذا السطح اثناء النوم ، فان جفاف القرنية يحدث ، ويؤدي الى تشققها ثم غزوها بالجراثيم وتعتمها او امتداد هذه العدوى الجرثومية لداخل العين ، وحيث أن الجحوظ يؤدي الى بروز القرنية خارج حدود الحجاج لذلك نجد ان القرنية تصبح بعيدة عن حافة الجفون والتي تصبح غير قادرة على تغطية القرنية مما يؤدي الى جفافها .

● الضغط على الأعصاب والأوعية الدموية داخل الحجاج ، حيث يؤدي الضغط على العصب البصري الى ضمور هذا العصب وفقد الابصار . كما يؤدي الضـــغط على الأعصاب الاخرى الى شلل عضلات العين او فقد احساس القرنية مع ما يســـتتبعه من تقرحات وعتامات في القرنية . اما الضغط على الشرايين فينتج عنه انيميا وموت انسجة العين وخاصة الشبكية . ويؤدي الضغط على الأوردة الى زيادة انفجار هذه الأوردة وحدوث انزفة داخل العين .

● الضغط على كرة العين ، حيث ينبعج سطح كرة العين الى الداخل فيؤدي ذلك إلى زيادة الضغط داخل العين وهذا الضغط العالي يؤثر على الشرايين والأعصاب بالشبكية التي تضمر ويفقد المريض إبصاره او يؤدي هذا الانبعاج الى عدم انتظام في شكل الشبكية التي تتكون عليها صورة الأجسام المرئية مما يجعل الرؤية تبدو غير منتظمة .

ولكن كيف يمكن معرفة المكان المصاب داخل الجسم ؟ .

هناك عدة طرق بعضها يعتمد على الحس الاكلينيكي والبعض الآخر يحتاج الى اجهزة خاصة مثل :

● اتجاه الجحوظ على الجزء المصاب ، فمثلا اورام العصب البصري تسبب جحوظا في الاتجاه الامامي بينما اورام الغدة الدمعية (وهي موجودة في الجزء العلوي الخارجي من الحجاج) تدفع العين إلى اسفل وإلى الداخل ، بينمـــا الأورام الناشئة من الجيب الأفقي الموجود في عظام الوجنة تدفع العين الى اعلى .

● اشعة اكس .

● اشعة اكس المصحوبة بحقن صبغات او هواء داخل الحجاج .

● اشعة اكس مع حقن صبغات في الشرايين او الأوردة .

● الموجات فوق الصوتية .. وتتميز هذه الوسيلة من وسائل البحث على اشعة اكس بقدرتها على اعطاء صورة لمختلف الأنسجة التي تمر خلالها سواء كانت عظمية او نسيجيه طرية ، بينما اشعة اكس تعطي صورة للعظام فقط . كذلك يمكن لهذه الوسيلة التفريق بين الكتل المصمته والأكياس المجوفة والتفرقة بين المكونات الصلبة والسائلة ، وكذلك بين المكـونات المتجانسة وغير المتجانسة .

● اشعة اكس المحولة بالحاسب الاليكتروني ، اى يكون استقبال الأشعة على بلورات من مادة حساسة وليس على فيلم فوتوغرافي حيث تقوم هذه البلورات بارسال نبضات كهربائية تتناسب مع كمية الاشعاع التي تصلها او التي تعتمد على مكونات الانسجة التي مرت الاشعة خلالها الى مضخم لتضخيم قوة هذه النبضات ثم الى العقل الاليكتروني الذي يحولها الى صورة تليفزيونية تختلف اضاءة اجزائها حسب كمية الاشعاع التي وصلت الى الكمبيوتر من هذه الأجزاء .

● الكاميرات الحرارية .. وتستقبل هذه الكاميرات الأشعة تحت الحمراء التي تزداد كميتها في حالة زيادة سريان الدم في المكان ، لذلك نجد ان الأورام الخبيثة تظهر أوضح من الأورام الحميدة بهذه الوسيلة من وسائل التصوير .

● التصوير باستعمال النظائر المشعة .. وفيه تستعمل الات تصوير حساسة لأشعة جاما لتصوير الحجاج بعد حقن النظائر المشعة في الدم ، إذ تتجمع هذه النظائر في الاماكن التي يوجد بها نشاط انقسامي للخلايا مثل الأورام السرطانية فتبدو هذه المناطق اوضح من مناطق الانقسام الخلوي الطبيعي .

وهكذا .. فالعلم يتقدم .. والبحث العلمي يستمر كي يبهرنا بالجديد دائما في اتجاه مواجهة الأمراض ، واصبح تحليل الدموع إضافة جديدة لكل هذه الوسائل وهي احدث ما توصلت اليه الأبحاث من اجل التشخيص ، بل والعلاج لكثير من الأمراض .

نبيل سليم علي

صبحي الشاروني

الملكة السابقة فريدة في معرضها الفني الثاني





جزء تفصيلي من لوحة « إبنة اختى » التى رسمها الفنان الرائد محمود سعيد ، لفريدة فى طفولتها عام ١٩٣٣ ، اللوحة ضمن مقتنيات متحف الفنان « محمود سعيد » بالاسكندرية





احدث لقطة للفنانة فريدة ، وهى تتابع كل ما ينشر فى مجلة الدوحة

اسم الجلالة (الله)

للمرة الثانية اقامت : ملكة مصر السابقة « فريدة » معرضا للوحاتها الفنية بالقاهرة بفندق « الميرديان » المطل على النيل ، حيث عرضت مجموعة من لوحاتها الأخيرة التى رسمتها بعد ان تجاوزت سن الستين .. كانت المرة الاولى عام ١٩٨٠ ، لكن مواصلة الانتاج الفنى والحرص على عرضه على الجمهور فى وطنها مصر وفى الخارج جعلها تعود إلى الأضواء مرة اخرى لكن فى موقع جديد .

إن قصة فريدة يعود تاريخها إلى اكثر من ستين عاما ..

ففى اليوم الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٩٢١ رزقت السيدة الجليلة زينب هانم ذو الفقار ، حرم سعادة يوسف بك ذو الفقار ، طفلة بديعة التكوين ، هى اول ما رزق الله هذين الزوجين الكريمين من ذرية . فاطلقا عليها اسما تركيا جميلا هو « صافى ناز » كما كانت عادة الأسر العريقة التى تنتمى إلى اصل تركى قديم .

هى كريمة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار وكيل محكمة الاستئناف المختلطة ، ابن على باشا ذو الفقار محافظ العاصمة الأسبق ، ابن يوسف بك رسمى احد كبار ضباط الجيش المصرى فى عهد اسماعيل .

اما والدتها السيدة زينب هانم ذو الفقار فهى كريمة المغفور له محمد سعيد باشا الذى رأس الوزارة المصرية غير مرة . ولها اخوين هما سعيد ذو الفقـــار وشريف ذو الفقار ..

درست فى مدرسة « نوتردام دى سيون » الفرنسية بالاسكندرية فاتقنت اللغتين الفرنسية والانجليزية ، ولما لاحظ والدها حاجتها إلى الاستزادة فى اللغة العربية احضر لها مدرسا خاصا .

لها هوايات كثيرة اولها الموسيقى وبنوع خاص العزف على البيانو ..

وليس يوسف باشا عازفا ماهرا على البيانو وحسب ، بل هو كذلك رسام بارع حتى ليجد الداخل الى السراى صورة زيتية من صنع والدها وبريشته ، فلا غرابة



منظر على النيل : احدى لوحاتها فى معرضها الذى اقيم بفندق الميرديان فى القاهرة خلال شهر ابريل ١٩٨٤



صورة عائلية لفاروق وفريدة مع فريال إبنتهما الاولى – فبراير ١٩٤٢ م

اذن ان تكون رسامة ماهرة اذ تتلمذت لوالدها فى الرسم وقتا غير قصير .

ولفريدة شغف خاص بعصفور الكنارى ، وقد بلغ من فرط حبها لهذه العصافير انها كانت تتولى اطعامها بنفسها .

المناخ الفنى

وهذا بعض ما نشر بالمجـلات المصرية (المصور) فى يناير عام ١٩٣٨ عن الملكة « فريدة » بمناسبة زواجها من الملك فاروق ، الذى غير اسمها من « صافى ناز » الى « فريدة » لانه يبدأ بحرف « الفاء » ، وهو الحرف الذى كان شعارا للاسرة المالكة فى مصر منذ تولى الملك « فؤاد » والد « فاروق » فكان ينتقى الاسماء التى تبدأ بهذا الحرف ليطلقها على ذريته : فاروق ، فتحية ، فايزة فريال .. وهكذا ..

ولكن « فريدة » لم تستمر ملكة سوى ١١ عاما ، فقد انجبت ثلاث بنات ولم تنجب ولدا ، وطلقت عام ١٩٤٩ فاصبحت « الملكة السابقة » .. لكنها عندما اتجهت إلى الرسم اتخذت لنفسها اسم « فريدة مصر » ليدرك من يسمع الاسم انها كانت ذات يوم ملكة مصر وسيدتها الاولى .

ولم تبالغ مجلة المصور كثيرا فيما نشرته عنها عند زواجها ، فقدنشات فى اسرة تعنى بشئون الفن سواء من ناحية العصب او النسب .. فعمها « حسين ذو الفقار » كان مشرفا على تنسيق الحدائق بالقاهرة ، ويرجع إليه الفضل فى اقامة « حديقـــة الأندلس . تلك التحفة الفنية على الطراز العربى الفاخر . اما اخوها « شريف ذو الفقار » فقد اشتهر كمصور فوتوغرافى متفوق ، لكن نشاطه خفت اخيرا رغم تالقه فى هذا الميدان حتى نهاية الستينات . كما ان الفنان المربى « سعد الخادم » هو ابن خالها وهو يعتبر مرجعا موثوقا فى الفنون الشعبية .

لقد ولدت بقصر جدها « محمد سعيد باشا » في حي جاناكليس بمنطقة رمل الاسكندرية ، هذا القصر سكنه خالها الفنان الرائد « محمود سعيد » بعد وفاة ابيه صاحب القصر .. ومحمود سعيد هو احد

الاعمدة السبعة الذين قامت على اكتافهم نهضة الفنون الجميلة فى مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين .. لقد اصبح هذا القصر بعد وفاة محمود سعيد « متحف محمود سعيد » الذى تشرف عليه وزارة الثقافة .

وكانت « صافى ناز » تتردد فى طفولتها على خالها الذى رسم لها لوحة رائعة عام ١٩٣٣ واطلق عليها اسم « ابنة اختى » .. إنها تصور الفنانة وهى لم تتجاوز الثانية عشرة من عمرها ، وهى لاتزال تذكر ظروف رسمها عندما جلست امامه فى حديقة القصر تحت الأشجار ، وكانت كثيرة الحركة مما كان يهدد بعدم اتمام تلك اللوحة ، إن هذه اللوحة هى الآن إحدى معروضات هذا المتحف التى يعتز بها .

ومن هنا كانت ميولها الفنية تجـــد تشجيعا من الاسرة ، فضلا عن المناخ الثقافى المنتعش بالاسكندرية فيما بين الحربين ، عندما كانت الاسكندرية تستقبل الفنون الواردة عبر البحر الابيض ، وتضم عددا كبيرا من مراكز الاشعاع الثقافى ، وتعج بالشخصيات اللامعة فى مجالات الأدب والفن من المصريين والمستوطنين الاجانب .

الصورة الرسمية التى نشرت لفريدة عند زواجها من فاروق فى يناير عام ١٩٣٨ م

اللوحات الضائعة

وبزواجها من الملك فاروق خرج الفن من بؤرة الاهتمام ، وكنا نرى فى طفولتنا موكبها يسير متجها الى مستشفى القصر العينى حيث استحوذ عليها النشـــــاط الاجتماعى ومساعدة المرضى من الفقراء ..

وعند طلاقها تعاطفت معها مظاهرات الطلبة التى هتفت لها ووصفتها بالطهارة .. لقد كانت تلك الاعوام السابقة على ثورة يوليو ١٩٥٢ هى اعوام العداء للملك السابق فاروق التى مهدت الطريق لتحرك الجيش ليتولى السلطة فى مصر .

وعندما تكون المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - فى ظل الثورة - اصبح خالها « محمود سعيد » مقررا للجنة الفنون التشكيلية بالمجلس ، وكان اول من تمنحه الدولة جائزتهـــا التقديرية فى فن الرسم تقديرا لمواهبه وجهوده فى ميدان الفنون الجميلة .. إنه هو الذى شجعها على السير فى اتجاه الفن ..

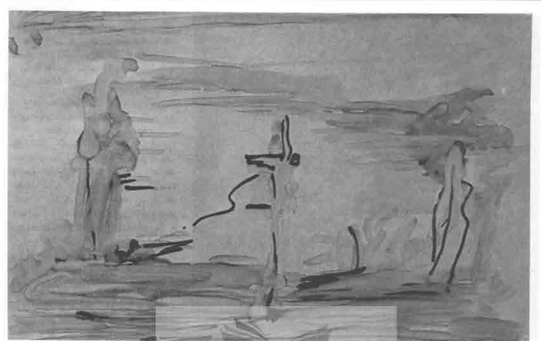
كانت تبحث عن شيء يشغل وقت فراغها وكانت تسكن قرب اهرام الجيزة لا يفصلها عنها سوى المزارع والحقول ، فرسمت الحصاد والعمل فى الحقل والاهرامات ، وشاهد محمود سعيد تلك الرسوم واعتبرها نوعا من « الفن الفطرى عند الكبار » فشعرت ان ما تفعله له قيمة فنية ، وابدى لها اعجابه بتجربة المربى الرائد « حبيب جورجى » الذى اجرى تجربة تربوية حول الفن الفطرى عند الاطفال المصريين فيما بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٥١ ، ووجهها خالها لمشاهدة هذه الاعمال والتعرف عليها باعتبار رسومها لها نفس الروح والمذاق .

ولما كان الفنان يحتاج عادة الى مكان مستقل بعيدا عن اماكن المعيشة لكى يتمكن من الانغماس فى فنه والتفرغ له .. فقد كان لمحمود سعيد مرسما فوق سطح قصره بالاسكندرية فدعاها لتشغله فترة من الزمن حيث رسمت الوجوه بطريقة بدائية تمثل مرحلتها الثانية .. لكن للأسف كل اعمالها فى مصر قبل الهجرة الى الخارج ضاعت .. والفنانة تتمنى اليوم لو عثرت على نماذج من أعمال تلك المرحلة !

بقيت فى مصر حتى عام ١٩٦٣ تجرب وتحاول ثم سافرت الى لبنان ارض غربتها الاولى حيث واصلت رسم وجوه الشخصيات الاجتماعية ، ولم يتعد الامر شكلا من اشكال الهواية لتمضية اوقات الفراغ .

من الهواية الى الاحتراف

فى عام ١٩٦٧ وبعد هزيمة يونيو انتقلت « فريدة » الى سويسرا .. من الدفء





ثلاث لوحات من معرض الفنانة : منظر طبيعي ، وجه ، وعلى الصفحة المقابلة : منظر ريفي .. ويرى النقاد ان لوحاتها مشحونة بالضوء والثراء ، مع تدرج لـوني وتناسق دقيق ، وانها تركز على التلاعب بالخطوط التى تبدو وتختفى وفقا لاحتياجات التكوين .

والمحبة والحنان فى بيروت الى البرودة والجفاف والشقاء والثلوج فى ارض غربتها الثانية . هناك اتخذ الفن شكل المهنة واستحوذ عليها العمل الفنى ، فاتجهت الى اجراء تجارب على الخامات والأسطح ، لتحصل على وسائط جديدة تعاونها فى التعبير بالرسم . مثل البحث عن المواد التى تمكنها من تحقيق سطح مصقول عاكس ، وبعد أن كانت ترسم وجوه الناس بدات ترسم صورا من ذاكرتها واستخدمت اللهب تكوى به اماكن فى سطح اللوحة لتستخرج من تاثيرات الاحتراق ودرجات الكى اشكالا جمالية وفنية .. لقد عاشت فى سويسرا أربع سنوات كانت تتردد اثناءها على لبنان وباريس ، واقامت اول معارضها فى باريس عام ١٩٦٨ ، وانتقلت المعروضات لامريكا ، لكن قاعة العرض التى تسلمت الاعمال منها ومن عدد من الفنانين الفرنسيين افلست ، واختفت نتيجة لذلك كل اعمالها فى تلك الفترة ايضا .

وقد انتقلت لتعيش فى باريس عام ١٩٧٠ ، واحست بحاجتها الى التعرف على تاريخ الفن فتوقفت عن الرسم عاما كاملا انفقته فى زيارات منتظمة للمتاحف والمعارض الفرنسية ، والتحقت بمدرسة متحف « اللوفر » لتاريخ الفن . ولكى تتعمق فى دراسة الفنون القديمة نقلت بفرشاتها بعض الايقونات الروسية والبيزنطية ، ثم



حاولت ان ترسم على منوالها من تاليفها .. كما كانت لوحات التصوير الاسلامى وزخارف الكتب والمنمنمات القديمة من الاشكال الفنية التاريخية التى استحوذت على اهتمامها ، فابتدعت من اجلها نوعا من الطلاء اللامع مثل الورنيش او الشمع ، عندما تكسو به لوحاتها يعطيها مظهرا اثريا .

وفى عام ١٩٧٤ اقامت معرضا لأعمالها فى بيروت ، وزاد احساسها بضرورة الدراسة وتعلم حرفية الفن . فالتحقت فى باريس بمرسم متخصص فى تعليم طرق الطباعة اليدوية المعـــروفة باســـم « الليتوجراف » وفيها يرسم الفنان تصميمه على سطح صلب كالحجر او المعدن ثم يطبع منه عددا محدودا على الورق ، وإذا كانت لوحته ملونة تحتم عليه ان يرسم كل لون مستقل على سطح الحجر وبعد ان يطبعه يزيل الرسم ويضع بدلا منه اللون الآخر وهكذا فهو يطبع لوحته عدة مرات ليضيف فى كل مرة لونا جديدا .. وقد اتقنت الملكة فريدة هذا النوع من العمل حتى اخرجت اعمالا بها ستة الوان .. لكن رائحة الاحبار وكيماويات المطابع بدات تؤثر على صحتها بالاضافة الى المجهود العضلى الذى تتطلبه عملية الطباعة ، لهذا توقفت بعد فترة عن انتاج هذا النوع من الفن لتستمر فى الرسم الملون وحده .

وبعد دراستها لفن الجرافيك دعيت للاشتراك فى معرض « الفن المصرى المعاصر » الذى اقيم فى القصر الكبير (الجران باليه) وضم اعمال كبار الفنانين التى سافرت من القاهرة الى باريس خصيصا لهذا المعرض عام ١٩٧٥ ، وكانت تمثل هذه الدعوة نهاية لعزلتها وبداية لمرحلة جديدة تحقق لها اتصالا بارض الوطن ، فازداد نشاطها واتسع،فاقامت فى نفس العام معرضا فى مدريد واخر فى جزيرة « بالمادى مايوركا » باسبانيا .

ثم اقامت فى العام التالى معرضا منفردا بقاعة المركز الثقافى المصرى بباريس .. ثم توالت معارضها : فى فرنسا ١٩٧٨ وفى القاهرة ١٩٨٠ ثم فى جنيف ١٩٨١ وفى بلغاريا ١٩٨٢ وفى تكساس بالولايات المتحدة ١٩٨٣ ، واخيرا بالقاهرة مرة اخرى ١٩٨٤ .

الفن الفطرى

وتنتمى اعمال « فريدة » إلى « الفن الفطرى عند الكبار » فرغم المناخ الفنى الذى عاشت فيه الا انها لم تدرس الفن فى سن الدراسة ولكن بعد ان تقدم بها العمر .. صحيح ان دراستها لتاريخ الفن ولفن الجرافيك كان لها اثرها فى تطور فنها واضافة بعض مهارات ومميزات الفنون الرفيعة الى اسلوبها ، لكن يبقى انتاجها حتى الآن داخل دائرة الفنون الفطرية عند الكبار .

إن بعض الراشدين فى المجتمعات الحديثة يتجهون الى الرسم او النحت تحت الحاح رغبة ذاتية جامحة لا يمكن مقاومتها .. ويصل الامر ببعضهم الى هجرة وظائفهم واعمال مهنتهم والتضحية فى سبيل الفن بكل ما يملك .

يحدث ذلك دون اى دراسة سابقة للفن او اى معرفة بقواعده واصوله .. ان بعض هؤلاء يبدا الانتاج الفنى بعد ان يتخطى سن الأربعين ، ومعظمهم من سكان المدن .

هؤلاء يطلق على انتاجهم اسم « الفنون الفطرية عند الكبار » لأنهم يتجهون الى الفن تحت الحاح رغبة غريزية فى سن متقدمة وبدون اى دراسة متخصصة ، ولا يهدفون من هذه الممارسة الى تحقيق اى كسب مادى ، وانما لاشباع هوايتهم او من اجـــل التنفيس عن اشـــكال من الملل والاحباط التى يعانى منها افراد المجتمعات المتقدمة .

وقد انتشرت هذه الظاهرة فى فرنســـا خلال الربع الأخير من القرن الماضى ، ولفتت الانظار واطلق على روادها اســـم « فنانى يوم الاحد » لانهم كانوا يمارسون الانتاج الفنى يوم عطلتهم الاسبوعية .

ويعتبر الفنان الفرنسى «هنرى روسو» (١٨٤٤ ـ ١٩١٠) اشهر من مارسوا الفن


فريدة فى عيد ميلادها الحادى والعشرين ـ سبتمبر ١٩٤٢ م

الفطرى عند الكبار ويطلق عليه البعض اسم « أشهر البدائيين » او « الجمركى » نظرا لانه كان موظفا فى الجمرك لمدة خمسة عشر عاما رسم خلالها أيام الآحاد والاجازات فقط ، ثم استقال من وظيفته ليتفرغ للرسم .. واعماله تحتل مكانا بارزا فى تاريخ الفن ، وتعرض فى احد مبانى متحف اللوفر بباريس الى جانب اعمال الفنانين التاثريين .

والفنان الفطرى يرسم احلامه وخيالاته ، التى تتميز بسذاجة الشكل وبساطة الموضوع ، وهو يخرج فى اعماله بعض المخزون فى اعماق الذاكرة الانسانية .. وتتميز الفنون الفطرية عند الكبار بالخيال الجامح والتعبير القوى بطرق رمزية ، مع الازدحام بالافكار ، ولكل فنان فطرى نظرة خاصة الى العالم تجعل أسلوبه الفنى متفرداً .

وقد شاع الاهتمام بهذا الفن مؤخرا حتى اقيم فى براتسلافا بتشيكوسلوفاكيا معرضا دوريا يقام مرة كل ثلاث سنوات ويطلق عليه اســم « الترينالى الدولى للفن الفطرى » ، وذلك منذ عام ١٩٦٦ ويشارك فيه الفنانون الفطريون من جميع انحاء العالم حيث تخصص الجوائز لافضلهم .

تطور رسومها

لقد بدات « فريدة » تتجه إلى الرسم عام ١٩٥٤ فى ظروف نفسية صعبة ، فكان الانغماس فى الرسم يمثل محاولة للهروب من المشاكل والظروف المحيطة ، او نوع من تفريغ الشحنات النفسية .

فى البداية رسمت المناظر التى حولها ، وكانت تسكن قرب اهرام الجيزة حيث تمتد حقول القمح تحت سطح الهضبة التى تحمل تلك الاهرامات .. وكانت رسومها بالقلم الرصاص فسجلت جمال الطبيعة حولها مع التنفيس عن مشاكلها وهمومها ، ثم ما لبثت ان اتجهت الى الرسم بالالوان واذا بكل من راى لوحاتها يثنى على قدراتها على التلوين فهى موهبة طبيعية .. وانتقلت الى رسم وجوه المحيطين بها باسلوبها الفطرى الذى لم تصقله الدراسة الاكاديمية .

وهى لم تتجه الى الرسم من الذاكرة والتاليف الا فى السبعينات ، كانت لوحاتها طوال الفترة السابقة نقلا عن الطبيعة وخاصة وجوه من حولها .. عندما بدات التاليف كانت مشاعر الضيق تسيطر على لوحاتها ، نساء حزينات وخطوط ترمز الى الدموع تسيطر على التكوين العام لكل لوحـة .

وفى باريس وجدت فى محلات بيع أدوات الرسم والفنون الجميلة خامات متنوعة ، فراحت تجرب كل جديد ، ومن هنا تعرفت على خامات تميزت بالبريق والثراء واشبعت رغبتها فى تحقيق سطوح لامعة ذات مظهر معدنى ذهبى وفضى ومتعدد الالوان .

اما الاسلوب المستخدم الآن فى لوحاتها فقد بداته بعد استقرارها فى باريس وبعد اكتشافها للاسلوب الجديد والخامات التى تعطى لوحاتها سطحا شديد الثراء والغنى .

ويقول الناقد « مانيك بريسكيل » : « إن لوحـاتها مشحونة بالضوء والثراء ، مع تدرج لونى وتناسق دقيق .. حتى ان الاحساس برقة الخطوط هو احد الملامح المميزة لاعمالها .. انها تركز على التلاعب بالخطوط التى تبـــدو وتختفى وفقـــا لاحتياجات التكوين بينما الضوء يغمر كل شيء حتى اعمق حدود الالوان .. » .

« ان سحر الشرق يظهر فى اللوحات بينما تعبر بعضها عن المعاناة والبؤس فى حين تكتسى جميع الوجوه بانسانيـــة متسامية » .

الاضاءة المتغيرة

فى قاعة معتمة تماما ، لا يتسلل اليها اى ضوء خارجى ، وزعت اللوحات على الجدران وعلى الحوامل الخشبية .. وفوق كل لوحة مصباح ضوئي يمثل الشمس فى فترة الظهيرة وقد سلط ضوءه على اللوحة مباشرة ، بينما على احد جانبى كل لوحة مصباح اخر يمثل ضوء الشروق او الغروب .. الضوء المسلط على اللوحـــات يخفت تدريجيا حتى تتوه الخطوط وتتعذر الرؤية ويصبح تامل اللوحات كمحاولة النظر الى



صورة من ارشيفها الخاص : فريدة فى يناير عام ١٩٤٢ ، بعد مضى اربع سنوات على زواجها من فاروق

الطبيعة فيما بين الغروب وحلول الظلام .. ثم لا تلبث الاضواء ان تقوى تدريجيا وكان الشمس تشرق من جديد ، فتغتسل اللوحات بالضوء وتكشف عن ادق تفاصيلها وكانها معروضة فى ضوء الشمس .. وهكذا يحلو للمشاهدين ان يراقبوا التغيرات التى تحدث نتيجة لتغير الضوء الصناعى الساقط على العمـــل الفنى .

لقد كان الفنانون التاثيريون فى فرنسا يحاولون التقاط المشهد فى كل ساعة من ساعات النهار او الليل وتثبيته على لوحاتهم .. اما الفنانة « فريدة مصر » فهى تحاول تحقيق الاحساس بالتغيير والاختلاف عن طريق تلخيص كل ساعات اليوم فى عدة دقائق كبديل لتغيرات ضوء النهار على المنظر الطبيعى الواحد .. امـــا الهدف الجمالى فهو تحقيق نوع من الحركة التى يطلق عليها اسم « سيتيستزم » .

وموضوعاتها مستوحاة من اشكال الحياة .. حيث تبدو المناظر الريفية من خطوط الفجر الاولى الى الشمس الساطعة فى الظهيرة ، ومن الشحوب فى الغسق حتى هدوء الليل ، وهى الشحوب بالوان مشعة فتحقق نوعا من الحلم الشفاف ، فيه حرارة الفن الفطرى حتى تبدو الاشكال وكان عليها مسحة سحرية .

وتقول الفنانة فى شرح اسلوب عرض لوحاتها :

« بالنسبة للاعمال الفنية الثلاثية الابعاد ـ مثل النحت وفن العمارة ـ تاتى متعتنا فى النظر اليها من التحرك حول العمل الفنى ورؤيتـــه من زوايا مختلفة .

ولكن عندما يتحرك العمل الفنى ذاته فاننا نطلق عليه اسم « الفن الحركى » وفى عام ١٩٧٨ فى معرضي بباريس ادخلت الاضاءة الصناعية كجزء مكمل للعمل الفنى ، وتمكنت بواسطة استخدام جهاز اضاءة معين الايهام بخلق المنظر الطبيعى المتغير دائما وكانه تحت ضوء الشمس ولكن داخل قاعة العرض نفسها » .

ان امنيتها ان تجد مكانا واسعا لكى ترسم فيه لوحات ضخمة .. ان الافكار تتزاحم عليها الان ولا تجد مكانا متسعا لتنفيذها .. لكنها تخشى فى نفس الوقت اذا تحققت امنيتها ان تكف الافكار الجديدة عن التزاحم فى راسها كما يحدث مع كل الفنانين الذين ابدعوا فى سنوات شقائهم افضل اعمالهم .

بقى ان تعرف ان ملكة مصر السابقة « فريدة مصر » تعيش الان من فنها .. إنها بعد ان بلغت الثالثة والستين من عمرها اصبح يتوجب عليها رسم اللوحات وبيعها لكى تواصل حياتها فى مستوى لائق .. ولهذا سنشاهد لها معارض تالية وسيتطور رسمها وتعطى الجديد .

صبحى الشارونى

شكل (١) الصورتان لنفس المكان ، لكن الشاطىء فى أحداهما (الى اليسار) قد غمرته مياه البحر حتى وصلت الى المنازل ، فى حين أن نفس الشاطىء فى الأخرى (الى اليمين) قد انحسر عنه الماء فظهر .. هذه الظاهرة التى تعرف باسم المد والجزر كانت للناس فيها تفسيرات خيالية وروايات خرافية



بين الظواهر الطبيعية والتفسيرات الخيالية

بقلم د. عبدالمحسن صالح



شكل (٢) قد تتوهج السماء في ليل صاف ببريق لامع وكأنما هناك كوة أو نافذة مضيئة قد فتحت في السماء ، وما هي الا بفعل شهاب احترق في طبقات الجو العليا نتيجة اندفاعه بسرعة فائقة واحتكاكه بعنف مع جزيئات الهواء .. لكن هذه الظاهرة الطبيعية قد فسرت تفسيرا اخـــر

الانسان ابن بيئته ـ هكذا قالوا ، وهو قول صحيح الى أبعد الحدود ، ففيها ينشا وبمناخها يتاقلم ، ومن خيراتها يتغذى ، وعلى عاداتها يتربى ، وبطبيعتها يتكيف ، وفى ظواهرها قد يرى أمورا تحيره ، واحداثا ترعبه ، وعوامل تثيره .. فمن برق يومض ، إلى رعد يقصف ـ الى صواعق تحرق ، الى زلازل تدمر ، الى براكين تذفجر الى شهب تنطلق ، الى رياح تعوى ، الى سيل ينهمر ، الى فيضانات تكتسح .. الى اخر هذه الظواهر التى لازالت بيننا قائمة ، لكننا ـ مع ذلك ـ لا نفسرها كما فسرها الأقدمون بتصورات خيالية ، وحكايات خرافية تناسب مداركهم ، وتساير زمانهم ، فارجعوها الى ارواح واشباح ومردة وغيلان ومعجزات وما شابه ذلك .

ان ظاهرة مثل ظاهرة المد والجزر التى تحدث فى البحار والمحيطات كل يوم ، وفيها يرتفع الماء ليغطى مساحات من اليابسة ، فيكون المد ، ثم ينحسر ، ليكون الجـــزر (شكل ١) .. هذه الظاهرة التىيدرسها التلاميذ الآن فى مدارسهم ، ويعرفون انها نتيجة حتمية لقوى الجاذبية القائمة بين الأرض والقمر ، أو بين الأرض والشمس والقمر ، وانها تخضع لنفس المبادىء التى صاغها العالم الشهير اسحق نيوتن من مئات السنين فى معادلات رياضية ، ليوضح بها حركة وجاذبية الأجــــرام السماوية .. هذه الظاهرة كان للاقدمين فيها تفسيرات غريبة لا تلقى الآن قبولا حتى عند الصبيان !

فمن خيال الاقدمين ان المد والجزر يحدث بسبب حيوان ضخم اسمه الحوت .. « فعندما يتنفس ، ينساب الماء الى منخريه فيكون الجزر ، ثم يتنفس ، فيخرج الماء منهما ، ليكون المـد » !

وفى تصور قديم اخر يجيء التعليل هكذا « ان الأرض تتنفس كما يتنفس الانســان والحيوان ، وان لها قفصا صدريا يعلــو ويهبط ، فاذا استنشقت كان المد ، واذا زفرت حدث الجزر » !..

ويسوق المقدسي في هذا المجال تفسيرا طريفا ، فيذكر : « ان الناس قد اختلفت في معرفة أسباب المد والجزر ، الا ان قوما قالوا عنهما انهما بسبب ملك من الملائكة ، اذا غمس اصبعه في البحر كل يوم مد ، واذا رفعه جزر» .. وفي التراث الشعبي للدول المختلفة تفسيرات اخرى مسلية وساذجة ، الا انها على اية حال ـ مريحة ومقنعة للعصر الذي قيلت فيه .

لكن ذلك لم يمنع من ظهور بعض العباقرة الذين تاملوا هذه الظاهرة ، وارجعوها الى تفسيرات قريبــــة من تفسيراتنا العصرية ، فها هو ابو معشر البلخى المتوفي عام ٨٨٦ ميلاديــة قد « اتحف العالم الاسلامى والأوربى بحقيقة علمية تتعلق بنظم المد والجزر ، فقد عللها ببحثه على اساس علاقتهما بطلوع القمر وغيابه » ـ على حد ما جاء في كتاب دكتور فيليب حتي « تاريخ العرب » !

بين الماضي والحاضر

والواقع ان الكتب القديمة تحتوى على حصيلة هائلة من الظواهرالطبيعية التي راها الناس ، وعللوها باساطير خاطئة ، ورغم ان الأفكار قد تنورت ، والمدارك قد تطورت ، والعلوم قد تقدمت ـ رغم ذلك فلا يزال الناس يعيشون في جو من هذه الخرافات ، بعضها امتداد لفكر قديم ،



شكل (٣) ظل طائرة على السحاب ، وقد احاطته هالة وهي ظاهرة تظهر كثيرا اذا كانت الظروف الجوية مناسبة

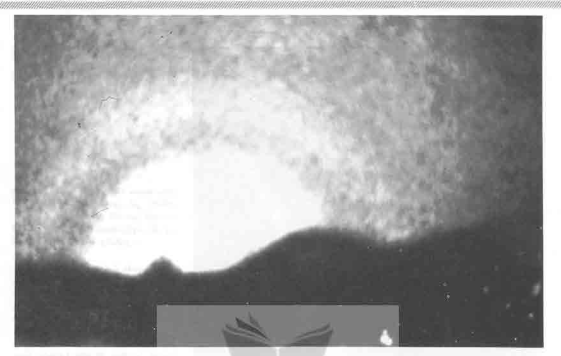
والآخر لفكر حديث فرضته البيئة العصرية الجديدة ، فعندما اكتشف العلماء الحيوانات الضخمة المنقرضة (اي الديناصورات) على هيئة حفريات ، او عندما تحدثوا عن اشباه الانسان ، او اطلقوا الصواريخ الى الفضاء ، علل الناس الظواهر التي راوها بتعليلات تناسب الحال ، فقالوا انهم راوا الحيوانات الضخمة تبرز من البحيرات ، وشاهدوا اشباه الانسان يمشي في الثلوج والغابات ، وسجلوا الصواريخ والاطباق الطائرة وهي تاتي وتهبط من الفضاء ، وكلها امور قد حققها العلم ، وظهر زيفها وخداعها ، وهذا ما تعرضنا له بشيء من التفصيل في ثلاث دراسات سابقة على صفحات هذه المجلة .

وقد يساعد الفكرالسائد عند فرد من الافراد ، او جماعة من الجماعات ، او شعب من الشعوب ، على تعليل الظاهرة الطبيعية بما وفر في عقله ، او حسب ما تمليه عليه مداركه ، او متاثرا بالمناخ الفكري السائد في بيئته او زمانه ، فليس ادراك الطفولة كادراك الصبا والشباب والرجال والشيوخ - فهذه جميعا مراحل يمر بها الانسان لينضج عقله ، وتزيد معارفه ، وتصقل خبراته ، وينمي ملكاته - كل هذا يتوقف على كونه يريد ان يعرف او لا يعرف ، فالذى يعرف خير وافضل ممن لا يعرف .. « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » !

ان مثلا واحدا قد يوضح معنى ذلك خير توضيح ، فكاتب هذه الدراسة قد راى في صباه المبكر كوة او نافذة تفتح في السماء ، ومنها ينطلق قدر هائل من الضياء ، فانطلق مبتهلا ومكبرا وداعيا ، لعل دعواته تستجاب في هذه اللحظة المباركة في الليلة المباركة في الثلث الاخير من شهر رمضان ، او بالتحديد في ليلة السابع والعشرين من شهر الصيام التى ظن انه راى فيها ليلة القدر .

ان الظاهرة صحيحة ، لكن تعليلي لها في هذه السن المبكرة خاطيء ، وهو ناشيء من اعتقادي الراسخ بما سمعت وقرات في صباي من كتب عن اوصاف ليلة القدر ، كما انني كنت وقتها مهيا نفسيا لرؤيتها ، حيث كنت اتوجه الى الخلاء ، لارقب السماء ، وبالفعل رايتها ، ومن الممكن ان يراها غيري في اي زمان ومكان ، وعلى مدار العام ، او في كل عام ، لان ما رايت لم يكن في الحقيقة الا تلك الظاهرة الطبيعية التي يطلق عليها اسم « ظاهرة الكرة النارية » وفيها تحترق الشهب والنيازك المندفعة نحو غلافنا الهوائي بسرعة رهيبة ، وينتج من احتكاكها بجزيئاته ارتفاع هائل في درجات الحرارة تؤدي الى انصهار مادتها وتفتتها في طبقات الجو العليا ، ويصحب ذلك ضوء باهر يختلف شكله باختلاف حجم الشهاب وطبيعته (شكل ٢) .. اي ان رؤيتي لنفس الظاهرة الآن وتعليلي لها ، يختلف عن مفهومي القديم .

اذن فليلة القدر ليست طاقة او كوة او نافذة تفتح في السماء - كما جاء في بعض كتب التراث القديم ، بل هي ليلة لها قدرها وشرفها وسموها على سائر الليالي ، لان الامور تقضي فيها وتقدر - كما جاء في التفاسير التي اطلعنا عليها ، ولم يرد فيها شيء مما رايت من شهب حسبتها طاقة او كوة ، وقد يراها غيري فيعتقد انها اطباق طائرة ذات اضواء ساطعة ولان عقله قد يكون مهيا لتلك الظاهرة ، وهو ايضا متاثر



شكل (٤) عندما يقف الانسان فوق جبل مرتفع ويقع ظله على سحابة او شابورة تحته ، فقد تحاط راسه بهالة كالتي تراها في الصورة

بما سمع وقرا عن هبوط هذه الاجسام المحلقة من الكون الخارجي .. المهم ان كل انسان يرى الظاهرة الطبيعية ، فيفسرها التفسير الذي يهواه ، ومتاثرا في ذلك بالمناخ الفكري السائد .. ان خيالا فخيالا ، وان علما فعلما ، ولكل ما سعى .

وظهرت المعجزة معلقة !

والغريب ان التفسير الخاطىء « لبعض الظواهر قد يترك بصماته على بعض الشعوب ، واحيانا ما اتخذت الظاهرة علامة على الورع والقدسية ، او هي نذير شؤم ، او قدوم سعد .. الى اخر هذه الامور التى سجلتها كتب التاريخ ، وغابت عن كثير من الباحثين ، لكن العلم نبشها وحققها ، وتوصل الى لب الحقيقة فيها ، وعندئذ ظهر ان المعجزة التى تحدث بها الناس ليست معجزة على الاطلاق ، بل هى عجز فى انماط البحث والتفكير ليس الا .

تحكي لنا بعض المراجع العلمية التي تتناول الظواهر الطبيعية قصصا مثيرة ، واعتقادات غريبة هلل لها الاقدمون ، وبها استبشروا خيرا .. من ذلك – على سبيل المثال – ان الامبراطور الرومانى قسطنطين الاكبر (٢٨٠ – ٣٣٧ م) كان اعدى اعداء المسيحية ، لكنه تحول فجاة واعتنقها في عام ٣١٢ م ، واصبح من اخلص انصارها ، وكان سر هذا التحول الغريب انه راى المعجزة رؤية العين في احد ايام ذلك العام اذ جاءه من يخبره ان الله قـــد اظهر معجزته على صفحة السماء ، وما عليه الا ان يخرج ليراها ، فلعل ذلك بشير يهديه الى الدين الجديد !

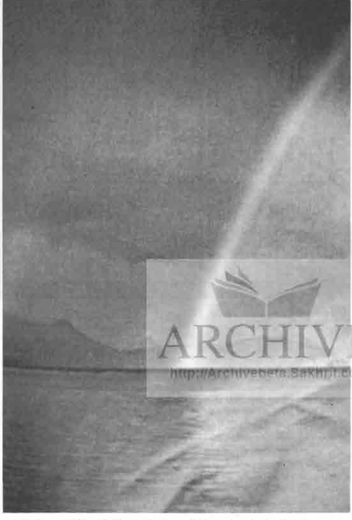
وخرج الامبراطور لينظر حيث اشار الناس ، فوجد نورا مرسوما برسم اشبه بالصليب – راه وهو يتراقص ويتحرك في عليائه ، فوقف مبهورا لا يكاد يصدق ما يرى ولم ينكر الظاهرة ، اذ كيف ينكرها وقد رآها رؤية لا خداع فيها ولا تمويه ، انها – بلاشك – معجزة لا ينكرها الا كل مكابر جحود ، وعندئذ اعتنق المسيحية عن اقتناع ، واصبح اكبر داعية لانتشارها بين قومه !

لكن هذه المعجزة التي كانت سببا في تحول الرومان عن الهة ابائهم واجدادهم ، نتيجـة لاعلان امبراطورهم اعتنـاقه للمسيحية ، لم تكن معجزة بالمعنى المفهوم ، بل المعجزة هنا تعني عجز العقل البشري عن تعليل امثال هذه الظاهرة ، ذلك ان البحوث العلمية قد توصلت الى سر «المعجزة» ، وذكرتها في مراجعها ، واشارت الى انها ظاهرة جوية طبيعية نادرة للغاية وتحدث تحت ظروف جد خاصة ، ذلك انعكاس ضوء الشمس على « ندف » الثلوج المنهمرة ، وبميل محدد ، وبزاوية معينة بالنسبة لعيون المشاهدين للظاهرة ، يؤدي الى تكوين شريطين ضوئيين متعامدين وبحيث يبدو التشكيل وكانما هو يتخذ شكل الصليب !

ظاهرة الهالات

والملاحظ دائما ان الفنانين الذين يرسمون الشخصيات التي لها قدسية خاصة ، يحيطون رؤوسها بهالات كانما يشع منها النور ، دلالة على النقاء والطهر والبركه ، او ما شابه ذلك ، وربما جاءت فكرة هذه الهالة من تجسيد حقيقي حل بواحد او اكثر من القديسين ، بمعنى ان

بين الظواهر الطبيعية والتفسيرات الخيالية



شكل (٥) هذه الصورة معروفة لنا جميعا ، وتسمى باسم قوس قزح ، وهى نتيجة لانحراف الوان الطيف فى قطيرات الماء المتساقطة من السحاب الممطر

واحداً من اتباعه قد راى ظله محاطا بتلك الهالة الغريبة وهو يتجول في الاماكن المرتفعة ، ومن ثم اذاع ذلك بين قومـه ، فاتخذوا الهالة شعاراً تحيط برؤوس كل من توسموا فيهم القدسية والتقوى !

لكن ظاهرة الهالة ليست مقصورة على بشر دون بشر ، بل يمكن ان تحيط باي انسان او حيوان او جماد ، طالما كان هو في مكان مرتفع ، وبحيث يقع ظله على شابورة تحته ، او على غمام منخفض ، ولقد راها كاتب هذه الدراسة احيانا حول ظل طائرة واقع فوق الغمام (وقد يراها غيره وهو يحلق بالطائرة طالما كان ينظر من الزاوية الصحيحة ، وكانت الظروف الجوية مناسبة ـ شكل ٣) .. المهم ان الهالة ظاهرة طبيعية تعبر عن نفسها كلما تهيات الظروف لظهورها ، بغض النظر عن مكانة صاحب الظل ، اذ ليس سببها قدسية او ورعا او صلاحا ، لكن يبدو انها تظهر كثيرا لسكان الاماكن المرتفعة ، وعلى الاخص الناسكون الذين يعتزلون الناس للتعبد في الاماكن العالية ، فهم يرونها بمعدلات اكبر من ساكني السهول ، حيث لا تتهيا الظروف لظهورها .

ولقد ذكر الامام زكريا بن محمد القزويني الهالة في كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» نقلا عن ابن سينا ، فيذكر « وحكى الشيخ الرئيس انه كان على الجبل الذي بين باورد وطوس ، وانه اعلى الجبال ، وكانت السماء مكشوفة ، فقال : كنت في وسط الجبل بيني وبين الارض سحاب رطب ، والشمس في وسط السماء ، فنظرت الى السحاب الذي كان بيني وبين الارض ، فرايت دائرة نقية بلون قوس قزح فشرعت في النزول عن الجبل والدائرة تصغر ، فكلما نزلت رايتها اصغر مما كانت قبل ذلك ، الى ان وصلت الى السحاب فاضمحلت » !

ورغم أن الوصف هنا دقيق ، الا انه يخلو من التحليل او التحقيق ، وهذا امر طبيعي ، اذ لم تكن الظواهر الطبيعية قد خضعت في زمانه لما نعرفه اليوم بالعلوم التجريبية ، اى لكي ندرس ظاهرة من الظواهر ، فمن الافضل ان نكررها بنفس ظروفها الطبيعية فى نموذج مصغر داخل المعمل ، وهذا ما فعله س . ت . ولسون في عام ١٨٩٥ ، اذ جهز غرفة الضباب او السحاب بغرض تقليد هذه الظاهرة ، لكنه توصل بالصدفة الى ما هو اهم ، اذ تبين له أن الجسيمات الكهربية المنطلقة بسرعة هائلة ، تترك اثاراً لمسيرتها بين جزيئات الضباب ، وعندئذ تحولت بحوثه من دراسة الهالة الى دراسة الذرة ، وسميت غرفة الضباب باسمه ، وكانت من أهم الوسائل التى اوضحت انواع الجسيمات الذرية المشحونة ، ومن ثم فقد عرفنا الكثير عن الأسرار الذرية ، وتوجت هذه البحوث بان حصل ولسون على جائزة نوبل في عام ١٩٢٧ ، وكان مما قاله في محاضرته اثناء تسلمه الجائزة « في

سبتمبر عام ١٨٩٤ قضيت عدة اسابيع في المرصد الفلكي المقام فوق قمـــة جبـــل بن نيفيس ـ اعلى القمم الاسكتلندية ، واثناء ذلك جذب نظري دوائر ضوئية ملونة غاية فى البهاء ، وكانت تبدو صادرة من قمة الجبل او من شخص واقف على القمة ، ومن خلفه الشمس ، ومن امامه ظله ممتد على السحاب أو الضباب المجتمع اسفل الوادي ، وحول الظل او مقدمته كانت تحيط دوائر ضوئية ذات الوان زاهية .. لقد جذبني ذلك ، وعولت على تقليد هذه الظاهرة في المعمل ، لكنها قادتني الى هذه الجائزة التي اتشرف بحيازتها ! » .

ودرست الظاهرة

والواقع أن كوكبنا ـ بما فى ذلك غلافه الهوائي ـ غنى بالظواهر التى يلعب فيها الضوء مع بخار الماء ، او ذرات الهواء ، او الجسيمات المشحونة بالكهرباء ، والاتية الى ارضنا من الفضاء ، او اضواء البرق الخاطفة ، او الصواعق الحارقة .. كل هذا وغيره يتجلى للناس بصور غريبة ومثيرة ومختلفة ، وما من صورة الا وكان لها اكثر من اسطورة ، وهى تختلف باختلاف الزمان والمكان ، لكن سرعان ما تختفى هـذه التفسيرات الخيالية تحت وطأة البحوث العلمية ، وبهذا يمحق الحق الباطل ، كما يمحق النور الظلام الذى عشش على العقول ردحا طويلا من الزمان ، ومع ذلك ، فلا يزال !

وفى احد قصصه يصف لنا الكاتب والروائى الامريكى الشهير هنرى ميلر انطباعه عن الهالة ، فيقول « بينما كنت انظر ناحية الشاطىء من جهة نيبنذى ، والشمس تشرق من خلفى ، ظهر ظلي مكبرا ومقزحا (اي يشبه قوس قزح) على الضباب الذي يمتد تحتي ، وعندئذ رفعت كلتا ذراعي كمن يبتهل ، فظهرت حول راسي هالة نورانية

وعن هذه الظاهرة المثيرة يقدم لنا كل من دكتـــــور هوارد برايت أستاذ الفيزياء بجامعة نيومكسيكو ، ودكتور نيلسون جارمى استاذ الفيزياء النووية بجامعة كاليفورنيا (بيركلى) دراسة مستفيضة ،

عن ظاهرة الهـــالة فى مجـــلة العـــلم الأمريكية ، لكن يكفى ان نذكر منها ان الظاهرة ترجع الى تشتت الضوء بواسطة قطيرات الماء المتكونة فى سحابة ، وهى لا تختلف فى اساسياتها عن ظاهرة قوس قزح الذى نراه من على الارض ، لكن الاختلاف يرجع إلى ان القوس يظهر كقوس فى حين ان الهالة تبدو كدوائر تتبع احداها الاخرى فى تشكيل هنـــدسي ملـــون (شكل ٤) .

ويشير برايت وجارمى الى افضل وسيلة يمكن أن تظهر لك فيها هالة جميلة ، وهى ان تختار سحابة او شابورة ذات قطيرات مائية متجانسة ، وان تكون انت فى مستوى اعلى من هذه او تلك ، وبحيث يسقط عليها ظلك (اى ان ضوء الشمس ياتى من الخلف وبزاوية ، حيل ليلقى بظلك على السحابة) ، وعندئذ ستتمتع بمشهد بديع ، حيث ترى فيه راسك محاطة بهالة رائعة ذات الوان متتابعة ، ثم يذكران : ان احاطة رؤوس القديسين بهذه الهالات ليس مقصورا على الفن المسيحى وحده ، بل ظهر

ايضا على رؤوس اباطرة الرومان ، و الهة اليونان القدامى ، وفى الصور والتماثيل البوذية فى الصين وبورما والهند ، ويعنى ذلك ان الظاهرة قد تراءت لاقوام مختلفى العقيدة فى ازمنة وامكنة مختلفة ، وما ان تظهر ، فظهورها دليل على بهاء وعلو وقدسية ، لكنها من وجهة نظر العلم ليست كذلك ، بل ترجع الى تشتت الاضواء على قطيرات الماء طالما كانت الظروف مواتية لذلك ، وليس ذلك مقصورا على الطبيعة فى الخارج ، بل ان الظاهرة نفسها يمكن دراستها فى داخل المعامل ، فيتشتت الضوء على قطيرات الماء الدقيقة ، مكونا دوائر اكبر فاكبر ، وبنفس الألوان التى نراها في الهالة الكبيرة .

من الهالة الى القوس

ومادمنا قد تحدثنا عن الهالة ، فان ذلك يدفعنا الى التعرض لظاهرة اخرى ذات صلة وثيقة بتشتت الضوء وظهوره على هيئة قوس يبدو فى الافق بالوانه الجميلة التى طالما اثارت خيال الناس ، ففسروها تفسيرا اسطوريا (شكل ٥) .. من ذلك مثلا ان ابريس (وهى الالهـــة الوثنية ذات الجنـــاحين فى الاســـاطير القديمة) هى صاحبة القوس ـ اى قوس قزح ، وهى فى معتقدهم مبعوثة الألهة الى الارض ، وظهور قوسها يعنى حضورها لتبشر الناس بامر ، ولهذا يراه اقوام علامة فال حسن ، ويراه اخرون فالا سيئا .

وهناك اسطورة اسكندنافية تزعم ان قوس قزح هو الطريق الذى يسلكه الالهة حين يهبطون الى الأرض من السماء ، او حين يصعدون ، فى حين تقول اسطورة ثانية من الشرق بان موضع التقاء طرف القوس بالأرض يشير الى موقع كنز من ذهب ، وهو عند قدماء المصريين والرومان علامة على قدوم حروب طاحنة ، او اوبئة قاتلة ، او مصائب قادمة !

ويجيء فى لسان العرب ان قوس قزح طرائق متقوسة تبدو فى السماء ايام الربيع وزاد الأزهـرى : غب المطر بحمرة وصفرة وخضرة (وغب يعنى بعد المطر) .. ويستطرد اللسان : وفى الحديث عن ابن عباس : لا تقولوا قوس قزح ، فان قزح اسم شيطان ، وقولوا قوس الله عز وجل

ورغم ان بعض ما ذكره لسان العرب أقرب الى الاساطير ، الا ان ذلك لا يعنى أن الظاهرة كانت مجهولة عند العرب ، اذ كتب عنها القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات بقوله : واما قوس قزح فانما يكون إذا حدثت فى خلاف جهة الشمس اجزاء مائية (ربما يعنى قطرات او قطيرات) شفافة صافية من نزول مطر .. الخ ، اى انه لم يعللها بحكايات اسطورية ، وهذا فى حد ذاته خطوة متواضعة نحو التعليل الصحيح ، إذ لم تات التفسيرات وقتها بما تشتهى العقول ، فحقيقة الامر الآن ان ضوء الشمس اذا مر بين بلايين البلايين من قطيرات الماء المتجانسة ، فان كل قطيرة تتعامل مع اشعة الشمس وكانما هى منشور زجاجى ، فتحرفها وتشتتها الى الوان الطيف المعروفة ، ومن محصلة ذلك ، ينتج قوس قزح .. وليس مهما ان يظهر القوس بفعل المطر ، بل يمكن رؤيته فى رذاذ ماء يندفع بكثرة من رشاش او نافورة ، وبحيث يتخلله ضوء الشمس ، وتنظر اليه من الزاوية المناسبة .

الظواهر بعد ذلك كثيرة ، والتفاسير غريبة ، والأساطير مريحة ، والعلوم تتقدم لتصحح كثيرا من المفـــاهيم الخاطئة ، وما اكثر ما يعيش فيه البشر من تصورات رديئة ، وخيالات سقيمة ، لا تستقيم مع فكر ناضج ، وعقل راجح ، وهو ما سنحاول تقديم بعضه على صفحات هذه المجلة ان شاء الله .

عبد المحسن صالح



أضــــواء على كـاتـب ســعودي بـــارز

أحمد السباعي قصصياً

يـــوسف الشـــاروني

فاز الاستاذ احمد السباعي (١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م) هذا العام (١٤٠٤ هـ / نوفمبر ١٩٨٣ م) بجائزة الأدب التقديري في المملكة العربية السعودية ، وجاء في تقرير الجهة التي رشحته لنيل الجائزة انه « من عمالقة الصحافة في بلادنا .. فهو ـ دون مبالغة ـ يعتبر شاهد العصر بالنسبة لادبائنا لأنه صور الكثير مما كان يموج به ذلك العصرويضطرب في حناياه . وكان له من نفاذ بصيرته ، وقدرته على التحليل ، واسلوبه القصصي خير مساعد على تقديم هذه الشرائح المتباينة من المجتمع ، فهو شيخ الأدباء دون منازع واجدرهم بالتكريم واحقهم بمنح هذه الجائزة » .

واعترف انه كان من ثمار هذه الجائزة تعرفي على العالم القصصي للاستاذ احمد السباعي ، فما ان اطلعت على قائمة مؤلفاته بمناسبة فوزه بالجائزة حتى لفت انتباهي ان له مجموعة قصصية بعنوان «خالتي كدرجان» ، وكنت اظن ان جيله في السعودية لم يكتب القصة القصيرة بمعناها الحديث . وان جاز ان يكون قد كتب ما يمكن تسميته بالمقال القصصي او الصورة القصصية ، وهو الذي يختلط فيه العنصر القصصي بعناصر اخرى غريبة عن الفن القصصي الخالص ، كمرحلة من مراحل التطور نحو ظهور القصة القصيرة كفن ادبي مستقل في عالمنا العربي ، وذلك قياسا على ما نجد في مرحلة الأدب المصري على سبيل المثال وعند اديب مثل المنفلوطي في نظراته (الجزء الاول عام ١٩١٠ والجزء الثاني عام ١٩١٢) وعبراته (١٩١٥) ، والمازني في مجموعاته «صندوق الدنيا» (١٩٢٩) و «خيوط العنكبوت» (١٩٣٥) و «في الطريق» (١٩٣٦) ... الخ ، وطه حسين في «المعذبون في الارض» (١٩٥١) حيث يختلط الأسلوب التقريري بالاسلوب التصويري ، ويتدخل الكاتب بنفسه من حين لآخر فنسمع صوته واضحا وهو ما سنجد اثارا منه في قصص احمد السباعي .

المهم انني بادرت فارسلت الى الصديق الأديب السعودي الذواقة سعيد سليمان كردي اطلب منه موافاتي بهذه المجموعة ، فابى كرمه وصداقته للادب العربي ولي إلا ان يهديني كنزا من المجموعات القصصية السعودية ، وبعض مؤلفات احمد السباعي وبعض الدراسـات في القصة السعودية ، وارفق مع هديته رسالة يدلي فيها برايه في القصة السعودية اذكره هنا بعد إذنه إذ يقول متواضعا : « القصة في بلادي لازالت

تحبو الا انها في دور نمو يتسم بالصحة ، كتابها يرتعشون في كتابتها إلا ما ندر ، والنادر لا حكم له » .

بهذه الخلفية اقبلت على قراءة احمد السباعي ، وبالذات على مجموعته «خالتي كدرجان» ، فاذا بي افاجأ بكاتب كتب القصة القصيرة ربما منذ نصف قرن أو ربع قرن – فتاريخ اول طبعة للمجموعة غير مثبت – افضل مما يكتبها كتاب قصة معاصرون من شباب الخليجيين ، بل انني اؤكد هنا ما سبق ان ذكره الدكتور منصور ابراهيم الحازمي في كتابه « فن القصة في الأدب السعودي الحديث » من أن احمد السباعي كاتب قصصي بالسليقة لانه يملك تلك الحاسة الدرامية التي تنزع الى رؤية الحياة في صورتها الحية المضطربة المتحركة ، لا في صورتها التجريدية الساكنة الجامدة .

فالأسلوب القصصي عند احمد السباعي مبثوث في جميع كتبه حتى تلك التي تبدو للوهلة الأولى انها بحوث موضوعية لا علاقة لها بفن القصة مثل «مطوفون وحجاج» و «دعونا نمشي» و «قال وقلت» ، وهذا كلام اشبه بما يمكن أن يقال عن نظرائه من الأدباء المصريين مصطفى لطفي المنفلوطي وابراهيم عبد القادر المازني ومعاصره بالميلاد يحيى حقي امد الله في عمريهما .

سيرة ذاتيه

فالى جانب مجموعة قصص «خالتي كدرجان» فان للسباعي رواية عنوانها : «فكرة» ، هو اسم بطلتها ، كما انه نشر ترجمته الذاتية بعنوان «ابو زامل» اولا ، ثم غير عنوانها في طبعتها الثالثة الى «ايامي» ، واسلوبها القصصي واضح ، وهناك علاقة وثيقة بين هذين العملين من ناحية ، وبينهما وبين مجموعة «خالتي كدرجان» من ناحية اخرى . ولعل السبب الاول هو المؤلف الذي يطبع كل كتاباته بطابع مميز نلاحظه مبثوثا في كل كتاباته ، سواء من ناحية الاسلوب ، او الموضوعات التي تلح عليه . فما يجمع بين رواية «فكرة» وترجمته الذاتية «ايامي» ، ان كلا من البطلة هنا والبطل هناك – شأنها شأن مجموعة قصص «خالتي كدرجان» – يعبر عن شخصية الكاتب ، ويجسد آراءه في شتى شئون الحياة والمجتمع والفكر ، (انظر منصور ابراهيم الحازمي ، فن القصة في الأدب السعودي الحديث) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠١ / ١٩٨١ ص ٤٤ – ٤٥) .

ثم ان كلا من البطلين متمرد على واقعه . فشخصية « فكرة » كما جاء على غلاف الرواية « هازئة بقواعد الحياة لا يغريها من جمالها وفتنتها ما يغريها في الراي مصدره المنطق الصحيح » . وشخصية زامل ،كما لخصه المؤلف في اخر كتابه بانه لا يقر المبادىء التي لا يقرها عقل ومنطق . ولكن الفرق بينهما هو تجهم الكاتب في روايته وقهقهته الساخرة الناقدة في ايامه .

ويمكننا ان ندرك العلاقة بين «فكرة» و «ايامي» عندما نعلم ان حلما من احلام احمد السباعي مذ كان في سن العشرين ، ان يتزوج « فتاة ناضجة في تفكيرها ومتعلمة ... واجلس انا وهي نتناقش ، ونمسك بكتاب ونتفلسف . وكان هذا حلمي الجميل والماتع بيني وبين نفسي » . (مجلة سيدتي الشركة السعودية للابحاث والتسويق - لندن ، ٢٩ ربيع الاول – ٥ ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ/٢ – ٨ يناير ١٩٨٤ ، ص ٨٧) . لكن ظروف المجتمع السعودي في ذلك الوقت لم تتح لاحمد السباعي ان يحقق حلمه في عالم الواقع ، فقد تزوج اربع نساء بحثا عن « فكرة » ، لكنه يصرح في حديثه المشار اليه سابقا بانه لم يحقق في هذه الزيجات حلمه نحو المرأة التي يرتبط بها وترتبط به . لهذا قام – في رأينا بمحاولتين لتحقيق حلمه : احداهما صحفية والاخرى ادبية . اما المحاولة الصحفية فتمثلت في نشره سلسلة مقالات على لسان فتاة متعلمة تحكي فيها كيف تعلمت ، والرعاية التي نالتها من والدها ومن اخيها حتى شعرت ان للحياة مذاقا ومعنى بالتعليم وبالفهم . ومع الايام اخذت افكارها تنمو وتكبر حتى كانت تتعرض للحسد . وكان يكتب هذه المقالات بتوقيع «فتاة» . (الحديث السابق ، ص ١٧ – ١٨) . اما المحاولة الادبية فهي روايته «فكرة» وهكذا نرى جذور الصلة بين «فكرة» وبطل السيرة الذاتية «ايامي » .

ويكشف لنا احمد السباعي بنفسه أن لجوءه الى الأسلوب القصصي في كتاب مثل كتابه «فلسفة الجن» كان وسيلته التي اضطر اليها للتحايل لكتابة افكاره الجديدة وطرحها ، لانه كان يجد الهجوم عليه كلما انتقد شيئا من التقاليد (المرجع السابق ، ص ١٩) . مما يذكرنا بما ذكره روائي مثل نجيب محفوظ على لسان احدى شخصياته في السكرية – الجزء الثالث من ثلاثيته – أن «المقالة صريحة ومباشرة ، ولذلك فهي خطيرة خاصة لان الأعين محملقة فينا ، اما القصة فذات حيل لا حصر لها ، انها فن ماكر » .

سمات أساسيه

اما مجموعته القصصية «خالتي كدرجان» فتتالف من ست قصص ، اطولها «اليتيم المعذب» التي تقع في ٤٢ صفحة من القطع المتوسط من مجموع صفحات المجموعة التي نشرتها دار تهامة في سلسلة الكتاب العربي السعودي عام ١٤٠١ / ١٩٨١ ، وذلك بعد حذف الصفحات البيضاء وصفحات الصور ، اي ان مجموع صفحاتها يساوي مجموع صفحات القصص الخمس الاخرى .

وهناك سمات مشتركة لا يخطئها ادراك القارىء تجمع بين مختلف قصص المجموعة . هذه السمات هي :

– ان قصص المجموعة – شأنها شأن اعماله القصصية الاخرى التي يتخللها الاسلوب القصصي – « اشبه بسلسلة من الترجمات الذاتية ، يصوغ فيها الكاتب اشتاتا مبعثرة لها اهمية خاصة في حياته ، يحاول ان يجمعها في قالب قصصي يمزج فيه بين الحقيقة والخيال ،ويضفي عليها من فنه وحيويته ما يجعلها في مجموعها رواية شيقة ، مترابطة الحوادث ، متصلة الحلقات » .(فن القصة في الأدب السعودي الحديث ، ص ٤٥) .

– والفترة التي تلح عليه من تاريخ حياته هي فترة طفولته – مثله في ذلك مثل الكاتب الانجليزي تشارلز ديكنز – وهي فترة تاريخية مميزة لانها فترة تحول في تاريخ الحجاز ما بين اواخر العهد العثماني واوائل العهد الهاشمي . فكاتبنا ولد في بداية القرن العشرين ، وفي العقد الثاني منه تم التخلص من الحكم التركي وبدا العهد الهاشمي ، فهي فترة تغير في تاريخ الجزيرة العربية ، وتلك هي ميزة احمد السباعي التي تحسها من كتاباته : ان له قرون استشعار بما سيترتب على تلك التغييرات من تحولات اجتماعية ، في بلده فكان كالمتنبي حينا وكالنذير حينا لقومه . يقول الدكتور منصور ابراهيم الحازمي : «ان الكاتب في اكثر كتبه وقصصه يحاول استعادة تلك الحقبة التاريخية العتيقة وانتشالها من براثن الاهمال والنسيان ، لا حبا فيها بل إنقاذا لذكريات الطفولة ،

مهما كانت مرارتها في فمه وقلبه ونفسه » . (المرجع السابق ص ١١٣ ـ ١١٤) .

مسرح الأحداث والشخصيات

ومما يلاحظ ان كثيرين من كتاب القصة يتعلقون بفترات معينة او امكنة معينة ـ ربما ترتبط بهذه الفترات ـ يجعلونها المسرح المحبب لاحداث قصصهم وشخصياتها مهما تنوعت . مثال ذلك نجيب محفوظ الذي ينشأ معظم ابطاله في حارات القاهرة المعزية وازقتها ، ويلبسون رداء الفتوات حتى ولو كانوا شخصيات تاريخية او رمزية . وهكذا شان كاتبنا احمد السباعي ، اذ يبدو أن الفترة التاريخية المحببة لديه هي فترة هذا التحول التاريخي لبلاده من خلال وجهة نظر صبي وذكرياته .

ـ والسمة الثالثة تترتب بدورها على السمة السابقة ، فللطفل دور فني هام في قصص احمد السباعي هو دور الراوي . ونحن نختلف مع الدكتور الحازمي حين يقول:إن الطفل هو البطل الحقيقي في قصة السباعي ، لكننا نوافقه حين يقول إن الطفل يقوم بدور الراوي الذي يلاحظ ويرصد في كثير من الخبث والذكاء ، كما في قصة خالتي كدرجان حين كان يلعب مع الصبية الغميمة ولا يحلو له ان يختبيء اذا احتدم اللعب إلا في بيتها ، فتشير له بيدها الى الكنبة التي تتصدر الديوان ليختفي تحتها ، فيلاحظها وهي تعنى كثيراً بمكحلتها ، او وهي تاخذ من علبة صغيرة بجوارها باصبعها شيئا تدعكه بين يديها ثم تغشى به وجهها ، وهي تركز امامها مراة فوق كرسي النصبة ثم تاخذ بيدها مقصا تمر به علىشعر راسها فتلتقط به شعرة من هنا واخرى من هناك بيضاء ، وكانت تستعين براوية القصة الطفل صاحب ضمير المتكلم للبحث في شعرها عن شعرة بيضاء ... (المجموعة ص ١٤) .

والطفل في قصة «ابو ريحان السقا» هو راوي القصة ايضا وصاحب ضمير المتكلم فيها . فنحن نتلقى الاحداث الاولى على الاقل للقصة من وجهة نظره فنسمعه يقول « كنا شلة من صغار الطلبة تجمعنا الشقاوة وحب العبث بعم ريحان دون جميع السقاة الصاعدين او الهابطين في جبل الهندي (المجموعة ص ٨١) . وهو ليس مجرد





راو محايد بل إنه يشارك في الاحداث احيانا . اي انه شخصية ثانوية ايضا في القصة ، لانه وزملاءه كانوا يعبثون مع عم ريحان فاذا ما ثار عليهم لعبثهم ارضوه بقطعة من الجزر يضعونها في فمه .

ـ ونتيجة لذلك تبرز السمة الرابعة لقصص احمد السباعى فى بنائها القصصى فهى كثيرا ما تكون من قسمين : القسم الاول يشاهده الراوية الطفل مشاهدة العيان . والقسم الثانى يسمعه الراوية وقد شب عن الطوق . ويفصل بين القسمين او يصل بينهما جمل مثل « ومرت السنون طويلة مملة توفيت اثناءها أمى اولحقت بها اكثر جاراتها ، ووجدتني اشب عن الطوق فامنع نفسى عن ديوان خالتى كدرجان مسرح لعبى ايام الطفولة ، فلم اعد اسمع عنها شيئا . بلغنى انها اصيبت فى بعض ايامها بلوثة فى عقلها ، فانتقلت الى بيت بعض قريباتها وما لبثت ان توفيت بمرضها . انتهى خبرها الى من عجوز » (المجموعة من ١٥ ـ ١٦) .

ثم نرتد الى الوراء لنعرف ماذا حدث فى تلك الفترة التى قفزها الراوى بين خالتى كدرجان كما شاهدها فى طفولته وخالتى كدرجان كما سمعه عن نهايتها .

وفى قصة ابو ريحان السقا يقول الراوى : "ومضت سنوات طويلة ابتعدت اثناءها عن الدراسة ونسيت اباريحان حتى كنت فى احد الايام ازور مستشفى اجياد فاذا جلبة عالية (المجموعة ص ٨٦) . وفى قصة « بعد ان طاب السفرجل » نقرا هذه الجملة «ومضت سنوات نسيت فيها سعدية امر حسلن ..» (المجموعة ص ١٠٤) .. الخ .

ـ لهذا فان السمة الرابعة ان البناء القصصى كثيرا ما يتسم بمقدمة وصفية هى اشبه باعداد المسرح (المرجع السابق ص ١١١) ، اى انها مقدمة سكونية وصفية تتلوها حركة الاحداث وما فيها من عنصر درامى . وغالبا ما ياتينا هذا الاعداد المسرحى من ذاكرة الراوى ايام الطفولة ، فالراوى الطفل لا يتذكر احداثا بقدر ما يتذكر لقطات وصفية سكونية لا حركة فيها ، ولهذا كثيراً ما يستخدم الفعل الماضى الناقص « كنت » ، وهو الذى يدخل على الفعل المضارع فيفيد الوصف فى الماضى فنسمعه يقول : « كنت الاحظ .. كنت كثيراً ما اراها تجلس .. كانت تخدم بيتها وهى فى احلى زينتها » ، حتى اذا كبر الراوى وابتعد عن مسرح طفولته عاد اليه ليستمع الى الاحداث التى تحركت فيمابعد فوق مسرح الذكريات الطفولى ، ويختفي الفعل « كنت » ليحل محله الفعل الماضى الذى يعبر عن الحركة والحدث فنقرا افعالا مثل : شبت خالتى كدرجان فى كنف والدها .. اشتد الطلب على يدها .. عاشت الفتاة فى بيت ابيها .. جازاها بعناد مثله . طاب انتظارها عبثا .. الخ ويتكرر هذا فى قصة « الصبى السلتانى » . كذلك تكرر فى قصتى « ابو السقا » و « بعد ان طال السفرجل » .

ـ السمة الخامسة انه يجيد تقديم شخصياته ، ونتيجة للبناء الفنى فى القصة فان الشخصية تقدم على مرحلتين : المرحلة الاولى هى المرحلة السكونية على نحو ما تقدم الشخصيات فى المسرح من خلال التعليمات الموجهة للمخرج ، ثم تقدم فى الجزء الثانى من القصة من خلال حركتها وتصرفاتها وصراعها فى سبيل الحياة ومع الآخرين.فالراوى الطفل يعطينا صورة وصفية للشخصية من خلال ذكرياته والراوى الذى شب عن الطوق يقدم لنا الشخصية من خلال حركتها .

وهو يقدم شخصياته باكثر من بعد ، احيانا بعدها الجسمي واحيانا بعدها النفسى أو الاجتماعى ، واحيانا بعض هذه الابعاد او كلها . فخالتى كدرجان فى الخمسين من عمرها ـ وان كنا نتتبعها منذ ايام شبابها ـ وهى دائمة الاهتمام بزينتها

ورشاقتها انتظارا لعريسها المأمول ، كذلك تقديمه لشخصيتي « السلتاني » و شحه البالغ وصبيه الذى يوهم الآخرين ببلاهته وذلك من خلال تصرفاته وليس عن طريق الوصف ، حتى نفاجأ انه أحد جواسيس العهد العثمانى . واليتيم المعذب الذى يذكرنا على الفور بشخصية « جان فالجان » بطل البؤساء للكاتب الفرنسى فيكتور هوجو – وربما قرأ السباعي تعريبها بقلم شاعر النيل حافظ ابراهيم – لاسيما حين نقرأ انه بعد خروجه من السجن وتوبته حاول مرة أخرى أن يجد عملا ، لكنه ما يكاد يلتحق بعمل وينكشف امره حتى يطرد . وابو ريحان السقا يقدمه لنا المؤلف ببعده الجسمى من خلال راويته الطفل : « نشهده فى أغلب ايامنا منحنيا تحت قربته « الشعارى » الكبيرة ينقل خطاه فى تثاقل تحت وطأتها متوكئا على عصاه القصيرة كأنها رجل ثالثة ليخالف بها من يمشي على رجلين او اربع » (المجموعة ص ٨١) . ثم يقدمه لنا ببعده النفسى : شخصية ساذجة تغرى الاطفال بمعابثتها ، سريع السخط سريع الرضا كأنما نموه العقلى لم يتجاوز مرحلة الطفولة . اما بعده الاجتماعى فواضح من مهنته ورثاثة ثيابه وكونه من العبيد العتقاء .

وهو يهتم بالأماكن اهتمامه بالشخصيات على نحو ما فعل حين ادخلنا مع راويته الطفل منزل خالتى كدرجان ، وحين أوقفنا مع راويته الطفل امام دكان عم خليل السلتانى بالقرب من باب العمرة ، نتلهف معه على قطع اللحم المشوى . ولعل قصته الاخيرة فى المجموعة « بعـــد أن طـاب السفرجل » خير دليل على اهتمامه بالمكان ، فهو يقدم لقارئه كتاب خديجة الفقيهة بحيث يعطينا صورة حية لكتاتيب ذلك العهد ، وكتاتيب الاناث النادرة حينئذ بوجه خاص .

فعلاقة المكان بالشخصية والشخصية بالمكان فى قصص احمد السباعي علاقة تفاعل ، كل منهما يعطى الآخر ويأخذ منه . وطبقا للبناء القصصى فان تقديم المكان يكون فى القسم الأول السكونى من القصة متلاحما فى ذاكرة الراوى الطفل مع التقديم الوصفى للشخصية . فاذا كان القسم الثانى فان الاهتمام كله يكاد يتركز على الشخصية فى حركتها . بينما يتوارى الاهتمام بالمكان .

عامية مفهومة

– ونتيجة لذلك فان الحوار مكتـــوب بالعامية ، ولكنها عامية مفهومة . ولعـل هذا أثر من آثار المدرسة الحديثة فى مصر وقتئذ ، ومفهومها للحوار الواقعى . فعيسى عبيد فى مقدمته لمجموعته القصصية « احسان هانم » (١٩٢١) عارض استخدام العامية فى الحوار ، ثم انتهت هـــذه المعارضة بتساهله الى حد الدفاع عن استخدام العامية متى كانت المحادثات قصيرة ، وهو أمر لا يمكن ايجاد ضابط له ، حتى اذا قرأنا حوار قصصه فى مجموعته وجدناه بالعامية كله .

واحمد السباعى فى مجموعته خالتى كدرجان يبث الالفاظ العامية فى سرده القصصي كأنها البهارات لتعطى للقصة مذاقها الشعبى ، وان كان يحاول فى بعض الأحيان ان يردها إلى أصلها فى الفصحى .

هذا فيما يتصل بالسرد ، أما فيما يتصل بالحوار فانه يورده كله بالعامية ، نقرأ هذا فى قصة «اليتيم المعذب» التي تبدأ بحوار بين شخصين ، ندرك فيما بعد انهما الشيخ الذي عطف على اليتيم فاحضره الى البيت وزوجته التى ترفضه ، لكنها عامية مبسطة يمكن ان يفهمها – فيما اعتقد – جميع المتكلمين بالعربية ، فهي أشبه ما تكون – بالنسبة للغة الفصحى – بالاسلوب الصحفي الذي لا يستخدم من كلماتها إلا المتداول حتى يفهمها عامة القراء . وكما يستخدم احمد السباعي في السرد الفاظا لتلوين قصصه ببيئتها المحلية ، فانه يفعل الأمر نفسه في حواره . فاذا قرأنا قصة «اخطا العفريت ولم اخطىء» وجدنا انها قصة حوارية من أولها الى آخرها ، مكتوبة بتلك العامية المحلية المفهومة . بينما يقل الحوار في قصص اخرى حتى لا يتجاوز بضعة سطور .

– ولعل تأثير المدرسة الحديثة في مصر في العشرينات من هذا القرن كان اقوى في الفكرة التي سيطرت على احمد السباعي وهو اهمية تأثير البيئة والظروف الاجتماعية والنفسية في تكوين الشخصية . نجد هذا واضحـاً في سيرتـــه الذاتية : «ايامي» ، كما انه أوضح ما يكون في قصة « اليتيم المعذب » ، وأحمد السباعي حريص على أن تصل فكرته هذه الينا ، ويخشى الا نستنتجها من احداث قصته ، فيعلنها صريحة في اسلوب تقريري حين يصف مايسميه فلسفة الشيخ الذي تبنى هذا اليتيم – وما هو في الواقع إلا احمد السباعي الذي تبنى شخصيته القصصية – فيقول : « كانت له فلسفة عميقة في تنشئـــة الطفل وتربيتــه وتعويده على ما يتعود . وكان يرى ان بيئته الشخصية وعادات محيطه مسئولة في المقام الاول عن جميع تصرفاته في الحياة » (المجموعة ص ٣٧) .

وفي موضوع آخر يقول : « لم يولد عليوة منحرف الاخلاق أو مستقيمها ، انما كما تولد العجائن اللدنة ، قابلا للتكيف والصياغة » (المجموعة ص ٥٢) . فليس الاجرام فيما اعتقد اكثر من مرض له اسبابه السيكولوجية واعراضه التي تتنوع بتنويع جراثيمه الخاصة » (المجموعة ص ٥٤) . حتى قسوة سيدته عليه ارجعها المؤلف الى ما كانت تعانيه من طغيان امرأة أبيها مما جعلها تشعر بالنقص . ثم يتنبأ بان العلم حين يستطيع أن يشخص حقا هذا المرض وان يتتبع انواعه التي لا يحدها حصر ، وان يتعقب الجرثومة المتأصلة في حقيقة كل نوع على حدة .. فسوف لا يعجز عن علاجه بطريقة غير التي نعالجه بها اليوم .

– وهذا يقودنا اخيراً الى الاسلوب التقريري الذي تتسم به بعض قصص أحمد السباعي ، وتدخل المؤلف في سياقه الدرامي من حين لآخر بشرح ما هو واضح ، وكأنه يشك في فهم القارىء ويريد التأكد من أن دلالة قصته واضحة لا لبس فيها . وهذه سمة من سمات الأدب القصصي في مرحلته التي اسميها البدائية الفنية . حدث هذا من قبل في مصر حيث اختلط المقال بالقصة فيما أطلق عليه « المقال القصصي » ، على نحو ما نجد في حديث عيسى بن هشام (١٩٠٨) للمويلحي ، باكورة المحاولات الروائية في أدبنا العربي حيث يغلب الأسلوب التقريري على فقرات النقد الاجتماعي ، والشيء نفسه في رواية « زينب » لمحمد حسين هيكل (١٩١٢) حيث يتصـــارع الاسلوبـــان الدرامي والتقريري ، وان كان ينتهي لحسن الحظ بانتصار الأسلوب الدرامي ، وقد ظل يحيى حقي – المولود في نفس العام الذي ولد فيه احمد السباعي كما سبق وذكرنا – يمثل انتاجه صراع المقال الأدبي مع القصة القصيرة في مصر (يوسف الشاروني ، القصة والمجتمع ، سلسلة كتابك ٧٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٥٣) .

وما أشبه الفترة التاريخية التي كتب فيها أحمد السباعي مجموعته القصصية بالنسبة للمجتمع السعودي والأدب السعودي بتلك الفترة التاريخية التي كتب فيها هؤلاء الأدباء المصريون محاولاتهم القصصية بالنسبة للمجتمع المصري والقصة المصرية ، فلا عجب ان تشابهت بعض السمات في كلا الادبين .

يوسف الشاروني

إعداد: محمد العزب موسى



حضارة الألوان الزاهية والأشكال الرقيقة.. هل تكشف الأسرار حول ماضي الإنسان؟!

حتى اوائل القرن الحالي ظل معظم المؤرخين يعدون جزيرة كريت بشرق البحر المتوسط ليست بذات اهمية كبيرة في تاريخ الحضارات القديمة . حقا ، كانت لدى الاغريق القدامى قصص واساطير عديدة عن تلك الجزيرة الجبلية التي تقع على الحد الجنوبي لبحر إيجة ، وكانوا ينظرون اليها على انها كانت يوما موطنا لشعب عظيم محب للاسفار البحرية يحكمه ملك يدعى « منيوس » وهو ابن « زيوس » من « اوربا » ، وكانت لديهم اسطورة عن انسان الي من البرونز ، له جسم انسان وراس ثور ، يذرع شاطىء كريت الصخري جيئة وذهابا ليبعد عنها الغزاة بان يلقي على سفنهم جلاميد من صخر الشاطىء ، وكان هناك ايضا قصر التيه (اللابيرنث) الذي حبس فيه الملك مينوس المينوتور ، وهو وحش له جسد انسان وراس ثور كان يفترس كل عام سبعة شبان وسبع فتيات من خيرة شباب اليونان يتم تقديمهم اليه كقرابين بشرية قبل ان يذبحه في نهاية الامر البطل الاغريقي ثيسيوس ..

لقد كانت مثل هذه القصص والاساطير شائعة لدى الاغريق عن كريت ، ولكن معظم المؤرخين كانوا يعتبرونها من ضروب الخيال .. الى ان ثبت فيما بعد ان هذه القصص ربما كان لها فعلا اساس من الواقع .

ففي عام ١٩٠٠ اجرت بعثة اثرية بريطانية برئاسة سير ارثر ايفانز حفريات في جزيرة كريت .. وسرعان ما بدات تظهر تحت معاول البعثة مبان وآثار عظيمة دلت على ان كريت شهدت حضارة راقية منذ حوالي ٤٥٠٠ سنة ، واسمى سير ارثر ايفانز هذه الحضارة بالحضارة المينوية ، نسبة الى الملك الاسطوري « مينوس » .

ودلت اكتشافات سير ارثر ايفانز على ان اهل كريت كانوا سادة لكل الجزر في بحر ايجة حين كان الاغريق مازالوا شعبا بربريا متخلفا . فقد كانوا تجارا ومستعمرين يتلقون الجزية من الشعوب الاقل تقدما منهم ، بما فيهم الاغريق في ارض القارة ، وطار صيتهم بعيدا الى شمال اوربا وغربها ، وجنوبها الى مصر والشاطىء الشرقي للبحر المتوسط ، واشتهروا بحبهم للاسفار ، وثرائهم العريض ، وفخامة حياتهم .

وكانت عاصمتهم كنوسوس ، بالقرب من مدينة هيراكليون الحديثة ، تقع على بعد ثلاثة اميال من شاطىء كريت الشمالي ، وهي مدينة عظيمة ، كان يسكنها نحو ١٠٠ الف نسمة عام ٢٥٠٠ ق . م . وفيها قصر كنوسوس مقر الملك والملكة ومركز الحكومة المينوية . وهذا القصر عبارة عن مجموعة من المباني الرائعة تغطي ستة افدنة ، ويضم مالا يكاد يحصى من الغرف والقاعات والصالات والدهاليز باروقتها ذات القباب المثلثة ، وعمدانها الملونة ، وشرفاتها الفسيحة . وكان القصر يقوم على مستويات مختلفة من الارض وتربط بين اجزائه الممرات والسلالم والدهاليز الحلزونية . ويبدو ان مثل هذا البناء العجيب هو الذي اوحى للاغريق بقصص التيه في كريت . وكانت المخازن الضخمة باسفل القصر مليئة بالحبوب والنبيذ والزيت ، حيث نجد بعض الجرار تتسع لنحو ٧٩ الف جالون من زيت الزيتون . وكان القصر ايضا مركزا دينيا وفنيا به غرف للكهنة والكاهنات ومعامل للفنانين وارباب الحرف ، وهؤلاء

كانوا يتمتعون بمركز محترم في المجتمع المينوي . وكانت جدران القصر مزينة برسوم زاهية للطيور والوحوش والأزهار ، وكذلك صور لشبان وفتيات في ملابس انيقة .

وتدل الرسوم والأواني الفخارية التي وجدت في كنوسوس وغيرها من المواقع الأثرية في كريت على ولع ابناء الحضارة المينوية بالالوان الزاهية والاشكال الرقيقة كما تدل على ملاحظتهم الحادة للطبيعة وحبهم الشديد للحياة . وتسجل رسومهم مناظر الرقص والمادب والاحتفالات والرياضة والحيوانات اكثر مما تسجل مناظر الحرب والقتال والحصار . وفي كل مكان يبدو اهتمامهم بالثور واضحاً . فعلى « الفازات » وقطع الخزف نجد رسوماً لشبان غير مسلحين يقفزون فوق ظهور الثيران او يتعلقون بقرونها وهم يؤدون حركات بهلوانية ، وعثر على انية قرابين على هيئة رأس ثور له قرون ذهبية ، ومن الكنوز الأخرى التي كشفت عنها التنقيبات نجد حلى ذهبية ومجوهرات وادوات زينة مطعمة بالذهب والعاج تشهد جميعا بدرجة الثراء الواسع الذي كان يتمتع به المينويون .

ولم يكن المينويون يحيون في منازل جميلة فحسب وانما كانوا يتمتعون ايضا بوسائل للراحة لا يكاد يكون لها مثيل حتى في العصور الحديثة ، فكان قصر كنوسوس مزودا بالمراحيض ذات المياه المتدفقة ، ومواسير المياه الجارية ، وشبكة لصرف مياه الأمطار والمجاري ، وكانت حجراته مزودة بنوافذ تفتح على مناور لادخال الضوء ، وتحيط بالقصر مدينة تبلغ مساحتها ٢٢ فداناً تحوي منازل قباطنة البحر ، والتجار ، واصحاب السفن . ويخترق المدينة شارع مرصوف ، له مصارف للماء على جانبيه ، ويمتد من كنوسوس الى الشاطىء الجنوبي حيث تقوم مدينة عظيمة اخرى تسمى « فايستوس » ، بينما تنتشر في انحاء الجزيرة حوالي ١٠٠ مدينة صغيرة على درجة عالية ايضا من التنسيق والنظافة ودلت الابحاث الاثرية على أن حضارة كريت ازدهرت زهاء الفي عام متواصلة ، لكنها انهارت فجاة واختفت من الوجود حوالي عام ١٥٠٠ او ١٤٠٠ ق . م .

تشابه كريت واطلانطس

ها نحن لأول مرة نجد شاهداً على وجود

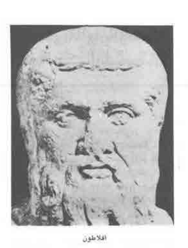


السير ارثر

شعب يشبه شعب اطلانطس الذي تحدث عنه افلاطون ، ولم يمض وقت طويل بعد اكتشافات ايفانز حتى بدأ الباحثون يتساءلون عما اذا كانت ذكريات هذه الحضارة المينوية هي التي اوحت باسطورة اطلانطس .. فكل من اطلانطس وكريت كانت مملكة في جزيرة ، وقوة بحرية واسعة النطاق ، وكل منهما ايضا لقيت نهاية مفاجئة . ويبدو ان ثمة تشابه واضح كذلك بين حفلات الرقص على الثيران التي يصورها الفن المينوي وبين مراسم صيد الثيران التي تحدث عنها افلاطون بصدد اطلانطس

وكان اول من اشار الى وجود أوجه تشابه بين اطلانطس افلاطون والحضارة المينوية هو البروفيسور ك . ت . فروست استاذ التاريخ القديم بجامعة الملكة (كوينز يونيفرستي) ببلفاست ، فقد كتب البروفيسور بروست مقالا في صحيفة «التايمز» اللندنية في عام ١٩٠٩ اي بعد سنوات قلائل من اكتشاف سير ايفانز اوضح فيه الحاجة الى اعادة كتابة تاريخ البحر المتوسط القديم في ضوء اكتشافات كريت ، واضاف قائلا : « ان الوصف العام لاطلانطس كما قدمه افلاطون في محاورتيه « تيماوس » و « وكريتياس » له مشابهات قوية في الحضارة المينوية الى حد القول بان افلاطون نفسه لم يكن في وسعه اختراع كل هذه الحقائق المتشابهة » .

ويدلل فروست على نظريته قائلا « ان حديث افلاطون عن الميناء العظيم بسفنه وتجاره القادمين من كل الانحاء ، والحمامات الفخمة والملعب الرياضي ، ومراسم التضحية بالثيران ، كل ذلك نجد ما يشابهه في الحضارة المينوية ، ولكن



افلاطون

عندما نقرأ عن طريقة اصطياد الثيران في معبد بوسيدون بدون استخدام الاسلحة وانما بالعصي والحبال فحسب ، نجد انفسنا ازاء وصف دقيق لحلقات الرقص على الثيران في كنوسوس ، وهذا الشيء الذي كان يلفت نظر زائري كريت اكثر من غيره ، وادى الى ظهور اسطورة المينوتورس .. ان كلمات افلاطون تكاد تصف بدقة متناهية المناظر التي نجدها مصورة على الأواني الاثرية الكريتية والتي تمثل مطاردة الثيران والامساك بها بطريقة تختلف عن صيد الثيران في اي مكان اخر فيما يتعلق بنقطة هامة اكدها افلاطون في حديثه عن اطلانطس وهي عدم استخدام الاسلحة » .

ولكن كريت ليست في المحيط الاطلسي ، وليست في حجم الجزيرة القارة التي وصفها افلاطون ، ولم تختف تحت امواج البحر .. فكيف يتسنى اذن القول بانهما قد تكونان شيئاً واحداً ؟

لقد حاول فروست ان يفسر اختفاء الحضارة المينوية المفاجيء بان انقطاع الاتصال بطريقة مفاجئة بين تجار كريت وشركائهم المصريين نتيجة لتعرض كريت لغزوات من بلاد اليونان جعل المصريين يعتقدون ان كريت لابد ان تكون قد غرقت تحت سطح البحر ! ولكن الدوائر العلمية رفضت هذا التفسير ، وسرعان ما رفضت نظرية فروست باكملها ، وما لبث ان نسي كل شيء عنها بعد وفاته اثناء الحرب العالمية الاولى .

بركان ثيرا

ولكن بعد ثلاثين عاماً ، انبرى

البروفيسور سبيريدون مارنياتوس - الذي اصبح فيما بعد مديراً عاماً لمصلحة الآثار اليونانية - بتقديم ادلة جديدة تؤيد نظرية فروست ، اذ نشر في صحيفة الآثار البريطانية في عام ١٩٣٩ مقالا بعنوان « الدمار البركاني للحضارة المينوية في كريت » اوضح فيه انه خلال تنقيباته في امينسوس ، وهو موقع ميناء قديم مجاور لكنوسوس ، اكتشف حفرة مليئة بالخفاف البركاني ، كما وجد ايضا دلائل على ان امواجا عاتية طغت على الموقع ، واكتسحت في تراجعها اشياء ضخمة من اماكنها الاصلية ، واعرب مارينانوس عن اعتقاده بان انهيار كريت لم يكن بسبب غزاة اتوا من الخارج - كما كان يعتقد معظم المؤرخون عندئذ - وانما يرجع الى كارثة طبيعية عنيفة حلت بالجزيرة ، واشار الى احتمال ان يكون مصدر هذا الخراب هو الجزيرة البركانية الصغيرة المسماه « ثيرا » والتي تبعد ٧٥ ميلا شمالي كريت وهي اقصى الجزر الى الجنوب في ارخبيل سيكلاديس .

فما هي جزيرة « ثيرا » هذه ؟

كانت هذه الجزيرة في الماضي مستديرة الشكل . يبلغ محيطها حوالي «ميلا» ، ذات قمم صغيرة مدببة ، وتنمو فيها الاشجار والمزروعات الجيدة ، اما في الحاضر فقد ذهب هذا الرونق القديم ، واصبحت ثيرا ممزقة الى ثلاثة اجزاء اكبرها على شكل هلال ، وهي التي لا تزال تحمل اسم «ثيرا» ويسكنها حاليا حوالي ٥٠٠٠ شخص ، ثم جزيرة اصغر تسمى « تيراسيا » تقع الى الشمال الغربي وتوجد بها حاليا قريتان فحسب ، يسكنهما عدة مئات من الاشخاص والجزء الثالث يسمى « اسبرونيسي » وهو شظية ارضية غير مسكونة . ولكن من يرى هذه الاجزاء الثلاثة من الجو يستطيع ان يلمح بوضوح كيف كانت جميعا في الماضي جزيرة واحدة مستديرة ، كل ما في الأمر ان المنطقة الوسطى فيها اصبحت الآن خليجا عميقا بين الجزر الثلاث ، كما يستطيع ان يلاحظ وجود جبال عالية مطلة على الحافة الداخلية للجزر الثلاث ، وهي جبال شديدة الانحدار او تكاد تكون عمودية كما لو كانت قد قطعت بسكين ضخمة . وفي وسط الخليج الذي يتوسط الجزر الثلاث تبرز قبة سوداء تعلوها فوهة بركان تذكر من يراها فورا بان « ثيرا » كانت يوما هي البركان النشيط الوحيد في بحر إيجة .

يقول علماء الجيولوجيا انه من المحتمل ان يكون للجزيرة تاريخ طويل جدا من الاضطرابات البركانية ، ولكن من المؤكد ان الانفجار الذي مزق وسط الجزيرة كان اقوى انفجار بركاني معروف في العالم ، وقد بدا باندفاع الخفاف البركاني الذي ادى الى تراكم اكوام ترتفع الى ١٢ قدما في بعض اجزاء الجزيرة ، ثم حدث فيما يبدو انقطاع او فترة خمود ، تلاها انفجار عنيف ادى الى تغطية الجزيرة كلها ومنطقة واسعة حولها بطبقة سميكة من الرماد الابيض يسمى « تيفرا » ويصل ارتفاع هذه المادة في بعض انحاء الجزيرة الى ٢٠٠ قدم ، وعندما انبثقت هذه المادة من جوف الارض تحت البحر انهار على الفور سطح القشرة الارضية في هذا المكان وهو جزيرة ثيرا وسقط جزء منها في البحر مكونا بذلك الخليج الاوسط الذي يعرفه العلماء باسم « كالديرا » .

بركان كراكاتوا

ان احدا بالطبع لم يشاهد ما حدث في ثيرا ، ولكن في امكاننا ان نكون فكرة عما حدث فيها من وصف شهود عيان لحادث مماثل وقع سنة ١٨٨٣ . ففي مايو من ذلك العام بدا بركان « كراكاتوا » - وهو بركان من طراز بركان ثيرا - يطلق الحمم . وكراكاتوا جزيرة صغيرة تقع في مضيق «سوندا» الذي يفصل بين جاوا وسومطرة في جنوب شرق اسيا ، وهو مجاور للطريق البحري الرئيسي بين بحر الصين والمحيط الهندي ، ولذلك كانت هناك بعض السفن على مقربة منه عند حدوث الانفجار البركاني ، واعطى ملاحوا هذه السفن فيما بعد وصف شاهد عيان لما حدث .

لم تكن جزيرة « كراكاتوا » مسكونة ، فهي جزيرة بركانية قاحلة غير صالحة للسكنى ، ولكن بركانها ظل خامداً حوالي مائتي سنة قبل ان ينفجر عام ١٨٨٣ ، بعد ست او سبع سنوات من الزلازل العنيفة . ففي يوم ٢٠ مايو ١٨٨٣ بدا البركان في احداث فرقعات هزت النوافذ والابواب على مسافة ١٠٠ ميل ، وبعد ذلك بيومين شوهد عمود من الغبار والغاز يتصاعد من فوهة البركان الى ارتفاع قدر بسبعة اميال ، وتساقط الغبار على مسافة تبعد ٣٠٠ ميل ، ووجد المشاهدون الذين زاروا الجزيرة بعد اسبوع انها مغطاة بطبقة رقيقة من الرماد الأبيض ، وان الاشجار جردت من اوراقها واغصانها بفعل تساقط الخفاف البركاني ، واستمر النشاط البركاني خلال شهري يونيو ويوليو واوائل اغسطس حيث ذكر زائر اخر لجزيرة كراكاتوا ان كل النباتات في الجزيرة قد دمرت تماما ، ثم جاءت الذروة في يومي ٢٦ و ٢٧ اغسطس بتصاعد سحابة من الدخان الاسود المتموج الى ارتفاع ١٧ ميلا ، وحدثت انفجارات قوية سمعت في كل انحاء جاوة . واثناء الليل يوم ٢٦ اغسطس شاهد بحارة السفينة « تشارلس بال » ، الذين كانوا يبحرون على مسافة ١٥ ميلا شرقي كراكاتوا « كرات من اللهب الأبيض » تتساقط على حافة الجزيرة ، واصبح الهواء ساخنا خانقا معبقا برائحة الكبريت واخذت السماء « تتحول خلال لحظات من السوادالكثيف الى وهج النار » .

وطوال الليل استمر هدير البركان من الشدة بحيث حرم سكان غرب جاوة من النوم ، وهدا البركان هنيهة عند الفجر ، ولكن في الصباح الباكر يوم ٢٧ ، حدثت اربع انفجارات متتالية بالغة العنف ، وبخاصة الانفجار الثالث منها ، الذي سمع في جزيرة « رودريجويز » على بعد ٣٠٠٠ ميل ، وربما كان اقوى صوت سجل في تاريخ الارض - وارتفعت سحابة من الدخان الى مسافة ٥٠ ميلا ناشرة محتوياتها عبرمنطقة شاسعة من المحيط الهندي .

وقدر الخبراء ان بركان كراكاتوا لفظ من احشائه حوالي خمسة اميال مكعبة من الحمم ، سقط ثلثها في مجال محيطه عشرة اميال ، مما ادى الى تكوين اكوام من



بقايا اثار مدينة من المدن القديمة فى كريت التى اجتاحتها البراكين .. ترى هل كانت مدن اطلانطس شبيهة بتلك المدينة التى نرى فيها بقايا قصر « كنوسوس » واعمدة متهاوية ؟

«التيفرا» البيضاء ، بلغ ارتفاع بعضها ١٨٥ قدما في اجزاء الجزيرة التي نجت من الدمار . اما باقي المواد الملفوظة ، فقد حملها الهواء بعيداً حتى باندونج على بعد ١٥٠ ميلا في نفس اليوم .

واستمرت الرياح القوية المشبعة بالتراب البركانى تهب ١٢ يوماً بعد ذلك حتى مسافة ٣٣٠٠ ميل .

وحطمت موجات الصدمة المنبعثة من الانفجار الثالث الكبير النوافذ والجدران على مسافة ١٠٠ ميل ، وامكن تسجيلها فى جميع انحاء الكرة الارضية ، ولكن موجة المد التى حدثت فى البحار والمحيطات كانت اقوى تخريبا ، فقد اغرقت ودمرت ٣٠٠ مدينة وقرية فى المناطق المجاورة لمضيق «سوندا» ، وادت الى مقتل اكثر من ٣٦ الف شخص تحت

عنف الامواج التى اجتاحت مساكنهم ، كما ارتفع المد على شواطىء تبعد ٧٠٠٠ ميل عن مكان الانفجار ، بل وقد وصل ارتفاع المد بدرجة طفيفة الى القنال الانجليزى ، وحملت مياه البحر الخفاف البركانى الى الاف الاميال المربعة ، وامتلا بها المحيط الهندى لمدة عدة اشهر بعد الانفجار .

وظل الناس فى مختلف انحاء العالم لعدة اشهر ايضاً يرون تلك الظاهرة الغريبة الناجمة عن ارتفاع الغبار الى طبقات الجو العليا ، حيث كانت الشمس تشرق خضراء اللون ، ثم تتحول الى اللون الازرق ، والقمر يبدو اخضر او ازرق ، وغروب الشمس يخلف وهجا شديداً فى السماء .

وعندما تجرا الناس على زيارة الجزيرة بعد هذه الكارثة الكبرى وجدوا ان الجزء الشمالى من كراكاتوا قد سقط تحت سطح البحر مخلفاً خليجاً او « كالديرا » على النحو المشاهد فى « ثيرا » ، كما تمزق باقى الجزيرة الى قسمين .

والان ، إذا حاولنا المقارنة بين انفجار « ثيرا » بالقرب من كريت وانفجار كراكاتوا فاننا نجد ان « الكالديرا » ، او الخليج المتخلف عن انفجار ثيرا ، اعمق من ذلك المتخلف عن انفجار كراكاتوا كما أن مساحة سطحه تبلغ اربعة اضعاف مساحة سطح الثانى ، وبالرغم من ان ذلك لا يعنى بالضرورة ان انفجار ثيرا كان اقوى بمقدار اربعة اضعاف من انفجار كراكاتوا إلا ان تركيب الخليج واكوام الخفاف فى ثيرا تؤكد ان انفجار ثيرا كان على الاقل فى عنف انفجار كراكاتوا ان لم يكن اكثر منه عنفاً وتدميرا .

متى وقع انفجار ثيرا

عندما يمتزج الخفاف البركانى بالحجر الجيرى ينتج نوع من الاسمنت القوى . وهذا ما حدث فى ثيرا ، وبالتحديد فى جزيرة « ثيراسيا » ، التى اخذت منها خلال ستينيات القرن الماضى كميات ضخمة من الاسمنت لبناء قناة السويس ومدينة بورسعيد فى مصر ، واثناء العمل فى اخذ الاسمنت وجد المهندسون انهم وصلوا فى الحفر الى كتل صخرية فى أسفل طبقات الركام اثناء ثورة البركان ، وكان من الممكن ان يدمرها المهندسون فى تنقيبهم عن مزيد من الاسمنت لولا ان منعهم من ذلك حدوث انفجار بركانى جديد فى عام ١٨٦٦ فارغمهم على التوقف ، وبعد ان هدا البركان على الاسوار القديمة التى لفتت انظار علماء الاثار الفرنسيين ، فوصل الى الجزيرة فريق منهم برئاسة فرديناند فوكيه واستطاعوا اكتشاف جزء من مستوطنة صغيرة يعود تاريخها الى عصر البرونز فى اكروتيرى شمال شرقى ثيراسيا . وهكذا كان « فوكيه » هو اول من قدم ادلة على ان « ثيرا » تعرضت لانفجار بركانى اثناء عصر البرونز اى فيما بين عامى ٣٠٠٠ و ١٠٠٠ ق . م .

جاءت اكتشافات فوكيه قبل ان يكتشف سيرارثر ايفانز عظمة الحضارة المينوية فى كريت ، ولذا فان احداً لم يفطن الى دلالة اكتشافات فوكيه قبل مضى قرن كامل من الزمان حين بدا البروفيسور مارنياتوس تنقيباته الهامة فى اكروتيرى . وفى عام ١٩٥٦ حدث فى الجزيرة زلزال قوى ادى الى تمزيق ارضية محجر فى الجزيرة الرئيسية « ثيرا » فانكشفت بذلك اطلال مبان قديمة وعظام بشرية وأسنان واخشاب محترقة ، وقد قام العالم اليونانى دكتور انجيلوس جالا نوبولس بالكشف على هذه المخلفات بطريقة الكربون ــ ١٤ المشع ،

حضارة الألوان الزاهية والأشكال الرقيقة..

فوجد ان عمرها يبلغ حوالي ٣٥٠٠ سنة ، واجريت اختبارات إضافية فى عام ١٩٦٧ على مجموعة من الاشياء المختلفة التى وجدت فى ثيرا دلت على أن البركان حدث فى وقت ما بين عامى ١٥٠٠ و ١٤٥٠ ق .م . وهذا التاريخ يتفق مع الفترة التى انهارت فيها الحضارة المينوية فجاة .

يقول البروفيسور . ف . لوتشى فى كتابه « نهاية اطلانطس » وهو دراسة علمية حديثة عن القارة المفقودة « اننا لا نعلم ماذا حدث فى كريت وفى الجزر والشواطىء الموجودة فى بحر ايجا . ولكنى اعتقد انه ليس مما يجافى المنطق ان الخسائر فى الأرواح والممتلكات نتيجة لبركان ثيرا لم تكن اقل ، ان لم تكن اكبر ، من خسائر بركان كراكاتوا . ومن ناحية اخرى ، يمكننا القول بثقة لها ما يبررها ان كريت توقفت عن ان تكون قوة بحرية عظيمة فى اواسط القرن ١٥ ق . م . اليس من المعقول ، اذن ان تفترض ان انفجار ثيرا كان عاملا مؤثرا فى سقوطها ؟ » .

وقد اثبتت الاكتشافات الاثرية فيما بعد صحة هذا الافتراض ، وثبت يقينا ان الحضارة المينوية التى كانت قائمة فى كريت والجزر المجاورة قد انهارت نتيجة انفجار بركان ثيرا حوالى عام ١٥٠٠ ق . م وانتقلت بالتالى مقاليد القوة من اهل كريت الى سكان الشاطىء اليونانى حيث بدأت حضارة « ميسينا » فى الظهور .

عود الى اطلانطس

ويعتقد لوتشى وعدد آخر من العلماء الذين فحصوا آثار ثيرا وكريت ان قصة افلاطون عن اطلانطس لم تكن الا صدى لسقوط الحضارة المينوية ، وان « اختفاء » اطلانطس هو فى حقيقته ضياع مقاليد القوة من أيدى الكريتيين بعد الكوارث الطبيعية التى حلت بجزيرتهم الصغيرة . ومع ذلك فان لوتشى يرفض فكرة البحث عن اطلانطس تحت مياه خليج ثيرا ، ويقول « بالنسبة لى ان اختفاء اطلانطس عبارة عن مغزى تاريخى وليس حقيقة جغرافية » .

ولكن علماء آخرين حاولوا تفسير اسطورة افلاطون على انها تعنى كريت حرفيا ، ومنهم العالم اليونانى دكتور انجيلوس جالا نوبولس الذى يقول ان افلاطون يشير الى جزيرتين : الكبيرة منهما هى المقر الملكى فى كريت ، والصغيرة هى المركز الدينى فى ثيرا . ويقول افلاطون ان مدينة اطلانطس يبلغ محيطها ١١ ميلا ، وهذا بالضبط هو ايضا حجم ثيرا . غير ان جالا نوبولس لم يلبث ان صادفته بعض الصعاب ، اذ وجد ان بعض القياسات لا تتفق بين اطلانطس الكبيرة وكريت الصغيرة ، فافلاطون يقول ، مثلا ، ان اطلانطس كانت قارة ضخمة وليست كذلك ثيرا او كريت ، ولكن هذه العقبة لم تفت فى عضد جالانوبولس ، فقد لاحظ ان كل المقاسات فى رواية افلاطون التى تتجاوز رقم ١٠٠٠ إذا قسمت على ١٠ فانها تتفق مع مقاييس الحضارة المينوية ، من حيث المساحة والسكان وغير ذلك ، وعلى ذلك يقترح جالانوبولس انه لابد ان كانت هناك غلطة عشرية . قد زحفت على قصة اطلانطس كما رواها افلاطون ، سواء كانت هذه الغلطة من جانب الكهنة المصريين الذين رووا القصة لصولون ، او جاءت بعد ذلك نتيجة لتناقل القصة شفاهة من صولون حتى وصلت الى افلاطون ، فربما حدث سواء فى تسجيل الوثائق المصرية او الوثائق اليونانية ان اخطىء الرمز الحسابى ١٠٠ وسجل على انه ١٠٠٠ ، وهناك مثل معاصر لهذا النوع من الاخطاء هو ما بين البليون الامريكى الذى يساوى الف مليون والبليون الانجليزى الذى يساوى مليون مليون .

هذا الخطا ، إذا كان قد حدث فعلا ، فانه لا يفسر فحسب حجم اطلانطس وعدد سكانها وانما يفسر ايضا تاريخ دمارها ، فاذا الغينا الصفر الاخير من ارقام افلاطون نجد ان تاريخ غرق اطلانطس يتفق مع تاريخ انفجار بركان ثيرا وانهيار الحضارة المينوية ، فبدلا من ان يكون ٩٠٠٠ سنة قبل زيارة صولون لمصر ، يصبح ٩٠٠ سنة فقط فاذا عرفنا ان رحلة صولون لمصر حدثت حوالى عام ٦٠٠ ق . م . يكون معنى ذلك ان دمار اطلانطس وقع حوالى عام ١٥٠٠ ق . م ، وهذا يتفق مع تاريخ انفجار بركان ثيرا وسقوط حضارة كريت .

ولكن ذلك لا يقضى على كل العقبات التى تعترض نظرته « اطلانطس فى بحر ايجة » ، فاذا كانت اطلانطس هناك حقا فلماذا يضعها افلاطون بعيداً فى المحيط الأطلسي ؟ واذا كانت اطلانطس قد غرقت على مقربة وثيقة من الشاطىء الاغريقى فلماذا يجهل الاغريق خبرها ويتلمسونه لدى المصريين ؟

يقول فويدو : النظرية ان مثـــل هذه العقبات من الممكن ازاحتها ايضا .. ان كل ما قاله افلاطون عن موقع اطلانطس انها « تقع خلف اعمدة هرقل » ، ولذا فان قراءه انفسهم هم الذين سارعوا الى افتراض ان اطلانطس تقع فى المحيط الاطلسى على اعتبار ان اعمدة هرقل تعبير كان يطلق على مضيق جبل طارق فى زمن افلاطون . غير ان تعبير « اعمدة هرقل » ـ كما يقول دكتور جالا نوبولس ـ كان يطلق ايضا على جبلين يقعان على الشاطىء الجنوبى لبلاد اليونان (ميسينا القديمة) فى مواجهة كريت ، فاذا كانت قصة افلاطون تشير الى هذين الجبلين يصبح من المؤكد تقريبا ان المينويين هم انفسهم اهل اطلانطس .

وقد دلت الاكتشافات الاثرية على ان الحضارة المينوية اخذت فى اخريات ايامها تكتسب خصائص يونانية ميسينية واضحة مما يدل على ان الكريتيين بداوا يفقدون سيطرتهم على بحر ايجة ، ومن المحتمل ان كانت هناك خصومة بينهم وبين الميسينيين مثل تلك التى اشار افلاطون الى وجودها بين الاثينيين والاطلانطسيين ، وسواء كان الميسينيون قد غزوا اجزاء من كريت بالفعل او ان الحضارتين قد تعايشتا سلميا فان اكتشافات كنوسوس دلت على انه بعد سقوط كريت اخذ الميسينيون مكانهم كقوة كبرى فى بحر ايجة وربما يكون الميسينيون قد احتلوا بالفعل قصر كنوسوس الذى رغم دماره فى البركان نجا بشكل عام ، لانه كان فى الجزيرة الرئيسية كريت . •

وعلى اية حال ، فقد كان الاغريق حينئذ شعبا صغيراً يحبو فى طفولته ولا يستطيع ان يذكر تاريخ هذه الاحداث بوضوح ، فان

ذاكرة الاغريق التاريخية تبدا على اقصى تقدير بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد تحت قيادة ميسينا التى اصبحت قوة كبرى فى شرق البحر المتوسط ، بل ان ايام ميسينا نفسها لا يكاد يذكرها الاغريق بوضوح ، اما المصريون فكانوا حينئذ شعبا قديما ، وكانوا يتاجرون منذ امد طويل مع اهل كريت ، ويسجلون زياراتهم لمصر ، ولذا فليس هناك ما يبعث على الدهشة اذا افترضنا ان المصريين كانوا يعرفون عن اسلاف الاغريق اكثر مما يعرف هؤلاء عن اسلافهم .

ولنستمع الى الكهنة المصريين وهم يقولون لصولون حسب رواية افلاطون :

« انتم ايها الاغريق شعب محدث .. انكم تذكرون طوفانا واحدا ، والحقيقة انه كان هناك الكثير من الطوفانــــات ، و انتم لا تعرفون ان احسن وارق شعب بشرى كان يعيش يوما فى بـــــلادكم ، وانك انت (يا صولون) ومواطنيك ربما كنتم من احفاد الناجين القلائل الذين بقوا على قيد الحياة من هذا الشعب ، ولكنكم لا تعرفون شيئا عن ذلك بسبب مرور اجيال كثيرة عليكم ، نسيتم فيها الكتابة » .

وفى راى بعض العلماء ان العبارة الاخيرة فى الفقرة السابقة تحمل دليلا جديدا يؤكد نظرية « اطلانطس فى ايجة » ، كما يؤكد المصدر المصرى للقصة ، فالكهنة المصريون يشيرون هنا فى الغــــالب الى « ثغرة الامية » التى حدثت فى بلاد اليونان خلال الالف الثانى قبل الميلاد ، فقد كانت هناك طريقة قديمة للكتابة مستخدمة فى كريت وبلاد اليونان وجزر بحر ايجة ، ولكنها اختفت من الاستخدام بعد عام ١٢٠٠ ق . م . ، ولم يظهر بديل لها حتى حوالى عام ٨٥٠ ق . م . حين اخذت الاشكال الاولى للكتابة الاغريقية العتيقة فى الظهور ، وعلى ذلك فانه حتى اذا كانت هناك سجلات محلية عن انفجار ثيرا وسقوط كريت ، فانها كانت مكتوبة بلغـــة لا يستطيع الاغريق فى عهد افلاطون قراءتها .

● ●

ان عددا كبيرا من الباحثين على استعداد الآن لقبول نظرية « اطلانطس فى ايجة » ، ويزعمون ان قصة افلاطون لم تكن مؤسسة على حقائق تاريخية فحسب ، وانما هى تكاد تكون تسجيلا دقيقا يبعث على الدهشة لاحداث وقعت قبل عصره بالف سنة . ويعتقد البروفيســـــور جالانوبولس ان ثيرا كانت فى اهمية كريت او اكثر بالنسبة للمينويين ، فقد كانت هى المدينة المقدسة او مركز الحضارة المينوية ، اما كريت فهى المجال الحضارى الملحق بها ويتصور جالانوبولس ان سفوح هذه الجزيرة الصغيرة التى يغطيها حاليا الركام البركانى كانت يوما تضج بالحياة وبالقصور والمعابد العظيمة على نحو يعادل او يفوق مظاهر الحضارة فى كريت نفسها . وعندما ثار البركان دفنت كل هذه المبانى الرائعة تحت وابل الحمم ، ثم غرقت تحت سطح البحر فيما يسمى الآن بالكالديرا او حوض ثيرا . وقد حدث ذلك فجاة بين يوم وليلة على النحو الذى رواه افلاطون عن اطلانطس نقلا عن كهنة سايس المصريين .

غير ان نظرية « اطلانطس فى ايجة » ، بالرغم من ادلتها القوية ، لا تزال تفتقر الى الدليل الحاسم ، وهو ان يعثر بالفعل تحت مياه حوض ثيرا على بقايا من عمائر الحضارة المينوية الغارقة . وقد بدات مؤخرا بعض الجهود فى هذا الشان ، وحصل غواص فرنسي مستكشف يدعى كوستو على تصريح بالغوص فى هذا المكان للبحث عن الآثار وتصويرها على فيلم تليفزيونى ، وهو يستخدم سفينة ابحاث مزودة بجهازي رادار يستطيع كل منهما مسح منطقة عرضها ٤٠٠ ياردة على كل ما جانبى السفينة وقد ذكر كوستو ان ابحاثه الاولية دلت على وجود « شىء ما » تحت خليج ثيرا ، وانه مصمم على معرفة ماذا يكون هذا الشىء .

● ●

والى ان يعثر على مثل هذا الدليل الحاسم لا يمكن القول بان لغز اطلانطس قد صادفه الحل .

ولكن يظل مغزى هلاك اطلانطس موحيا .. ان الحضارات المادية العظيمة بما فيها حضارتنا المعاصرة يمكن ان تبيد بين ليلة وضحاها ، فلا يمنعها عاصم من غضب الله وهذا ما اشار اليه القران الكريم فى اكثر من موضع ولاسيما فى الحديث عن حضارة عاد التى لقيت نفس المصير .. « الم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد » .

صدق الله العظيم

محمد العزب موسى



الانتظار

قصة بقلم :
الدكتور محمد حسن عبدالله

الزحام على اشده في وادي الجفاف المحاصر بالصحراء والمستنقع ، تلاحمت الاجساد المغبرة كاعواد الحطب في حزمة . طال موقف الضراعة ، ولم ينفتح الباب . الهواء الساخن المشبع بالرطوبة ، وروائح المستنقع القريب زاده الزحام لزوجة وثقلا ، حتى اصبح تنفسه مستحيلا ، لم يعد يفكر في ان يرفع قدما يخفف عنها لهيب الارض او يروح بيد يدفع عن رئتيه سخونة الهواء. شخصت الجمـــاعة الى بـــاب الكهف الصخري المعلق في منحدر الجبل ، بين الارض والسماء ، وقد ارتسمت في عيونها معاني الذل والضراعة ، ونال منها الانتظار حتى مات الاحساس بالزمن وتلاشى القلق وسيطر على الوادي سكون الموت . حين بدأ باب الكهف ينفرج هبت نسمة ندية انتشر عطرها في الوادي فتحركت ارادة الحياة ، وبدات الجماعة تبحث عن الكلام . في مقدمة الصفوف كان عملاق له صوت ومهابة لا يزال يستطيع الصياح ، وترفعه هامته بحيث يراه الجميع ، صنع من كفيه بوقا ، ونادى بضراعة في عمقها استعداد خفي للتمرد :

ـ ايها السر العظيم .. تاخر المطر ، مات الزرع ، جف الضرع ، ذريتنا يهددها الفناء

قال الصوت القادم من اغوار الكهف :

ـ كيف وانتم تقيمـــون على ارض سخية ؟

قال العملاق :

ـ ما قيمة الارض السخية دون مطر ؟!

قال الصوت :

ـ لا قيمة لشيء دون عمل ..

قال العملاق :

ـ كيف نعمل والنفس على هذا القدر من الجوع ؟

قال الصوت :

ـ الجوع مصير الهاربين

قال العملاق ضارعا :

ـ زدني بيانا

قال الصوت وقد بدا يضيق ذرعا :

ـ اذهبوا جميعا الى النهر .

ـ انه مستنقع !!

قال الصوت موبخا :

ـ يا للعقل الراكد ، كيف لم تفطن الى معنى النهر في المستنقع !!

احس العملاق ان الصوت القادم من الكهف يوشك ان يقطع الحوار ، ولم يكن شفى غليله باليقين عما ينبغي له ان يعمل فقال بصوت متقطع ذليل ، وضع في نبراته كل امل الجماعة في ان تعرف طريقا لنجاتها :

ـ اتوسل اليك .. كيف يتحول المستنقع الى نهر؟

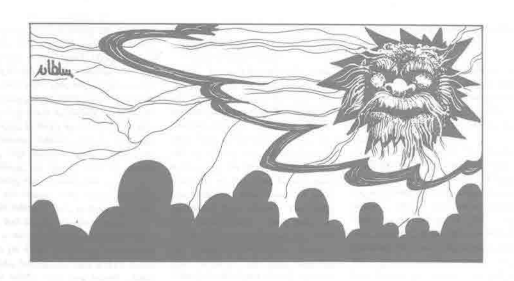
بدا باب الكهف ينغلق ببطء ، والكلمات الاخيرة تتسرب منه وكانها الصدى ، دون ان تشي باقل قدر من العاطفة :

ـ لقد قلت كل شيء .

تسمرت العيون على الباب المغلق برهة ما لبثت ان سلمت بالامر الواقع ، فالكهف العجيب لا يفتح الا مرة واحدة كل عام ، صبيحة ظهور النجم الابرق . لم يحدث استثناء واحد لهذه القاعدة ، ومع ان الصوت الصادر عنه لم يكن يرضي حاجة الجماعة كلها الى المعرفة ، فان اشارته المحددة استطاعت ـ الى الآن ـ ان تحفظ كيـــانها المحـــاصر بمخـــاطر المســـتنقع والصحراء .

استدار الحشد توجهه غريزته نحو المستنقع ، وان يكن لا يعرف على وجه اليقين ماذا ينبغي عليه ان يصنع هناك . كان العملاق في المقدمة امام الكهف ، فصار في اخر الموكب حين استدار الناس قاصدين المستنقع . وهنا صار « الربيع » على راس طريقهم ، وقد كان هناك بعيدا يتسمع على الصوت . بين قلة من مساعديه يشاركونه ما ياتى من شغب .

و « الربع » كائن مخيف ، هو نصف طولي من انسان ، ولكن امعانا في العجب من شكله اطلق عليه اهل الوادي اسم «الربع» ، ولا يعرف احد هل هو ذكر او انثى غير انه يزعم ان له ولدا هو المثل فى الجمال والقوة والذكاء ، ولهذا سماه الكامل ، وارسله الى بلاد بعيدة ، خارج وادي الجفاف ، ليتعلم ، ويعود محملا بالتجارب التي تفيد الوادي ، وترفع عن اهله مخاوف الفناء . كان اهل الوادي يفزعون من الربع ، ويعجبون كيف لمثله ان يتكلم او يتحرك ،



ولكن الفزع منه ما لبث ان تحول مع الزمن الى رهبة وخشوع ، وايمان عميق بان القوة تنبع من العجز ، وان هذا الكيان الهش ، الذي يجد صعوبة في ان يرفع عن نفسه شر ذبابة ، ينطوي على قوة سحرية آسرة !

تكور الربع على نفسه مثل دودة تتاهب للقفز من الطين ، ورفع وجهه المدبوغ امام الجماعة الزاحفة ، وقال :

– كعادتكم يا اهل الوادي ، تنقادون للمجهول ولا تثقون في ابن واديكم . المستنقع ! ماذا تجدون هناك غير الحشرات القاتلة ، والروائح الكريهة ؟ سيروا خلف العملاق ليجعل من اجسادكم حصيرا ناعما يجتاز به النهر الموعود ، او انتظروا الكامل، لقد اغترب من اجلكم ، كل هذا الزمان ، وقريبا يعود محملا بالخير والامان ..

انتشرت كلمات الربع بين الحشد المتحرك ، كانها الغبار فى العاصفة ، فثار الجدل في دوائر مغلقة ، ارتفع الزعيق في مواقع ، تشابكت الايدي في مواقع اخرى ، ارتفعت هراوات قليلة ، وسالت قطرات دم هنا وهناك . نظرت الجماعة الى العملاق ان يفعل شيئا او يتكلم ، لكنه لزم الصمت عما جرى ، واستمر في تقدمه في اتجاه المستنقع ، وقال لمن حوله :

– انا سامع لصوت الكهف مطيع ، ولكل انسان ان يختار ما يناسبه . قال بعض المقربين منه :

– انت قدوة ، ولابد ان توجه الربع بحزم والا افسد عليك الوادي ومن فيه .

قال العملاق بثقة :

– انا قدوة فى العمل ، وليس فى التعدي على الآخرين .

حين شاعت عنه هذه الكلمات ، استمر الربع ينادي بضرورة الانتظار ، لتجنب الضحايا في اقتحام المستنقع ، ويؤكد ان الكامل قادم بالخير والامان للجميع ، فوجدت كلماته هوى في بعض النفوس ، فاتسعت الحلقة من حوله ، وبدأ التنافس فى تقديم الخدمة له ، والترفيه عنه . زلفى للكامل حين يعود . اما الجماعة الزاحفة التي اندفعت بقوة الصوت القادم من الكهف نحو المستنقع ، لا تعرف كيف تقرا فيه معنى النهر ، وتصر على التنفيذ ، فانها حققت المعجزة دون ان تقصد لذلك ، اذ صنعت خطواتها الزاحفة اخدودا في الارض سال فيه الماء ،وجرى متدفقا نحو الوادي ، ما لبث الاخدود ان اتسع وعمق ، وكشف عن ينابيع اخرى مطمورة هنا و هناك تجمعت كالشرايين ، وتحول المستنقع الى نبع ونهر ، ولم يشرب الناس اصفى وا عذب من مائه،وارتوى الزرع والضرع ،فتحول وادي الجفاف الى جنة مترامية ، فاضت بانواع الثمار ، وهنا اخلد القوم الى الراحة امنين .

قبل ان تنكسف وجوه الذين احاطوا به وانتظروا معه ، قال الربع للذين حولوا المستنقع الى نهر :

– ليس لكم ان تفرحوا ، فهذا مصادفة لاتصح كل مرة - واذا ذكرتم مسيل الماء فاذكروا الثمن الذى دفعتموه : كم من ضحايا داستها اقدامكم وغاصت فى الطين وما عدد الذين لدغتهم الافاعي او اصابتهم اشواك المستنقع بالشلل ؟ لو انتظرتم الكامل لجاءكم الخير خالصا دون ضحايا ودماء ..

لقد خُدعتم بالعملاق ، الذي لم تلسعه بعوضة واحدة .

وقال للذين تحلقوا من حوله :

– انتم اهل الفرح .. انظروا .. هذه خيرات الكامل هلت بشائرها عليكم ، دون مخاطرة بالنفس او الراحة . لقد مات من مات ، واصيب وتلطخ الباقون ، وجاء الماء ونحن شركاء فيه ، واثمرت الاشجار للجميع لانه وادينا كما انه واديهم .

مضت الشهور واوشك العام ان يستدير

فذهبت الفرحة بالماء ، ولم يعد الناس يذكرون غير عناء العمل وقلة المحصول ، وانتشرت المرارة في حلوق الجماعة اذ ترى القاعدين يتجاسرون على مزاحمتهم في جني الثمار ، دون ان يشاركوا في مسيرة المستنقع وما خلفت من ضحايا وجراح . وتطور الحال من الشكوى المكتومة الى المجاهرة بالقاء اللوم على العملاق ، والدعوة الى العصيان والامتناع عن العمل

مترحمين على ايام الفراغ وقد نسوا انها كانت ايام الجوع . وبلغ الأمر اسماع العملاق ، فقرر للوهلة الأولى ان ينزل عقوبته بالذين ارتفعت اصواتهم بالتذمر او حرصوا عليه ، ولكن المقربين اليه نصحوه بالانتظار والتريث ، لأن الربيع جاهز للافادة من اى شرخ يحدث فى جماعته . ورأى هؤلاء المقربون ان الحوار هو الطريق الى الوفاق ، وامتصاص الغضب ، ولم يكن هذا رايهم في المرة السابقة ، لكنهم ارسلوا الى المتذمرين ان ارسلوا الينا من يمثلكم لنتحاور حول ما تشكون منه .

جاء المندوب ، طال الحوار ، اتسعت شقة الخلاف . اتصل به الربيع سرا ، وقال له كلمة تنبع من طبيعته العجيبة :

ـ حذار ان تعود الى صفوف العملاق ، انك وقد خالفته علانية صرت هدفا مكشوفا ينبغي الخلاص منه اليوم او غدا . ثم ان هذا الخلاف جعلك راسا لجماعة ، فكيف ترضى ان تعود تابعا ؟!

هكذا شهدت الاشهر التالية ظهور جماعة جديدة ، وحين تمت القطيعة اتصل الربيع بالمتذمرين ، وقال لهم :

ـ انتم لم تعودوا معهم ، وفي وادينا مفهوم راسخ ان من ليس معنا فهو علينا ، فالحاصل انكم صرتم اعداء للعملاق وجماعته ، وان لم تريدوا ذلك ، والراي ان تنضموا الينا لتقووا بنا ولا يفكر العملاق في مهاجمتكم ، فنحن اهل الانتظار والعملاق يعرف صدق وعدنا ، ولهذا لا يجسر على محاربتنا .

لكن رئيس المتذمرين ذكر نصيحة الربيع له ، فلم يتنازل عن استقلال جماعته ، واكتفى بالمهادنة التي لا تقطع عنه الخير والامان ، اذا ما تحقق وعد العودة ، وجاء الكامل !!

صبيحة ظهور النجم الابرق ، حان وقت الضراعة ، فوقفت الجماعة في الوادي امام باب الكهف ، وكانت هناك جماعتان ترقبان من بعيد وتشاغبان وكان الحركة غير مقصودة بين الحين والحين ، فلما فتح الباب صمت الجميع ، وهتف العملاق :

ـ ايها السر العظيم ..

جاءه الصوت من اغوار الكهف مقاطعا :

ـ لماذا تعودون اليّ بهذا الذل الابدي ، وقد اعطيتكم سر الفرح ؟

قال العملاق :

ـ نعم . نعم .. لقد عملنا ، وهذا عرقنا قد امتزج بتراب الوادي مثل ماء النهر ، ولكن عطاء الارض يشح شهراً بعد شهر .. اطفالنا لا تكاد تجد القوت ، واكثرنا يبيت على الطوى .

قال الصوت :

ـ لانكم لم تذهبوا جميعا .

وقبل ان يستوضح العملاق معنى الاشارة كان الباب قد اغلق ، وفي اعقابه ساد هرج فظيع ، اختلطت فيه الاراء ، ولم يعد احد يسمع لاحد ، وحاول العملاق ان ينظم عملية التعبير ، فظهر فريق راى ان تخلف الربيع عن ضراعة العام الماضي بمن معه من القاعدين ، ثم انشقاق المتذمرين هو السبب في عقم الارض واختفاء الثمار . وراى فريق اخر حين امعن في تأمل كلمات السر العظيم ان « اذهبوا جميعا » لا يدخل فيها جماعة الربيع وامثاله ، لانهم كانوا خارج الجماعة اصلا ، وانما يقصد بها الانسان والحيوان !! جنح قوم الى الاخذ بهذا التاويل المسالم وعارضه اخرون ، ولكن المعارضين اثروا تجنب المزيد من الانقسام باعطائه فرصة التطبيق ، وصمت العملاق عن ابداء رايه للسبب ذاته ، واذ كان يضمر ان « اذهبوا جميعا » تعني الذهاب بنية صافية وقلب مخلص لا تمازجه رغبة اخرى لغير العمل ، ونزل امام الناس الى الوادي ومعهم حيواناتهم وطيرهم فلم تمض غير اسابيع حتى تجددت قوة الارض بما خالطها من بقايا المخلفات التي تراكمت على اديمها ، وعادت دانية القطوف ، زاهية الالوان ، يعجب من يراها كيف يتحول الروث الكريه حين يختلط بالطين اللزج ، الى لون بديع ، وطعم شهي ورائحة مسكرة .

واعلن اصحاب التاويل ان رايهم هو الصواب الوحيد ، وما عداه باطل ، فاصاب الآخرين قلق وحزن ، ولم يعد يقنعهم انهم ياكلون رغداً دون شقاء العمل ، اذ لابد من استرداد الكرامة الجريحة .

وقال الربيع لجماعته :

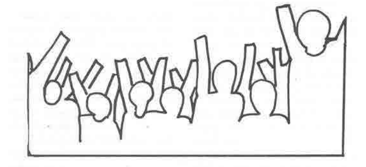
ـ نحن نملك في الوادي اكثر مما يملكون ندعهم للكد ، ونقاسم في الثمار .

وقال رئيس المتذمرين :

ـ ياله من مصير محزن . رفضنا ان نشرب عرق الانسان ، فهاهم يشربون بول الحيوان ، وما هو شر منه . انظروا الى رائحة الوادي كم صارت كريهة ، لاتخدعنكم الثمار في طرف الغصن عن الروث حول الجذور !!

واذ يتسلل هؤلاء واولئك الى حدائق الوادي لاقتناص ثمارها الطيبة دون جهد ، محتمين بالظلام ، راحوا يسرّبون الاقاويل التي تشيع القلق بين الذين سايروا الوضع الجديد ، فاثاروا امام بعضهم قضية الطهارة ، وتساءلوا ببراءة زائفة : هل نعتبر الثمار التي غذيت بالنجاسة طاهرة؟ واصطنعوا امام بعض اخر مازعموه رؤية علمية لقضية « دورة الحياة المغلقة » التي تهدد الوجود من اساسه ، اذ يتغذى الانسان والحيوان على النبات ، فيتحول النبات الى فضلات ، يتغذى بها النبات من جديد لتعود في دورة اخرى الى الانسان والحيوان ، وهكذا ، وراى واضع النظرية ان محصلة الدورة المغلقة هي الانحطاط العام يلاحق الانسان والحيوان والنبات !!

انتشرت المخاوف فى صدور الجماعة ، وكانها الهوام فوق المستنقع القديم ، ووجدت اذانا صاغية لدى قطاع كبير من اولئك الذين لم يجدوا مناصا من الاعتراف بخطا تفسيرهم من قبل ، وامتنع المتحرجون عن طعام الوادي تطهيراً لبطونهم ، وفكر اخرون في الهجرة ليكسروا طوق الدورة المغلقة التي تهدد ذراريهم بالفناء .. انقلب الحال فتكاثر الثمر وتساقط على الارض يواجه العفن ، دون ان يجد من يلتقطه ، غير المتسللين اليه ليلا ، ويذمونه نهاراً ..



ركب العملاقَ هَمٌّ عظيم ، لم يعد يجد فى نفسه دافعا إلى لقاء جماعته ، إذ راقب بحزن انهم يجارونه ظاهريا فى ارائه ، فاذا انصرفوا عن مجلسه ظهرت اثار الاقاويل فى سلوكهم ، يمتنع اكثرهم عن تناول الثمار ، فيضعف عن العمل ، ويرسل بعضهم اولاده إلى خارج الوادى بدعوى الرياضة او العلاج . تعلقت امال العملاق على موقف الضراعة ، وراح يحلم بإلهام جديد يعيد إلى الجماعة وحدتها . وحين استدار العام ، ووقف بين جماعته معلق النظرات على الباب ، كانت الجماعات والشراذم الحائرة بين المنتظرين والمتذمرين والمتطهرين اكثر من ان تحصى ، حتى لم يعد الناس يهتمون بالاسماء التى تطلق عليها . وقبل ان يبدا العملاق ضراعته المعهودة ، قال بحسرة :

– اننى لم اخالف عهدك ، منذ ارشدتنى وانا اعمل .

قال الصوت :

– لم تعمل كما امرتك .

قال العملاق :

– بل عملت ، ذهبت إلى المستنقع فصار نهرا ، ونزلنا إلى الوادى جميعا فازداد الخير . المخاوف الجديدة لا اجد لها حلا عندى .

قال الصوت :

– لانك لم تعمل كما امرتك . الم او بخك من قبل ؟!

وقبل ان يدرك العملاق ما تعنيه هذه الاشارة ، كان الباب قد اغلق !!

وقف امام جماعته التى لم تعد حاشدة ، بوجه باسر حزين ، حدقت فيه العيون بكابة ، بادلهم نظرات تائهة ، وهو موقن انه إذا لم يعثر على حل قريب يعيد الى الوادى وحدته وتماسكه ، فانه لا مناص ، يسلم البقية منهم الى مصير مجهـــول بين الجماعات الكثيرة التى انتحت كل منها وجهة خاصة بها . وتامل بعجب وحزن كيف ان وادى الجفاف اتسع لهم جميعا ، وحافظ على وحدتهم ، واستطاعوا فى ظل الحرمان أن يقاوموا الفناء ، وكيف انهم الآن ينعمون بالخير الوفير سرا وعلانية ، ومع هــذا لا تجد بينهم نفسا راضية ؟ ومع اعتقاده القوى بان الربيع مخلوق زائف ، وان حديثه عن الكامل وعودته مجرد اكذوبة جميلة ، فانه بدا يهرب الى عالم الاوهام ، حتى اصبح يخشى ان تكون مزاعم الـــربيع حقيقية .

وحين افاق العملاق الى نفسه عجب كيف تلعب به الظنون ، ولامها على تخبطها الذى سيجعله اكثر استحقاقا للوم من هؤلاء القوم الذين لايزالون يثقون فى انه قادر على اكتشاف الصواب ، ومخاطبة الصوت العظيم ، بل إنه مستحق لتوبيخ اخر لابد انه سيلاقيه حين يظهر النجم الأبرق فى العام القادم .

وحركت فيه كلمة « التوبيخ » شجنا ، فقد سمعها منذ ساعة ، وها هى تعبر بخاطره ، ومن قبل وبخه الصوت العظيم قائلا : « يا للعقل الراكد » فهل هى المفتاح الذى يبحث عنه ؟ ان العقل لم يعمل حتى الآن ، وطاعة الصوت ليست معاندة لاعمال العقل ، والتانيب على العقل الراكد اقترن بالمستنقع الراكد ، وكما اجرينا النهر ، علينا ان نجرى العقل !!

وعاد يلقى نظرة حائرة على الوادى والجماعات المنتشرة فى انحائه ، ويتساءل اى عقل باستطاعته ان يجمع هؤلاء من جديد ؟ اتراه تاخر فى ادراك ما يجب عمله؟ وراودته فكرة جريئة : ان يطرق باب الكهف ويلتمس الدخول ، فهناك تتجلى حقائق الأشياء ، ولكن : كيف الوصول ؟ والكهف فى مكان حصين بين الارض والسماء . وفكر مرة اخرى ان يستدير من حول الجبل ويبحث عن مدخل اخر . وإذ يثق فى جسارته على اقتحام المجهول والاستهانة بالخطر ، فانه لا يثق فى امتداد الزمن بحيث يتسع لدورة كاملة بحثا عن مدخل اخر للكهف .

وقرر ان يعمل عقله فى اتجاه اخر ، يبحث عن مادة تعطى النبات والحيوان قوة ، لا تغلق دورة الحياة ، ولا تثير مخاوف المتطهرين . اقام فريق عمل ، وبدأ التجريب ، وراح يصهر أشياء ويطحن اخرى ، ويستخلص سوائل ويمزج اخرى حتى حصل على المركب الكيميائي المطلوب واكدت التجارب الاولى نجاحه الواضح ، فتوقف استخدام الفضلات ، ولم تفقد الثمار نضرتها او طعمها .

استبشرت جماعات شتى بالاختراع الجديد ، ولكن الفرح سرعان ما تبدد ، فالخلافات القديمة ، حتى بعد زوال اسبابها صارت كالعقائد الراسخة ، واصبحت تاريخا له رواة وشراح . ثم حدثت فى الوادى أمور لم تكن مالوفة فيه من قبل ، فتورم وجه غلام ، وقيل ان كلبا اصيب بسعار مفاجيء ، وان بقرة نطحت رجلا فاردته ، وسرت شائعة بان امراة هجرت بيت الزوجية ولم يعثر لها على اثر . وقد حملت جميعها على الاختراع الجديد .

قرر العملاق أن يتصدى للحمـــلة المغرضة ، فالف لجنة لتقصى الحقائق ، وعلى الفور توقف الناس عن التقاط الثمار حتى تعلن اللجنة نتائج بحثها ، غير ان اللجنة اخذت تنعقد وتنفض مرات ومرات ، وتسربت تصاريح متناقضة قيل انها من مصادر سرية موثوقة منها ، وراى العملاق ان الانتظار يؤدى الى البلبلة فاجتمع باللجنة يحثها على اعلان رايها ، فقيل له : هذا تدخل فى حرية البحث . وتشددت اللجنة لتؤكد استقلالها ، فاعلنت ان المركب الكيميائي مسئول نسبيا عن الظواهر الجديدة ، ونصحت بعدم استخدامه إلى حين ..

عاد العملاق يفكر ويعمل عقله ، ولكنه لم يجد حوله احدا يساعده على تحويل افكاره الى عمل . وهنا ارتفع صوت الربيع من جديد يؤكد ان انتظار عودة الكامل هو الممكن الوحيد . ولم يعد اهل الوادى – وقد ملوا كل شيء – يجدون فى انفسهم حماسة للمشاركة فى خلاف سيحسمه الزمن الآتى .

ولم يظهر النجم الابرق . ظهر شخص لم يره احد من قبل ، ولم يفصح من يكون ، مسح الوادى بنظرة متانية ، عجب لرائحة العفن المنتشرة ، تجول بحرية بين طرقاته فلم يصادف معترضا او سائلا . كان الصمت يكسو الشوارع ويقبع فى البيوت ، والناس والحيوان قد اخلدوا للسكون وكانهم ديدان قابعة داخل شرانقها ، حاول ان يستثيرهم بالنداء فلم يسمع غير الصدى ، حرك بعضهم فاذا هم خشب مسندة ، إذا تحركت تساقطت .

مضى القادم إلى النهر ، اطلق مياهه الحبيسة تجاه الوادى حتى غمرته ، بدات شخوص كانما تحاول ان تتحرك ، لكنه قال فى نفسه : اى خير يرتجي من هؤلاء ؟ ذهب الى معمل التجارب ، نثر فوق الماء كمية هائلة من مسحوق ابيض ناعم ، حول الماء إلى ثلج ، غمر الأرض والشجر والبشر .

قبل ان يدخل العملاق فى حالة التجمد ، حاول ان يتحرك ، لكنه احس بالعجز المطلق ، وكل ما قدر عليه دمعة حزينة تحجرت فوق شفته ، وهو يهمس باخر كلماته : هذا ما كنت اتوقعه .

اما الربيع فانه قال وهو يرجف رجفته الاخيرة : هذا مالم اكن اتوقعه .

اما القادم من بعيد ، فقد خطف بصره بريق الثلج ونعومة الالوان المغمورة فيه ، وسيطرة الصمت وجمود الحركة . قال بصوت لا أثر فيه للندم : الآن .. حضور دائم ، وطهارة لا مجال للطعن فيها . ولم يعد احد يسال عن شيء .

محمد حسن عبد الله
جامعة الكويت

افتحي الأبواب للآتي

شعر: حســن توفيــق

ها هو البحر امامي ياصديقـه
يا له من بحر سحر تتعـالى
فاعينيني على الملح ... فإنني
واغمري الأفق بإشراقـة صدق

يجرف الشاطيء والروح غريقه
فيه موجات من العمق طليقـه
صارخ الجرح واشواقي عميقـه
كي احس الامن يدنو والحقيقه

●●

يلعب البحر باعصابي طويلا
الصخور السود تمتد امـامي
إنه الماضي جدار من عذاب
فمتىحائط مبكانا نجـافيه

ويناديني لالقى المستحيــلا
وشعاع يكشف الوهم الجميـلا
جاثم يخفي عنالقلب السبيـلا
ـه لنرعى طفلنا الآتي النبيلا ؟

●●

يا حياتي أنت أحلى امنياتي
اشتهي وصلك حتى يتـلاشى
غير أني اشهد الجدران تعلو
فاناجيك طويلا في خيـالي

بربيــع دائم الخضـــرة آت
كل قيد بيننـا في لحظـات
باسطات ظلهــا في نظراتي
والاقيك هنـا في عمق ذاتي

●●

يسكب الموج أغانيه الندية
فإذا بالروح تهفو لانعتـاق
وإذاالقلب ينادي صارخـا
ام ترى تبقى حبيبين ونجتـا

في فم الرمل بشطـآن قصيـه
وانطلاق في سماوات بهيــه
هل ترى القاك وهمـا في يديه
زكطيفين مدى الدنيـا الشقيه

●●

هذه الدنيـا قلوب مغلقــه
كـل قلب فيــه أسرار تغطت
النفايـــات تحلت وازدهت
وانا في الليل اصحــو باكيا

ووجــوه لوجـوه مغرقـــه
بمــلاءات الخـداع المطبقـه
والصداقـــات ظـلال مطرقـه
ـ ياحياتي ـ ناعيا موت الثقـه

●●

لا تقولي : هل تظل العمر تبكي
فعلى الأرض اكاذيب ترامت
وعلى الأرض وحوش اطبقت
ومن الأفق اطلت دمدمـــات

إن روحي مزقتهـــا ريح شكى
وارتوت منها الأناشيد بصك
حولنا واستبدلت حقـــا بإفك
لا نراهــا إنمـــا تــاتي لفتك

●●

اي ارض سوف تعطينا الامانا
اسالي الناس لمـاذا انكروا
ويحهم كم انبتوا زهرالخطايا
ويحهم لم يعرفوا حب سواهم

فنعيش العمــر دفئــا وحنانا
كل حب شع في النفس .. فكانا
واقاموا للرزايـا مهرجـــانا
وارتضوا ان يمتطوا الزيف حصانا

●●

آه يا زهرة امـــالي النضيره
لم ازل احيـــا لإشراقة صدق
فارفعي الكف الى الله ابتهالا
وافتحي الأبواب للآتي .. وغني

انني اطلقت اشواقي الكسيره
يحتويها وجهك الصافي السريره
ان يمس الخير دنيـــانا الغريره
واسلمي لي ـ كل حين ـ يا اثيره



قصة العطور منذ أقدم العصور

● جاءت من الشرق فطالب الرجال في البرلمان الانجليزي بحمايتهم من إغرائها!

بقلم: عزالدين فـــراج

كان المصريون القدماء اول من عرف العطر ومواد التجميل ، لقد اعجبوا بها اعجابا عظيما رفعها الى مرتبة الفنون الجميلة . وكان من ولعهم بها انها تغلغلت فى حياتهم واصبحت تقليداً عاديا في زياراتهم واعيادهم وحفلاتهم .

لقد وجد في بعض اوراق البردي التي يرجع تاريخها الى ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد ،

نقوش تثبت انهم كانوا يضعون على شعورهم قطعا من الدهن المعطر ، على شكل اقماع صغيرة ، تنبعث منها روائح عطرة تعطر الجو المحيط بها .

ولقد اثبتت الاواني المرمرية التي وجدت في مقابر توت عنخ امون معرفة المصريين القدماء باسرار صناعة العطر ومواد التجميل ، فعند بحث هذه الاوانى وفتحها

وجد ان محتوياتهـا قد احتفظت باريجها العطر ، بالرغم من مرور هذه الحقبة الطويلة من الزمان ، الامر الذي قد تحار فيه كيمياء القرن العشرين .

ولم ينفرد المصريون القدماء وحدهم بحب العطور والاهتمام بها ، بل جاء من بعدهم العرب المسلمون يستعملون العطور وكان الاسلام قد دعا الى النظافة خصوصا عند الذهاب الى المسجد قائلا :

خذوا زينتكم عن كل مسجد . ولم يمنع علماء المسلمين التطيب بالروائح العطرة ، ومن هنا لم يجد العرب ما يحرم هذه العطور . وكان هذا دافعا الى اهتمام العرب بصناعة العطور .

الشرق واسرار الزينة

وعندما عاد الصليبيون الى بلادهم حملوا الى زوجاتهم العطور واسرار الزينة من الشرق . وسرعان مالاقت هذه العطور انتشاراً واسعاً . وعمد الاوربيون شيئا فشيئا ، بعد الحروب الصليبية ، الى تحضير العطور بايديهم وظلوا يأخذون من الشرق موادها الاولى . وما ان اقبل القرن الخامس عشر حتى كانت صناعة العطور قد انتشرت في فرنسا وايطاليا وغيرهما . وقد اشتهر الايطاليون وقتئذ بتحضير اجود انواع العطور واخذ الملوك وقتئذ يتسابقون الى استخدامها في قصورهم ، وكان ملوك فرنسا دائما يجيئون بواحد او اكثر من صناع العطر لادارة مصنع العطور في القصر الملكي . وفي القرن السابع عشر كانت المراة الفرنسية تهتم اهتماما كبيرا باستعمال العطور ، وكثيرا ما كانت تسكب على نفسها زجاجـــات كاملـــة من هذه العطور .

وما إن جاء القرن الثامن عشر حتى عم استخدام العطر في انجلترا ، مما اضطر الرجال في بريطانيا الى مطالبة البرلمان بتشريع يحميهم من اغراء تلك العطور التي كانت تملأ ملابس النساء وشعورهن وقتئذ وقد اصدر البرلمان الانجليزي بالفعل في عام ١٧٧٠ قانونا يحرم استعمال العطر ومواد التطرية والتجميل التى من شانها اخفاء العيوب البدنية .

اما الآن وقد تغير الموقف تغيرا كبيرا ، اصبحت العطور ومواد التجميل ضرورة من ضرورات المراة العصرية .

وكانت معظم العطور الى النصف الاخير من القرن التاسع عشر باهظة الثمن لانها كانت تستخرج كلها من مصادرها الطبيعية ، ويكفي لادراك ذلك ان نعلم ان الكيلو جرام من زيت الورد لا نحصل عليه إلا بعد تقطير ثلاثة آلاف كيلو جرام من بتلات الورد ، واننا نحتاج الى عشرين طنا من زهر البنفسج لانتاج اوقية واحدة من خلاصة عطر البنفسج الصافي . ولكن حدث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن تدخلت الكيمياء العضوية الصناعية واصبح في مقدور الكيميائي تقليد الكثير من الروائح العطرية الطبيعية فانخفضت اثمانها وتكاليفها واصبحت في متناول الكثيرين من افراد الشعب .

وتكمن المركبات العطرة في مواضع مختلفة من النباتات ، فعطر الورد يكمن في بتلاته ، وعطر النعناع في أوراقه ، وعطر اللوز في بذره ، وعطر الليمون والبرجموت في قشره وثماره ، وعطر القرفة في لحاء نباتها .

الانسان واستغلال الازهار

وجدت الازهار على الارض قبل ان يوجد الانسان ، ووجدت الازهار بالوانها الزاهية الجميلة ، وغددها الزيتية ، ورحيقها لتجذب الحشرات اليها .

ولماذا تجذب الحشرات ؟

لان الحشرات تستطيع عند زيارتها لهذه النباتات ان تنقل حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة ، ومن عضو التذكير الى عضو التانيث ، فتتم بهذا الانتقال عملية التلقيح والاخصاب فتتكون الثمار والبذور ، وهذه

كلمة «عطر» تعني الشذا او العبير . وهذه مبخرة قديمة تتدلى بالسلاسل الرفيعة ، وكان يوضع بها العطر طوال القرن الحادي عشر والثاني عشر .

أكثر النباتات العطرة إنتشارا في العالم : النعناع ، العنز ، واللافندر ، وزهر البرتقال والورد ، والبنفسج .

جدار من العصر الروماني «عليه رسم» لفتاة تقوم بصناعة الزيوت العطرية للنباتات



تحقق بقاء النوع . وجاء الانسان فعرف مواضع هذه الروائح ومواضع عددها ووجودها فاستغلها لنفسه .

أهم المدن المعطرة

في بلاد التيرول يؤخذ نوع من الطحلب النامي على بعض الأشجار ليدخل في صنع طائفة من العطور . وتعد بلغاريا الآن أعظم الأقطار الأوربية انتاجا لزيت الورد حتى أصبحت تسمى بجدارة «حديقة ورد العالم» . وأكثر مناطق بلغاريا انتاجا للورد وزيته العطري « وادي الورد » الذي يقع وسط منطقة تبعد عن مدينة صوفيا بنحو مائتي كيلو متر شرقا .

ويعد زيت الورد من انفس الزيوت النباتية العطرة واغلاها ثمنا لأن الكيلو جرام الواحد منه لا تحصل عليه إلا بعد تقطير ثلاثة آلاف كيلو جرام من الورد .



فتاة تقوم بعملية تقطير العطور في احد مصانع العطور المنتشرة في جنوب فرنسا



هذا الاناء مملوء بزهور اللافندر وعدداتها قبل التقطير . وهو تقريبا يمثل الطريقة المثلى لاستخراج الزيوت الاساسية للعطور

اما مدينة « جراس » الواقعة في جنوب فرنسا والقائمة على منحدر جبل يعلو سطح البحر بمقدار ١٢٠٠ قدم ، فاشتهرت بزيت الياسمين والقرنفل .

ولا هم لهذه المدينة المعطرة سوى زراعة الياسمين وتقطيره ، ومن عادة اهلها المبادرة الى قطف ازهار الياسمين في اللحظة التي يتم فيها اكتمال عطرها ، فيكفي أن تقع اشعة الشمس بعد ذلك لتفقد هذه الازهار ٢٠٪ من زيتها العطري الثمين .

ومن محاسن الطبيعة ان هذه المدينة تشرف على واد طوله ٢٠ ميلا ، تحف به تلال على الجانبين ، فاذا انتصف الليل هب عليها ، من البحر هواء عليل حاملا سحابة مثقلة بماء البحر . وتحت هذه السحابة تغشى الأرض رطوبة طبيعية كالرطوبة التي تكون في البيوت الزجاجية التي تتخذ لتربية النبات والزهر ، فتعين براعم الياسمين على ان تتفتح احسن تفتح في الساعة التي تسبق الفجر ، فاذا ما تبددت السحابة وطلعت الشمس ، رأيت اكوام الياسمين قد قطفت توطئة لنقلها الى ارض المصانع في سرعة فائقة ، لاستخراج ما فيه من زيت .

وصناعة العطور لا تستغني عن زهر الورد والياسمين ، فكل عطر جيد يحوي على قدر من زيت احدى هاتين الزهرتين او من كليهما .

استخراج الزيوت العطرة

استخراج الزيوت العطرة تختلف طرقها باختلاف النباتات وباختلاف الظروف الصناعية والتجارية المحيطة بها . واقدم هذه الطرق طريقة التقطير بالبخار وهي أكثر الطرق استعمالا ، حيث توضع الأزهار مع الماء ليغلى ، فيتصاعد بخاره حاملا معه ابخرة الزيت . وتمر الابخرة بعد ذلك في مكثف يبردها . فتتحول إلى سائل مرة أخرى ويستبقى الزيت والماء في انية حيث يطفو الزيت على السطح ويسهل فصله .

أما المركبات العطرة الكامنة في قشور ثمار البرجموت والليمون ، فتحضر بوضع قشور الثمار في اكياس من القماش ، ثم الضغط عليها ضغطا اليا ، فينفذ الزيت منها حيث يجمع في أوعية خاصة . وتدخل الزيوت العطرة لبعض الأزهار او تتلف بوساطة البخار ، فتوضع مثل هذه الأزهار في شحم مصهور حار ليمتص الزيوت . وتعامل الورود وازهار اخرى كثيرة بهذه الطريقة التي تسمى التطرية . وعطر الياسمين حساس الى درجة ان حرارة التطرية قد تتلفه . وللحصول عليه تستخدم طريقة اخترعت في فرنسا وتسمى تقع الازهار . وفي هذه الطريقة توضع الأزهار بين طبقات من الشحم الحيواني النقي ، ويستخرج العطر منها كما في عملية التطرية ، ولكن ببط اكثر . وفي كلتا الطريقتين من طرق الاستخراج ينفصل الزيت عن الشحم بالمذيبات الكيميائية والناتج النهائي يسمى زيت الأزهار .

د . عز الدين فراج

لماذا أهملنا جمع المخطوطات العربية المشرّدة في أوروبا ؟

بقلم : وجيه الشربجي

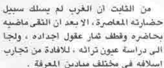
من الثابت ان الغرب لم يسلك سبيل حضارته المعاصرة، الا بعد ان التقى ماضيه بحاضره وقطف ثمار عقول اجداده ، ولجا الى دراسة عيون تراثه ، للافادة من تجارب اسلافه فى مختلف ميادين المعرفة .

وما احوجنا فى يقظتنا الراهنة ، الى السعي لاحياء تراثنا ، بتحقيقه تحقيقا علمياً وافيا ، فنشر التراث العربى المخطوط يفيد العرب جميعا فى بناء حضارتهم ومستقبلهم ، ويدعو الشباب العربى للالتصاق بهموم امته وقضاياها المصيرية .

ولكن الخطوة الأولى والهامة التى ينبغى ان تسبق التحقيق والنشر ، هى قيام المؤسسات الثقافية العربية المهتمة بشؤون التراث بحصر جميع المخطوطات العربية الثمينة المنتشرة فى ارجاء العالم . فالاحاطة بكافة كتب التراث العربى وبخاصة العلمية منها ، باتت ضرورة قومية ملحة ، اذ لا يجوز مطلقا ان يبقى العرب الى اليوم لا يعرفون مالديهم من كنوز ثقافية وعلمية ، صاغها الانسان العربى خلال عصور الازدهار .

والمشكلة الاساسية الآن تكمن فى عدم وجود فهارس تضم المخطوطات العربية الموجودة فى البلاد العربية والاجنبية ، فدار الكتب الظاهرية بدمشق التى تحتفظ باكثر من عشرة الاف مخطوط نادر لم تصدر حتى الآن فهارس لجميع مخطوطاتها ، والمكتبات العامة والخاصة فى بغداد والقيروان وحلب وبصرى وغيرها ، لا نعلم عن مخطوطاتها الا القليل بسبب عدم تبويبها وتعدادها !

ولا جدال بان فهرسة كتب التراث العربى وتصنيفها حسب اغراضها وابحاثها له فوائد جمة اهمها : تمكين الباحثين والمستشرقين من الاطلاع على التراث المخطوط لاختيار الصالح والمفيد لاعادة نشره من جديد اضافة الى ان احصاء هذه المخطوطات وتوثيقها يحول دون اختلاسها وتسربها .



الصفحة الرئيسية من المخطوط الهام « سير أعلام النبلاء » للعلامة شمس الدين الذهبي

وامام القائمين على منظمات ومعاهد التراث العربى اكثر من مجال لتحقيق هذا المطلب ، والاحاطة بجميع المخطوطات ، وذلك بارسال البعثات والوفود الثقافية الى مكتبات البلاد الغربية لتصنيف كتب التراث العربى القابعة فى خزائنها ، وتشكيل لجان من الباحثين العرب وتكليفها باعداد فهارس للمخطوطات المتواجدة فى مكتبات العالم العربى ، وانشاء تعاون ثقافى بين الهيئات العلمية العربية والمستشرقين بقصد التنسيق والمتابعة والمراسلة .

ومن البديهى ان كل عمل يهدف الى ابراز ما اضافه العرب الى خزان الحضارة الانسانية ، يمثل قدرة الامة العربية على الصمود وتاكيد الذات ازاء عواصف الغزو ومحاولات الاقتلاع من الجذور التى يتعرض لها العرب طوال تاريخهم .

وإن تمسكنا بتراثنا وتصميمنا على الالتزام باصوله ، يثبت للاجيال الجديدة التى تعيش قلقها العميق الى درجة التمزق ان التراث الذى قدمه الاسلاف عبر مسيرتهم الحضارية لا يزال حي يرزق ، ويبعد عن هذه الاجيال احساسها بالانطفاء ويؤكد لها وقوفها على ارضية صلبة ، لا يزعزعها التهديد والتامر الفكرى والتاريخى .

مخطوطات مشردة

وفى اطار التعريف بمكامن المخطوطات العربية المشردة فى متاحف ومعاهد المدن الاجنبية ، نقدم للقارىء العربى وصفا مكثفا لطائفة من المخطوطات العربية المحفوظة فى بولونيا (بولندا) .

تحتفظ عدة مدن بولونية الى جانب العاصمة وارسو ، بكتب قيمة من التراث العربى ، يعود تاريخ معظمها الى القرنين العاشر والثانى عشر الهجرى ، والقسم الكبير من هذه المخطوطات يوجد فى مدينة (كراكوف) عاصمة بولونيا فى القرون الوسطى ، التى تاسست بها اقدم جامعة فى اوربا ، عام ١٣٦٤ م ، وتفتخر جامعة (ياجللونسكي) بان (كوبرنيك) عالم الفلك الشهير كان من اشهر طلابها .

وتضم مدينة (فروتسلاف) فى مكتبتها العريقة والمشهورة بثروتها العلمية الضخمة ، مخطوطات عربية نفيسة ، تبحث فى الآداب والتاريخ ، كان قد اشار اليها (بروكلمان) عام ١٩٠٠ م فى موسوعته بعد ان اصدر فهرسا بها ، وقام « ج ريختير » فى سنة ١٩٣٣ بدراسة مستفيضة لكافة كتب التراث العربى

المحفوظة فى مدينة (بريسلاو) ، ولكن اغلب المخطوطات الشرقية والغربية التى كانت محفوظة فى هذه المدينة فقدت خلال الحرب العالمية الثانيـــة ، إثـر احتراق معالمها .

وفى عام ١٩٥٩ عمد معهد المستشرقين فى اكاديمية العلوم البولونية فى وارســو الى جمع المخطوطات العربية المبعثرة فى المتاحف والمعاهد البولونية ، وكلف فئة من المستشرقين بتوثيقها واعداد فهرس عام يشمل كل المخطوطات الشرقية الموجودة فى بولونيا ، بما فيها العربية والفارسية والتتريه والتركية بغية تصنيفها حسب اللغة والغرض والبحث .

وقد اصدر المستشرق البولوني (ف . كوبياك) الاستاذ فى معهد اللغات الشرقية بجامعة كراكوف ، كشفا ذكر فيه اسماء وعناوين طائفة كبيرة من كتب التراث العربى الموجودة فى بولونيا ، وركز اهتمامه بصورة خاصة على المخطوطات العربية ذات القيمة العلمية والتاريخية ، ووعد باصدار قائمة ثانية تحتوى على جميع المخطوطات والرسائل التى كتبها بولونديون والمتعلقة بتاريخ الشرق العربى .



ابحاث متنوعة

وابحاث هذه المخطوطات متنوعـــة الاغراض ، فيها كتب تعالج المواضــيع التاريخية والفقهية والتفسير ، وقسم آخر يتناول علوم الجغرافيا والفلك واللغـــة والشعر والنحو ، وجزء يسير تدور ابحاثه حول القصص الشعبية وتراجم الرجال والانساب .

ونشير الى مجموعة من المخطوطات العربية الموجودة فى الاكاديميات والمعاهد البولونية .

● فى معهد اللغات الشرقية بجامعة كراكوفية توجد هذه المخطوطات :

ـ تبصرة الحكام فى اصول الاقضية ومناهج الاحكام .. لابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (النسخة مكتوبة فى المدينة المنورة عام ٨٢٤ هـ منقولة عن مخطوطة بيد المؤلف) .

ـ كتاب طبقات المشايخ لابى العباس احمد الدرجيني (منقولة عن نسخة من سنة ١١٨٠ هـ) .

ـ قسم عن اسبانية وصقلية (لابن سعيد الاندلسى) بدون تاريخ .



مدينة « فروتسلاف » التي تضم مكتبتها العتيقة اضخم مجموعة من المخطوطات الشرقية

ـ كتاب عجب الاعجاب المنتخب من احوال بني مزاب .. لســـيد بسمعين مدبدحي .

ـ بيان التواريخ .. وهو قسم من تاريخ بني مزاب (لمؤلف مجهول) النسخة بخط مستشرق بولوني .

ـ كتاب بلا عنوان فى التفسير .. لابي الخير محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي (النسخة بدون تاريخ) .

ـ كتاب السير لابي العباس احمد بن ابي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي (النسخة من عام ١١١٩ هـ كتبها ابو بكر ابن ابي بكر) .

● وفى اكاديمية العلوم البولونية توجد المخطوطات التالية :

مدينة « كراكوف » عاصمة بولونيا فى القرون الوسطى ، والتى تحتفظ باكبر ثروة من المخطوطات العربية فى اوربا

ـ شرح فى المصلي .. لابراهيم بن محمد ابن ابراهيم الحلبي وهو شرح كتاب منية المصلى وغنية المتبدى .. لسديد الدين الكشغري (تاريخ النسخة رمضان سنة ١٠٤٠ هـ) .

ـ كتاب شرح الشاطبية .. لعلي بن عثمان بن محمد بن احمد بن الناصح وهو شرح حرز الاماني ووجه التهاني .. لابى القاسم الشاطبى (النسخة بدون تاريخ) .

● اما فى المتحف الوطنى فى بولونيا فيوجد به :

ـ تاريخ الخميس فى احوال انفس النفيس لحسين بن محمد بن حسن الديار بكرى .

ـ كتاب انساب العرب .. لسلمة بن مسلم الوبي (العوتبي) (تاريخ النسخة شعبان سنة ١٢٥٣ نقلها سعيد بن ناسب وسليمان بن سعيد مبارك) .

وغير ذلك من المخطوطات العربية الهامة التى تؤكد ثراء المكتبات فى هذا المكان بالتراث العربى الذى يحتاج منا إلى جهود كبيرة لجمع شمله من بلاد عديدة !

المراجـع :

ـ بحث حول المخطوطات الشرقيـــة .. للمستشرق البولوني ف كوبياك .

ـ نوادر المخطوطات العربية فى العالم .. د . جمال باسين (١٩٥٩) .

ـ حوار دار بين الكاتب والبروفسور البولوني يانوشن يوسلاف اثناء وجوده فى معهد اللغات الشرقية فى كراكوف عام ١٩٨١ .

حوار مع
مدير التليفزيون القطري

● من أجل رفع مستوى كتابة النصوص وضعنا كل التسهيلات أمام الأدباء والفنانين

●● برامجنا السياسية تهتم بخلق الشعور السياسي والاجتماعي للمشاهد

●●● لا يمكننا الاستغناء عن شراء البرامج والتمثيليات والمسلسلات لأن إنتاجنا لا يكفي !

●●●● مطلوب مسرحيات عربية جيدة .. ولازلنا نضع الحوافز لتشجيع الكتاب المحليين

أجرى الحوار : يوسف الحرمي



مانع الهاجري مدير التليفزيون القطرى



مشهد من تمثيلية قطرية جديدة ، تم تصويرها داخل استوديوهات التليفزيون القطرى .



الأجهزة الحديثة داخل التليفزيون القطرى والتى حلت مكان الأجهزة القديمة وفق خطة مدروسة

ماذا تعرف عن التليفزيون القطرى ؟ .. ما هى الوسائل التقنية الحديثة التى يستعين بها والأساليب العلمية التى يتبعها ؟ .. وما هو دوره فى تعميق القيم الانسانية فى اعماق المواطن من أجل الارتقاء به ثقافيا وفكريا ؟ وما مدى اهتمامه بالبرامج الأدبية والعلمية وبرامج الأطفال المختلفة ؟ .. والى اى حد يقوم التعاون بينه وبين تليفزيونات دول الخليج فى المجالات المختلفة ؟ ..

حول تلك الأسئلة وغيرها كان هذا اللقاء مع مدير التليفزيون القطرى : مانع الهاجرى .



مشهدان من داخل استديوهات التليفزيون القطرى المزود باحدث اجهزة العصر ، التى توضع فى خدمة انتاج اهم المسلسلات التاريخية الاسلامية والمسلسلات المرتبطة بالتراث الشعبى

● فى بداية الحديث ، هل لك ان تحدثنا عن المبـــادىء التى تعتمدهـــا ادارة التليفزيون في تنسيق برامجها ؟

ـ يعتمد التليفزيون فى تنسيق البرامج التى يضعها على مخططات قائمـة على اسس ثابتة تتدرج كالتالى :

(١) يطلب من معدي البرامج المحلية ان يتقدموا بافكار جديدة للدورة المقبلة .

(٢) تقوم مراقبة العلاقات البرامجية ومراقبة المكتبات باعداد قوائم بالبرامج والمسلسلات والافلام العربية والاجنبية المتوفرة فى المكتبات للاختيار منها .

(٣) تجتمع لجنة البرامج لمناقشة الافكار والبرامج التى يمكن وضعها على المخطط الجديد .

(٤) يرفع تقرير بما تمت مناقشته فى لجنة البرامج (التى تتالف من المراقبات المختصة بالبرامج) الى لجنة التخطيط لوضعها على المخطط ولاقرارها .

(٥) يرفع المخطط مع ملخص للمواد الموضوعة عليه الى الوزارة لاعتماده او

لاجراء اية تعديلات عليه ، ثم يقر نهائيا اذا كانت هناك اية تعديلات .

● لو شاهدنا اجهزة التليفزيونات الأوروبية لوجدنا المنوعات تاخذ زمنا طويلا فى ساعات البث ، بينما نشعر ان برامج التليفزيونات العربية تفتقر الى مثل هذه الحيوية لماذا ؟

– يقوم تليفزيون قطر بعرض منوعات غنائية متفرقة من البرامج طوال يوم البث ، وهناك مجموعة من الاغانى تبث يوميا بعد النشرة العربية بالاضافة الى سهرة منوعات وسط الأسبوع ، وسهرة شعبية يوم الخميس من كل اسبوع واصوات خليجية يوم الجمعة ، وكذلك فان بعض البرامج المحلية لا تخلو من المنوعات الغنائية .

● وماذا عن مدى اهتمامكم بالأعمال الفنية والمسرحية المحلية بشكل خاص والعربية والخليجية بشكل عام ؟

– يولي التليفزيون اهتماما خاصا بالأعمال الفنية والمسرحية المحلية ، فهناك اجتماعات تعقد بين المسئولين فى التليفزيون وبين الكتاب والفنانين المحليين وكذلك فان التليفزيون قد وضع الحوافز لرفع مستوى كتابة النصوص ويقدم التسهيلات الفنية للفرق المسرحية المحلية ويسجل المسرحيات التى ينتجونها ويشتريها منهم مع احتفاظهم بحق توزيعها واما الاعمال المسرحية الخليجية والعربية فان التليفزيون يرحب بعرض الجيد منها ونحن دائما على اتصال مع المؤسسات التى تنتج الأعمال الفنية والمسرحية للحصول على الأفضل .

● وماذا عن اهتمامكم ببرامج الاطفال ؟

– يولى التليفزيون اهمية خاصة لبرامج الاطفال ، وقد قدم التليفزيون برامج عديدة للطفل اهمها : مسلسل افتح يا سمسم وعرائس الاطفال ومسلسل مدبلج باللغة العربية ومسلسل اسبوعى ملاعب المضمار وافلام الاطفال – ومسلسل المنزل الصغير بالانجليزية بالاضافة الى الرسوم المتحركة والمنوعات الغنائية للاطفال وبرنامج هيا يا اطفال ، والمسلم الصغير ، واطفالنا والعيد وهذه البرامج انتجت محليا .

● وماذا عن مكتبة التليفزيون ، وما اهم محتويات المكتبة ، وماذا عن اهتمامكم بتطويرها بصورة مستمرة ؟ .

– فى التليفزيون مكتبات ضخمة تحتوي على الافلام واشرطة الفيديو وهى كما يلي :

(١) مكتبة الفيديو وتحتوي على حوالى خمسة وعشرين الف شريط من مقاس ٢ انش وخمسة الاف شريط من مقاس انش واحد ، وعلى تلك الاشرطة مواد تغطى جميع انواع البرامج وكل هذه الاشرطة وما هو مسجل عليها يخص التليفزيون .

(٢) مكتبة الافلام ، وتحتوي على افلام عربية ملك التليفزيون وافلام وثائقية عن دولة قطر ، بالاضافة الى افلام اخبارية محفوظة فى مكتبة الاخبار والافلام التى تصور البرامج المحلية ، اما الافلام الاخرى التى ترد الى التليفزيون فانها مستاجرة وتعاد للشركات بعد عرضها .

● ما مدى اهتمامكم ببرامج التراث الشعبى ؟

– يهتم التليفزيون ببث برامج التراث الشعبى وذلك من خلال برامج متعددة اهمها : برنامج مجلس الشعراء ، وركن البادية ومن الأدب والفن الشعبى بالاضافة الى منوعات غنائية وبرنامج قطر وفنونها الشعبية والجلسة الشعبية وهذه البرامج تصور انماطا من الأدب الشعبى والشعر والتراث الفني الشعبى . ويحاول التليفزيون من خلال تلك البرامج احياء ذلك الفن وتقديمه فى قالب شيق للمشاهدين . كما ان التليفزيون لا يهتم بالتراث الفنى القطرى فحسب بل يتعدى ذلك الى تاريخ الفن الخليجى ضمن برنامج « خليج الاغانى » الذى قام باعداده وتقديمه الزميل علي عبد الله خليفة .

● وماذا عن اهتمامكم بالندوات الدينية والحضارة الإسلامية ؟

– تحظى البرامج الدينية فى التليفزيون باهتمام كبير ، وتجد دائما على مخطط الدورات المتتالية الندوات الدينية والبرامج الاسلامية تتحدث عن الحضارة الاسلامية وتبث عبر شاشة التليفزيون واهم هذه البرامج :

(١) برنامج « الدين والحياة » – من انتاج تليفزيون قطر وهو من ٢٦ حلقة وهو عبارة عن ندوات دينية .

(٢) برنامج العلم والايمان ويقع فى ٣٠ حلقة وقد عرضنا جزءا منه وسوف نستلم تتمة ذلك البرنامج .

(٣) حلقات من احاديث الشيخ محمد متولى الشعراوى تبث بصورة مستمرة .

(٤) ندوات دينية للشيخ محمد الغزالي.

(٥) برنامج هدى الاسلام اعداد وتقديم الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي .

(٦) يعرض التليفزيون من القناة «٣٧» حلقات عن انشطة المسلمين المهاجرين الى الولايات المتحدة وكندا وحرصهم على نشر الحضارة الاسلامية والتمسك بامور دينهم وذلك لاطلاع المشاهدين والاجانب على تعاليم ديننا الحنيف . والحلقات باللغة الانكليزية ، هذا ويسعى التليفزيون دائما الى تنويع مصادر البرامج الدينية والى طرق مواضيع تعود على المشاهد بالفائدة وتهدف الى تبصيره بامور الدين ، وكذلك فان التليفزيون يعنى ببث البرامج الدينية المحلية والمسلسلات الاسلامية التاريخية .

● وماذا عن اهتمامكم بالبرامج السياسية والاجتماعية ، وهل لديكم اهتمام بارز لمثل هذه البرامج ؟

– يولى التليفزيون البرامج السياسية اهتماما بالغا .. ويسلط الاضواء يوميا على ما يجري على الساحة المحلية والخليجية والعالمية من احداث كي يكون المشاهد على اتصال دائم بما يدور حوله ... وذلك يغذي الفكر ... ويدفع المشاهد الى تفهم الأحداث وعلاقاتها .. والمواقف والايدولوجيات . هنالك برنامج (فى دائرة الضوء) وتتسلط الاضواء خلاله على اهم اخبار النشرة مع التحليل الجيد المدروس ليتمكن المشاهد من مواكبة الاحداث ، وهنالك برنامج (قضايا واراء) الذي يشرح تداخلات الأحداث وردة الفعل واراء المحللين تجاه اهم الأحداث .. وهذا البرنامج يعطي المشاهد دفعة من المعرفة والثقافة العامة ، ويبسط الاحداث للمشاهد . وبالاضافة الى برنامج اقوال الصحف ، الذي يتناول اهم الاحداث التي تناولتها الصحف .. هنالك برنامج (اضواء على الأحداث) وهو برنامج اسبوعي يركز على قضية بعينها باسهاب ، ويعود بالمشاهد الى جذور القضية وتطوراتها من كافة الجوانب .

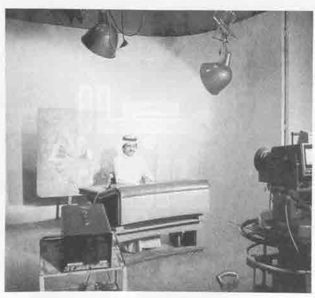
هذا بالاضافة الى برامج المناسبات وهي تعني بخلق شعور سياسي اجتماعي للمشاهد كالقضايا الهامة المطروحة على الجامعة العربية او الأمم المتحدة والأعياد الوطنية للدول العربية واضواء على المؤتمرات واللقاءات والاجتماعات الداخلية والخارجية .

بالاضافة الى ما يقدم على القناة الثانية مثل : –

1. Press Round up
2. News in Focus
3. Mid - Week

● مما لا شك فيه انكم تعتمدون على اكبر نسبة من شراء الأفلام والمسلسلات والتمثيليات من الخارج ، الى متى سيبقى اعتمادكم على ذلك ...
وكيف يمكن الاستغناء عن ذلك ؟

– من سياسة تليفزيون قطر ان ننوع فى برامجنا ففي كل دورة ترى مسلسلات من بلدان عربية مختلفة خليجية وسورية وباللهجة البدوية الاردنية ، وجزائرية وتونسية بالاضافة الى المسلسلات المصرية اما عن الاستغناء عن شراء البرامج



فى كل يوم ، ترى نشرة للأخبار متكاملة ، تعتدي بكل المقاييس من اهم النشرات الاخبارية فى العالم العربى ، بما تتضمنه من تغطية كاملة لاهم احداث الساحة المحلية والخليجية والعالمية . وهذا إضافة إلى برامج تحليل اهم الاحداث وبرنامج اقوال الصحف

والتمثيليات والمسلسلات فهذا لن يكون قبل مرور وقت طويل جداً . لان اكبر تليفزيونات العالم لا يمكن ان تكتفى بما تنتجه من البرامج والمسلسلات لتملأ به مخططاتها .

● وماذا عن البرامج الأدبية وما مدى اهتمامكم بالأدب العربي والادباء بشكل عام ؟

ـ بالنسبة للندوات الادبية يقوم التليفزيون بتسجيل كل الانشطة الأدبية والثقافية والمواسم الثقافية من خلال توجيه الدعوات لكبار الادباء والكتاب والشعراء في الدول الخليجية والدول العربية الأخرى الذين يتواجدون في البلاد لتسجيل ندوات لهم ، وكذلك يعرض التليفزيون المجلة الادبية التى تطلع المشاهدين على الجديد فى عالم الأدب وما يصدر من كتب ادبية وتناقش الموضوعات الأدبية من خلال استضافة اديب أو كاتب .

● بعض المناطق والقرى في منطقة الشمال تشكو من عدم وصول البث التلفزيوني اليها ... هل لديكم النية في تقوية الارسال بحيث يصل الى كل انحاء الدولة ؟

ـ ان بعض الأماكن في منطقة الشمال وبعض المناطق في دولة قطر لا يصلها البث التليفزيونى بصورة منتظمة وذلك للاسباب الاتية : ـ

١ ـ المستوى الأرضي لهذه المناطق نازلة عن سطح البحر وللحصول على الارسال في هذه المناطق يجب وضع الهوائي في ارتفاع كبير جداً وهذا صعب .

٢ ـ عدم توجيه الهوائي التوجيه السليم فمن المفروض ان يتوجه الهوائي الى محطة الارسال وبعض الناس يقوم بتوجيهه الى محطة التليفزيون ، كما تعلمون ان محطة الارسال ليس فى مبنى التليفزيون .

٣ ـ الهوائي لا يتم تركيبه سليماً ، حيث تجد عدم اتصال الواير (الكيبل بالهوائي) ولذا سنقوم في القريب العاجل جداً بتركيب محطات تقوية لتغطية المناطق التي لا تغطيها .

● هل لديكم نية في تطوير او شراء اجهزة حديثة ومتطورة الى التليفزيون ؟

ـ من المعلوم ان العلم الحديث يتطور كل يوم وخاصة في المجال الالكتروني والاجهزة الموجودة حاليا في التلفزيون القطرى من احدث الاجهزة الموجودة فى العالم ، حيث قمنا باستبدال جميع الأجهزة القديمة على فترات حسب خطة معينة ولتكملة هذا المشروع :

(١) سنقوم بتغيير جميع الكاميرات القديمة في الاستديوهات الى الاحداث .

(٢) كما اننا سنقوم بتركيب جهاز خاص لتحويل النظام الامريكي الى النظام الالمانى .

(٣) كما ان هناك مشروعاً لاضافة بعض الاجهزة الموجودة لدينا بسبب الضغط البرامجي .

● هل لكم ان تحدثونا عن مشروع توسيع الاستوديوهات وما اهمية كل واحد من هذه الاستوديوهات ؟

ـ الاستوديوهات الموجودة حاليا تفي بالغرض واما التوسعات فانها تعتمد على خطة الانتاج ومدى تطورها .

● وما مدى اهتمامكم بالبرامج العلمية والفنية والثقافية ؟

ـ يبث التليفزيون في كل دورة عدداً من البرامج العلمية التي تتناول البيئة والاكتشافات العلمية والاختراعات والجسم البشري . واما البرامج الثقافية فانها تغطى مساحة لا باس بها من مخطط الدورة فهناك برامج عن الطبيعة وعن الحيوان وعن عالم البحار وعن سكان العالم . وفي مجال البرامج الفنية فان التليفزيون يعرض برنامج « مجلة التليفزيون » وبرنامج الادب والفن الشعبي ، وهذه البرامج فى مجموعها توضح مدى اهتمام التليفزيون بتقديم الأفضل من البرامج .

● هل هناك تعاون بين تليفزيون قطر والتليفزيونات الخليجية العربية بشكل عام ؟

ـ ان التعاون بين تليفزيون قطر والتليفزيونات الخليجية العربية قائم ويتمثل ذلك في مجالات وانشطة مختلفة اهمها :

(١) تبادل العمل التليفزيوني بشتى مجالاته عن طريق جهاز تليفزيون الخليج .

(٢) المشاركة في انشطة الانتاج التى تقوم بها مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك سواء كان ذلك فى المشاريع الانتاجية المشتركة مع التليفزيون او في مشاركة ممثلين في البرامج التليفزيونية الموجهة التى تنتجها المؤسسة .

(٥) المشاركة فى الدورات التدريبية الاقليمية التى تعقد بتنسيق من المركز الخليجى لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني والتى تعقد فى دول الخليج العربية بين الحين والاخر : ومن هذا يتضح اننا نتعاون مع كل تليفزيونات دول الخليج العربية ونرحب دائما بتطوير ذلك التعاون .

● ما هى مشروعاتكم المستقبلية ؟

ـ الاهتمام بالانتاج المحلي وتقديم البرامج المحلية الجيدة فى مختلف المجالات سواء كانت دينية أو ثقافية .

يوسف الحرمي

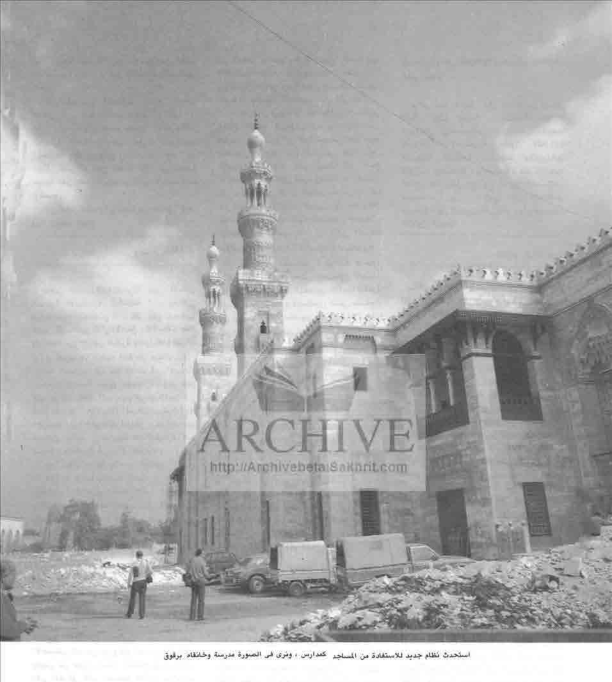
القيم الجمالية في العمارة الإسلامية

بقلم: جمال الغيطاني



على الرغم من اختلاف طراز المساجد فى كل إقليم ، فإن هناك طابعا مشتركا يميزها عن المبانى ، ويعتبر المسجد اهم المبانى الاسلامية .

« .. للعمارة الاسلامية خصائص مميزة وسمات مشتركة فريدة . هى نتاج عوامل عديدة ، دينية وبيئية ، وجمالية ، وهذه العناصر متنوعة تنوع البلاد المختلفة التى حل بها العرب والمسلمون . فتلك الصحراوات برمالها المنبسطة وتربتها المنفسحة وارضها الجرداء ، وبسمائها الصافية ، وبهلالها ونجومها المتالقة ليلا ، اذكت الفكر فنشطت علوم الفلك والرياضة . كما اضفت على روح الفنان العربى اثرا عميقا ، فاثارت وجدانه والهمته ان يحكيه فيما يبدع وان يطبع به ما ينشيء ، من اجل ذلك جاءت العمارات تحكى ما يقع عليه البصر فى الارض ، وما يمتد اليه الطرف فى السماء ، فكانت تلك الاهلة التى توجت المآذن ، ثم كانت تلك القباب التى تحاكى قبة السماء ، وكان للرياح الساخنة المحملة بالرمال الحارقة اثرها فى انشاء الدور والمساكن فاحيطت بجدران صماء تحميها من نفثات هذا الحريق ، على حين تركت صحونها مكشوفة عارية من السقوف كى



استحدث نظام جديد للاستفادة من المساجد كمدارس ، ونرى فى الصورة مدرسة وخانقاه برقوق

تصل قاطنيها بتلك السماء التي كان البدوي يفزع اليها طالبا الغوث وهربا من الوحشة فلم يشا ان يحجب بينها وبين ماوى روحه اذ اعتبر تلك الفرجة فى سقف داره معبره الى السماء او جزءا من السماء قد شـده الى بيتـه » .

كثيرة تلك المؤلفات التي تناولت العمارة الاسلامية ، في لغات متعددة ، غير ان كل كتاب منها يتناول حقبة معينة ، او زاوية احادية الجانب ، اما في لغتنا العربية فان وجود كتاب شامل عن العمارة الاسلامية كان نادرا قبل صدور هذا الكتاب للدكتور ثروت عكاشة الذي يحدد هدفه منذ السطور الاولى :

« لست اقدم في هذا الكتاب بحثا معماريا اكاديميا » ذلك مجال لم يدر في خاطري أن اقتحمه ، غير اني اذ طوفت بكثرة من البلاد يشدني حس الى مواطن الجمال الخصبة التي خلفها اسلافنا المسلمون في آثارنا المعمارية ،احببت ان اشرك القارىء العربي معي في ارتشـاف

هذه المتعة النادرة التي تذوقتها بين حنايا عمائرنا المنتشرة عبر عالمنا الاسلامي الكبير .. »

اما المهندس المعماري الكبير حسن فتحي الذي قدم للكتاب فيقول : « على ان هذا الكتاب الذي اتسم بشمول النظرة الى العمارة الاسلامية في عهودها وانماطها المختلفة والذي جمع بين دفتيه عددا من الآثار التي لم تتح لكاتب قبله ان يجمع بينها على بعد احدهما والآخر من مسافات وعصور .

الى عالم العمارة الاسلامية نمضي عبر هذا المؤلف الهام .

وحدة الطابع

ماهي العناصر المشتركة بين اشكال العمارة الاسلامية المختلفة ؟ ، وماهي منابع هذه العناصر ؟ . لقد كان لتعاليم الدين الاسلامي الأثر الاعمق ، فالاسلام يعد كل بقعة من الارض طاهرة يجوز للمؤمن ان يؤدي عليها ما فرضه الله من صلاة ، لذا جاءت المساجد اول ما جاءت في الاسلام صحونا متسعة تسور بجدران ، واذ كان لابد من ان يتجه المسلمون في صلاتهم الى قبلة بعينها ، جاء بناء المساجد مرتبطا كل الارتباط بهذا التوجيه الديني . هذا تعبير معماري جديد ، اذ ربط فن العمارة بين المسجد والكعبة في مكة المكرمة .

مع انتشار الاسلام ، وهجر العرب للبادية ، واستيطانهم المدن ، نشأ فن معماري حضري للمساجد والمدارس والتكايا ، واحتفظ المعمار الاسلامي بخصائصه الأولى ، واضاف اليه الجديد من واقع المدن ، والبيئة المختلفة التي وصل اليها . ونتيجة لاختلاف البلدان ، ظهر تباين يسير بين العمارة في هذا البلد وذاك . في ايران مثلا طغت الناحية المعمارية الزخرفية كما يبدو في مسجد شاه باصفهان . وفي مصر غلب الطابع الهندسي ، ويبدو هذا واضحا في العمارة الاسلامية المصرية ، حيث ينبع التعبير من التكوين الانشائي المعماري ، حيث ينبض الاحساس الديني من واقع تصميم الفراغ ، وليس من مجرد صقل السطح وزخرفته . وفي العراق تأثر تصميم المآذن بالابراج البابلية القديمة ، وفي تركيا يبدو تأثير العمارة البيزنطية ، على حين تميزت عمارة المغرب والاندلس بالكثير من صفات تشكيل الفراغ وتصميم الاعمدة والعقود المتراكبة وزخارف الجص المفرغ .

هذا التنوع في الظاهر ، يحوي وحدة في الباطن ، انها وحدة الروح الاسلامية الكامنة وراء التكوينات المعمارية والتشكيلات الزخرفية التي اصبحت تقليدا معماريا يحفظه البناءون عن ظهر قلب .

ساعد على ايجاد وحدة الطابع الاسلامي وحدة النظام في الصلاة ، والاتجاه الى القبلة ، مما ادى الى التشابه في التخطيط المعماري . وكان من الطبيعي عند نزول الاسلام بتعاليمه التي تهدف الى جمع الانسانية كلها حول فكرة واحدة الا يشتمل كل مسجد على قدس اقداس خاص به كما هي الحال في المعابد الأولى ، بل هنا مكان مقدس واحد يتجه اليه المسلمون جميعا ، الكعبة ، واقتضى هذا ان يكون المسقط الافقي لبيوت العبادة الاسلامية مستطيلا ، اكثر ما يكون انفساحا ، يواجه ضلعه الاكبر مكة المكرمة حتى يستطيل الصف الذي يتلاصق فيه المصلون تأكيدا لفكرة المساواة بين جميع المسلمين الذين يصلون في صف مستقيم متجهين الى القبلة . وفي البداية عندما كان المسجد مسطحا من الارض مسورا غير مسقوف لم يكن ثمة مايحجب نظرة المصلين الى السماء ، لكن عندما تطلب الأمر تغطية مكان الصلاة في الجامع اتقاء حرارة الشمس ، وتقلبات العوامل الجوية في البلاد المختلفة ، حرص المعماري العربي على ان تكون نظرة المسلم الى السماء غير محجوبة ، فشطر المسطح شطرين : احدهما مسقوف للصلاة والآخر مكشوف هو الصحن ، وحتى يعوض المصلي في الجزء المغطى عن الاحساس بالانفصال عن السماء ، جعل على السقف قبة ترمز الى السماء ، وانهى اسوار المسجد بعرائس او شرافات متجاورة تتجه رءوسها الى اعلى موحيا بارتباط الارض بالسماء ، او تلاصق المسلمين سواسية كاسنان المشط ، امام الله .

اما التطلع الى السماء ، والاتجاه اليها ، فقد حققه المعماري المسلم بابتكاره للمئذنة . يقول الاديب الفرنسي انطوان ده سانت اكسبوري :

.. « جملة مآذن تربط الأرض بالسماء ، تكشفت لي فوق خلفية من روعة الغسق ، أشباح الدور المتفاوتة الارتفاع ، المتباينة الاحجام ، مشرعات كالصواري ، يلفها دخان سحب الارجوان وكأنها اسطول على وشك الاقلاع . »

ثمة عنصر آخر هام من عناصر الوحدة ، انه الخط العربي الذي يكتب به المصحف الشريف ، تتقابل اشكال الخط العربي نفسه بمنحنياته وخطوطه وتكويناته الفنية بالتشكيلات الزخرفية التي تزين المصاحف واسطح الجدران في العمارة ، باشكالها ومنحنياتها في تقابلاتها وتحولاتها والقباب التي يزينها .

والى حد ما تأثر الفن الاسلامي بفنون البلاد التي فتحت ، خاصة الطراز البيزنطي والساساني ، اذ تم استبعاد الجوانب الاسطورية وفنون المحاكاة الشكلية النوعية الخاصة وتكويناتها الموروثة والمنقولة ، والمبتكرة ، لقد عولجت الفنون بما يتفق مع روح الدين الاسلامي وفلسفته . بهذا .. تميز الفن الاسلامي بقسماته عن الفنون التي تأثر بها وعن باقي الفنون الدينية .

القيم الجمالية

ينتقل الدكتور ثروت عكاشة الى عرض القيم الجمالية التي تميز العمارة الاسلامية فينفي مزاعم بعض المعماريين الغربيين الذين قالوا بجمود الفن الاسلامي ، نتيجة عجزهم عن التمييز بين الطرز المعمارية المختلفة في اطار هذا الفن . من اهم سمات العمارة الاسلامية عدم تكرار التفاصيل حتى داخل المبنى الواحد ، ويبدو ذلك واضحا في النوافذ الجصية بمسجد احمد بن طولون ، او قبة قلاوون ، بالقاهرة . ان الاشكال الزخرفية تتعاقب الى مالا نهاية ، في تنوع خصب ، فتحوير الزهور والنباتات والاستنباط المتنوع لاشكالها والتوفيق بينها ينبيء بقدرة فريدة على الابتكار حتى لتبدو وكان معينها لا ينضب . ان المنابر الخشبية تضم مجموعة من الحشوات الصغيرة المتباينة الأشكال التي جمعت بعضها الى بعض ، وان احتفظت كل منها بشخصيتها المستقلة ، تتابع الدوائر والمربعات والمعينات والنجوم والاطباق النجمية متداخلة بعضها ببعض عن طريق التعشيق حتى ليمكن جمعها او تفريقها دون ان يزول اثرها او يتضاءل . يقول هنري فوسيون :

« ما اخال شيئا يمكنه ان يجرد الحياة من ثوبها الظاهر وينقلها الى مضمونها الدقيق مثل التشكيلات الهندسية للزخارف الاسلامية ، فليست هذه التشكيلات سوى ثمرة للتفكير الرياضي القائم على حساب دقيق يتحول الى نوع من الرسوم البيانية لأفكار فلسفية ومعان روحية ، غير انه ينبغي الا يفوتنا انه خلال هذا الاطار التجريدي تنطلق حياة متدفقة عبر الخطوط فتؤلف بينها تكوينات تتكاثر وتتزايد ، متفرقة مرة ومتجمعة مرات وكان هناك روحا هائمة هي التي تمزج تلك التكوينات وتباعد بينها ثم تجمعها من جديد ، فكل تكوين منها يصلح لأكثر من

تأويل يتوقف على ما يصوب عليه المرء نظره ويتأمله منها وجميعها تخفي وتكشف في ان واحد عن سر ما تتضمنه من امكانيات وطاقات بلا حدود ».

نجد الضخامة في العديد من العمارة الاسلامية ، مثل مسجد السلطان حسن في القاهرة ، غير ان هذه الضخامة لا تهمل المقياس الانساني ، وذلك بتجزئة عناصر المبنى وتوزيعها بطريقة منطقية تجمع بين وحدة التصميم وتعدد العناصر التي ينبغي ان تنشأ عند تزايد الحجم مع الاحتفاظ بالمقياس الانساني ، ان ضخامة العمارة الاسلامية تسمو بالانسان الى اعلى ، لا تجثم عليه بثقلها ، لا ترهبه بعكس ما نشعر به عندما نقف امام كنيسة القديس بطرس في روما او كنيسة نوتردام في باريس .

بعد التنوع والضخامة ، يأتي اتساق الزخارف ووحدتها ، كان العامل الهام في تحقيق الجمال يكمن في مراعاة النسب والمقاييس التي تتفق ووجدان الانسان المسلم . لاريب في ان القيم الجمالية في العمارة الاسلامية غيرها في العمارة الأوروبية ، الامر الذي لايجوز معه تطبيق القواعد الجمالية الاوروبية على العمارة الاسلامية .

المـــدن

إحدى السمات البارزة للعمارة الاسلامية تركيزها على الداخل ، فالمنزل الاسلامي مشيد حول صحن داخلي ، يطل على العالم الخارجي من خلال جدران عالية تتخللها نوافذ صغيرة الحجم ومجموعة من المشربيات تهيىء الانفتاح على الخارج دون اخلال بالحجاب ، ودون الاخلال بالتهوية والاضاءة ، وكانت العادة ان تتجمع عدة منازل ضمن تجمع كبير تحوطه الجدران ، يلج اليها الناس من خلال بوابة تؤدي الى مجاز تتفرع منه الممرات للوصول الى دور السكنى ، كان العرف المتبع في تخطيط المدن ، يراعي العوامل الجوية ، ومتطلبات الأمن ، والناحية التعبيرية الجمالية ، طبقا في كلا المستويين الوعي والتلقائية ، كانت الشوارع والحارات تخطط ضيقة متعرجة لأن المساكن والقصور والمباني العامة تضم افنية وحدائق تستقبل الشمس والهواء من مساحتها الداخلية التي لا تجعلها في حاجة الى الشارع المتسع ، فاقتصر اتساعه على ما يفي بمطالب المرور وغدو الباعة الجائلين ، ورواحهم ، كما كان بضيقه وتعرجه يوفر المساحات الظليلة ، ويتيح اختزان الهواء الرطب ليلا حتى يشيعه اثناء ساعات القيظ ملطفا من حرارة الجو على العكس من الشارع المستقيم الواسع « البوليفار الاوروبي » الذي تستبيحه الرياح صباحاً ومساء .

كما ان تعرج الشوارع يجعلها مقسمة الى اجزاء مقفولة المنظر ، يوفر للسائرين ميزة نفسية ، اذ يوحي لهم بقصر المسافة ، وذلك بتنسيق تجزئته في نقط بؤرية ، كمبنى او سبيل او قصر .

وكان الداخل الى المدينة يمر بالمباني طبقا لاهميتها ، حتى يصل الى اهمها شأنا في منطقة القلب ، ويشبه ذلك ذروة اللحن الموسيقي ، وهكذا اضيفت الناحية التعبيرية الفنية الى تخطيط المدينة .

وتجد في المدينة الاسلامية جزءاً يمكن اعتباره عمارة تجارية ، حيث توجد الاسواق ، وقد عرفت الخانات ، مثل وكالة الغوري في القاهرة ، وخان الصابون في حلب ، تبدو هذه المباني وكأنها منتديات تجارية ، اذ كانت تستخدم لمبيت التجار الذين يدفعون رسوما عن حصولهم على حق بيع بضائعهم فيها ، فضلا عن الضرائب العامة التي كان يقدرها المحتسب ، وتتميز الوكالة الاسلامية بأنها تجمع التجار طبقا لنوع السلعة التي يعرضونها بغض النظر عن جنسياتهم ، اما المبنى

من ينظر إلى القيم الجمالية للعمارة الاسلامية يكتشف تلك الحياة المتدفقة في مضمونها الدقيق وتشكيلاتها الهندسية وزخارفها البارعة التي تتفق مع وجدان الانسان المسلم



روعة فن « الارابيسك » فى الجامع الاموى بدمشق الذى استقدم له الفنانون والصناع من سائر الاقاليم الاسلامية ليتم بناؤه فى القرن الثامن الهجرى

المقابل في الغرب والمعروف بالفند اكي البندقي الذي كان يقبل التجار على اساس جنسياتهم .

وشاع نوع اخر من المباني في ايران والاناضول هو خانات القوافل ، وكان الغرض منه ايواء التجار المسافرين وحراستهم ، وكانت تقدم خدماتها بدون مقابل .

ونلاحظ أن معظم المدن الاسلامية ، كانت تتبع فى بناء منازلها تصميما مشتركا في هيكله العام يراعى فيه ظروف المناخ حتى توفر الرطوبة وتقى أهلها لفحات الحر. وأول العناصر التي تسترعي انتباهنا فى دور السكنى هي « الصحن » الذي استخدم فى تكييف حرارة الجو ، وفي الليل يتسرب الهواء البارد الى أقصى الحجرات ويظل محصورا بين الجدران حتى ساعة متاخرة ، وقد اضاف المعماري العربي « السلسبيل » الى النافورة فى بعض الأحيان ، وهو لوحة جدارية من الرخام مزخرفة بنقوش خفيفة البروز تحاكي صفحة الماء حين يداعبها النسيم ، توضع مائلة قليلا في الجدار المقابل للايوان الرئيسي ، ينساب الماء على سطحها الى قناة يكسوها الرخام تفضي الى حوض الماء . وهناك المندرة (القاعة) ، وقد واجه المعماري العربي حرارة الجو ومشاكل التهوية والاضاءة باللجوء الى « ملقف الهواء » . وهو طاقة مفتوحة في السقف باعلى الركن الشمالي للقاعة تحتضنه جدران اربعة مرتفعة قليلا تمثل بئر هواء علوي يفتح اعلاه من جانبيه الشمالي والغربي ، ويغطيها سطح مائل يتلقى الهواء الرطب . اما المشربية فكانت حلا موفقاً للتغلب على مشكلات التهوية والاطلال على الخارج وتخفيف حدة الضوء وحجب اشعة الشمس ، فهي تملأ فتحة النافذة بمخمل من الخشب الدقيق في شكل برامق مستديرة المقطع تعمل على توزيع الضوء والظل على بدن البرمق فى تدرج لطيف ، والمشاهد للمنظر المقابل يرى لوحة زخرفية كاملة . اما الناظر من الداخل عبر المشربية فيشعر بالفة الخارج ووهجه مما يذيب وحشة الداخل .

المســـاجد

يخصص الدكتور ثروت عكاشة قسماً كبيراً من كتابه للمساجد . ان الفن الاسلامى ينبع فى جوهره من العقيدة الدينية التي لا تكتمل الا بالاخلاص ، ومن الطبيعي ان يكون المسجد هو محور هذا الفن الجديد . كانت المساجد الاولى تتالف من مساحة فسيحة هي مكان الصلاة ،



مدرسة الاشرف برسباي في القاهرة ، وكان تخطيط هذه المدارس عبارة عن صحن مكشوف
تحيط به ايوانات اربعة متعامدة ، مع اضافة ادوار علوية لسكنى الطلبة والاساتذة

يحيطها سياج من الحصير المجدول ، يتصدرها محراب ، لم يكن تصميم المسجد

الا تعبيراً عن وضوح وبساطة العقيدة الدينية وبساطة اسسها وخلوها من تلك الاسرار الغامضة المعقدة التي تتسم بها الشعائر والطقوس في العقائد القديمة ، وكان من الطبيعي ان يتاثر بناء المسجد بالطرز المحلية في البلدان المختلفة التي انضوت تحت راية الاسلام .

وبصفة عامة ، يلتزم في بناء المسجد أن يكون فراغه في اتجاهين ، احدهما راسي صاعد يربطه بالسماء ، واخر افقي مستو يربطه بمكة المكرمة ، والقبلة تتحدد بالمحراب ، ولكن في معظم الاحيان كان بناء المسجد باكمله يتجه الى مكة المكرمة ، وتعبر القبة في المناطق المسقوفة من المسجد عن البعد الراسي ، الاتجاه الى اعلى .

ومدخل المسجد يفصل بين الخارج والداخل ، انه ينقلنا مما هو غير مقدس الى ما هو مقدس ، والمدخل عامة هو اجمال لعمارة واجهة المسجد اذ هو نقطتها البؤرية ، وذلك بارتفاعه السامق الجدير ببيت الله .

وللترحيب بالداخلين ، اقيم المدخل على هيئة دخول متراجع ، لاعلى شكل خارج بارز، وكثيراً ما تنتهي المداخل بقباب نصفية تسمو بالداخل الى اعلى .

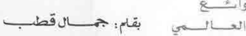
يشرح الدكتور ثروت عكاشة التفاصيل الدقيقة لمعمار المساجد الاسلامية بدءا من العصور الاولى حتى العصر العثماني ، ويتوقف عند المساجد الكبرى في مصر ، والشام ، والعراق وايران والمغرب ، وتركيا واسيا ، كذلك المآذن وتطورها ، والاضرحة ، والمقابر ، مما يجعل الكتاب متسما بشمولية النظرة الى العمارة الاسلامية ، في عهودها وانماطها المختلفة ، بحيث جمع بين دفتيه وصفا للعديد من الآثار التي لم يسبق ان ضمها كتاب واحد ، كما ان مشاهدتها ، ووصفها ، جاء بواسطة مؤلف شرقي ، مسلم لديه رهافة الحس ، والقدرة على رؤية القيم الجمالية الخاصة بالمعمار ، والعناصر الروحية الكامنة خلف صلابة الحجر .

يقول المعماري الكبير حسن فتحي في تقديمه للكتاب :

« لقد ايقظ هذا الكتاب في نفسي الاحساس بانني اتجول فوق سطح باخرة «الدكة » في رفقة المؤلف ، الذي يخاطب قراءه كلما توقفت الباخرة امام مسجد الجمعة باصفهان او جامع السلطان حسن بالقاهرة او جامع القيروان بتونس ، وتلك الروائع التي تحمل عمارتها ملامح الاهل والاجداد وتشي بسرها للقارىء سواء كان موسيقيا او مهندسا معماريا او اي ذواقة للجمال » .

جمال الغيطاني





جمال الطبيعة وعبقرية اللمسات

ما بين عامي ١٨٤١ و ١٩١٩ كانت حياة احد عباقرة الفن العظام الذي استطاع ان يضفي على الطبيعة البشرية بهجة الالوان واشراقة الحياة والتفاؤل !انه بيير اوجست رينوار ..

وان كنا قد استعرضنا سويا على هذه الصفحات بعض امجاده من قبل ، وتدارسنا بعضا من جوانب حياته ودوره الهام فى تحرر الفن من كلاسيكيات القرون الماضية وانطلاقته الى عوالم حديثة .إلا ان رينوار كان ـ ومازال ـ موضوع اعجاب كل المهتمين بالفن ، لانه جمع بين احساسه البهيج المشرق بالالوان ، وشاعرية الأمل المفعم بالجمال والتغني بالنماذج البشرية والازهار وتمجيد الطفولة ، اي ان نهجه كان البحث عن الجمال . وعمر الرجل حتى بلغ الثامنة والسبعين .. قضاها في حيوية دافقة وداب وابداع متواصل .. ولا غرو ان تجاوزت اعماله خمسة الاف لوحة .. يصل ثمن كل منها ارقاما بالملايين !

وعندما يذكر اوجست رينوار تتمثل معه حياة جيل قائد شهد النصف الثاني من القرن الماضي ، ولمسته شرارة الثورة الفرنسية ، كما عاصر التحول الصناعي وظهور الآلة في بداية ازهى عصور التاريخ واكثرها تالقا وثراء فنيا .. الا وهو « العصر الجميل » ، ذلك العصر الرائع الذي أودت به الحرب العالمية الأولى في أوائل القرن العشرين ! وقد كتب على هذا الجيل الثائر أن يتجه الى الطبيعة مباشرة دون حوائل او وساطة ، وتخلص الفنانون من قيود المراسم والتقوقع التاملي في الابراج العاجية .. وقد التقوا في البداية على شكل مجموعتين :

● مجموعـــة تلاميذ الاكاديميــــة السويسرية بزعامة فريدريك بازيل .

● ومجموعة اخرى من الفنانين الاحرار اخذت عليهم الطبيعة مجامع قلوبهم ، واستهوتهم الحياة على شواطىء البحار وفي الغابات المحيطة بباريس والوديان والانهار .. وعلى راس هذه الجماعة كان اوجست رينوار وكلود مونيه .

.. ومن هؤلاء الشباب المتحمسين .. تكونت المدرسة الفنية التي تمجد الطبيعة والتحرر من قيود الماضي .. تلك المدرسة التي اطلق عليها فيمـــا بعد اسم (التاثيرية) ! وكان شيئا مثيرا ان تنعقد تلك الجموع الرائعة على المقاهي الفنية والأدبية واهمها مقهى « جيربوا » .. وشهد حي مونمارتر (ملتقى المفكرين في باريس) انطلاقة تلك النهضة .. حتى أصبح اسم مونمارتر مقترنا في التاريخ بهذه الحركة التحويلية في مسيرة الابداع العالمي ! وبعد الحرب السبعينية وموت بازيل وغيره من اعضاء الجماعة .. خيم جو الكابة والقتامة على مقهى جيربوا ، فهجره الفنانون ... وتركوا مونمارتر مؤقتا الى حي البيجال حيث مقهى « اثينا الجديدة » .. وفي هذا المقهى كان يجلس رينوار يتوسط الفنانين والشعراء والأدباء والسياسيين .. ويدور النقاش الذي لا يهدا طوال الليل .. وكثيرا ما التام الشمل في أماكن أخرى .. كالصالونات الفنية والادبية التي عمت باريس انذاك واهمها صالون الفنانة برت موريسو التي لعبت في حياة هذا الجيل نفس الدور الذي لعبته (مدام ريكامييه) في عصر فناني الامبراطورية في القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر :

وقد انتهج رينوار ـ باسلوبه التاثيري المميز ـ أسلوبا يختلف عن التاثيريين الذين يتجهون الى رسم المناظر الطبيعية .. فكان يرى في الجسم البشري ورسم الأشخاص والطفولة .. غاية مراده ، وقد عاش في قلب مونمارتر ، وسجل حياتها اليومية المليئة بكافة النماذج ، ورأى بهجة الحياة فيها .. واحس انها تنأى في تعاليها وفطرتها وطابعها الخاص عن صخب الحياة الحديثة وكانها حديقة للمحبين او ثمرة لم تمتد اليها يد العصر الصناعي المعقد !

وعندما رحـل رينوار الى إيطاليـــا! كان يقول :

« إنني اشعر بالضيق بعيداً عن مونمارتر » !

ويمكننا أن نقول : ان لرؤيته التشكيلية محورين هما الطفولة والمراة .. ولكن الصور الشخصية عند رينوار لم تكن مجرد تكليف وعمل ينجز بناء على طلب عملائه ، وانما كان ذريعة للتعبير عن بهجة الحياة من خلال اشراقة الطفولة ووضاءة المراة .. ومن هذه الوجوه الغضة تشع الفتنة وترتسم امارات الامل والتفاؤل !

وقد عمر رينوار حتى الى ما بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى .. وشهد التحولات الفنية المتتالية التي اعقبت التاثيرية وسميت (ما بعد التاثيرية) وتلتها الوحشية والتكعيبية والتجريدية وغيرها من نظريات الفكر والبناء والرمز والايماءات الذهنية ..

ولكن رينوار لم يكن صاحب نظريات .. فقد كان الفن عنده قبل كل شيء صناعة بارعة .. وقد وجد في التاثيرية ما يتفق مع هواه حيث تعطي المنظورات صورة حسية طبيعية وضاءة النور ، والحياة تنساب في سلاسة بعيداً عن الايماءات الرومانسية الأدبية وليس فيها جفاف الذهنية الواقعية

وكان يرى مع الشاعر « مالارميه » بان التصوير تصنعه الالوان والأشكال كما تصنع الشعر القوافي والكلمات ... ولذلك كان يقول دائما : « الصورة يجب ان تكون شيئا سارا ومبهجا وجميلا » !

وظل رينوار .. يبدع ويبدع حتى وهو على فراش الموت .. فكان في اخر ايامه يربط اصابعه ويمسك فرشاته بيد مرتعشة .. حتى يغيب عن وعيه من فرط الاجهاد ..

وفي اواخر ايامه ، طلب ان يحمل الى متحف اللوفر ليملا ناظريه بلوحاته التي اوقف عليها حياته الطويلة المثمرة !

وعلى الصفحة المقابلة يرى القارىء احدى روائع رينوار التي رسمها عام ١٨٧٦ وعبر فيها عن الطفولة البريئة بين الزهور اليانعة .. فاضحت الطفلة زهرة جميلة بين زهرات الخميلة .. وهكذا كان فنه : بسمة على شفاه الفكر ، واريجا ينبعث من خمائل الابداع . ولذلك قال المؤرخون : ان فن رينوار هو بهجة الحياة !



بسمة الطفولة للفنان العالمى اوجست رينوار

لماذا اهتم العلماء والشعراء العرب بالجواهر النفيسة والأحجار الكريمة؟

بقلم: حسني شحادة



مجموعة من حلى الزينة من المرجان ، بلونها الاحمر الساخن ، وكان العرب يطلقون هذا الاسم على صغار اللالىء ، ثم اطلقوه على العروق الحمراء التى تستخرج من البحر وتصنع منها الحلى

الانسان بطبيعته ميال للجمال ، عاشق لاقتناء كل عزيز ونادر ، محب للتجمل والتزين بالحلي ، والحلي كما يقول ابن سيده (١) : هى كل ما يتزين به من مصنوع المعدنيات والحجارة ،

كانها من حسن وشاره
والحلي حلي التبر والحجاره

وقد عنى الناس باقتناء الحجارة الكريمة والجواهر منذ اقدم العصور وعرفها الاشوريون ، والاكاديون ، والكلدانيون ، والمصريون والحيثيون ، واعتنوا بها ، فوجدت فى مقابرهم ، ومدافنهم ، وخزائن كنوزهم ، ولكن عنايتهم بها لم تبلغ العناية العلمية ، كما فعل اليونان والفرس ، الذين وصفوها وصفا علميا ، ووضعوا لها اسماء تميز الحجر الواحد الكريم عن غيره ، وممن اشتهر بهذه المعرفة ارسطو طاليس (٢) ، وعنه اخذ جميع من تكلم عن انواع الحجارة الكريمة وخصائصها من عرب وغير عرب ، وقد تبعه فى ذلك ديقوريدس ، فزاد شيئا قليلا .

وقد بحث الناس طويلا ، لكي يجدوا صفات خاصة للتمييز بين الجواهر ، وغيرها من الحجارة اللامعة والشفافة ، ولكنهم لم يقفوا على كنه ذلك ، الى ان ظهرت الكيمياء ، وعلم البلورات ، وعلم الطبيعة فكشفت عن هذه الاسرار .

وتقول دائرة المعارف للمعلم بطرس البستانى (٣) :
حدث ان احد قضاة رومية (روما) . فضل النفي على ان يعطي الامبراطور انطونيوس قطعة جميلة من « الاوفال » كانت عنده !





طاوس وعصفور وثعبان .. وايضا بومة على هيئة حلى تعلق على الصدر .. ثم مجموعة من الاقراط .. وكلها من الذهب المرصع بالماس والياقوت والزمرد وغير ذلك من الاحجار الكريمة



مجموعة نادرة من المجوهرات الإسبانية [illegible] مطعمة باللؤلؤ والياقوت والزمرد

العرب والأحجار الكريمة

شهد القرن الثالث الهجري « التاسع الميلادى » (٤) . بداية حقيقية لانصراف العرب الى الاشتغال بكثير من المجالات العلمية والتجريبية .

وكان للاهتمام بدراسة علم الكيمياء . دوره فى ظهور عدد من العلوم المتخصصة ، وسرعان ما اتصلت جهود الكيميائيين بجهود جماع الأحجار الكريمة ومقتنيها .

جابر بن حيان العالم الكيميائى العربى الكوفى المتوفى سنة ٢٠٠ هـ ، افرد لعلم الاحجار الكريمة كتابا من بين كتبه العديدة فى علم الكيمياء . اسماه « كتاب الاحجار » ثم الف كتابا اخر اسماه كتاب « الجواهر الكبير » (٥) .

والف عطارد بن محمد البغدادى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ كتابا اسماه « منافع الاحجار » وصنف يحيى بن موسويه المتوفى سنة ٢٤٣ هـ . كتابا فى صفات الجواهر ومعادنها

وكتب محمد بن شاذان الجوهري (٦) كتاب « الجواهر وأصنافه » ، وقدمه الى الخليفة المعتضد .

وتعرض الطبيب العربى الشهير « ابو بكر محمد بن زكريا الرازي » المتوفى سنة ٣١١ هـ ، الى دراسة صفات الأحجار الكريمة ، فى كتابيه « الخواص » و « علل المعادن » .

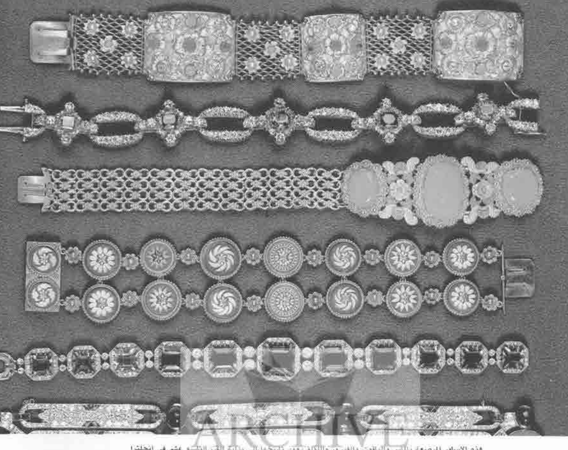
اما الكندى فيلسوف العرب يعقوب بن اسحق ، المتوفى نحو ٢٦٠ هـ ، فقد صنف كتابا أسماه « الجواهر والأشباه » ، وكتب رسالة فى انواع الجواهر الثمينة ، ورسالة اخرى فى انواع الحجارة (٧) .

وكتب ابو جعفر القيرواني المعروف بابن الجزار المتوفى سنة ٣٥٠ هـ كتابا عن الاحجار الكريمة . وقد افرد احمد بن عبيد الله بن الحسن بن عياش الجوهري المتوفى سنة ٤٠١ هـ ، كتابا فى اللؤلؤ ، وصنعته ، وانواعه . وكتب ابو ابراهيم اسحق بن نصير ، كتابا اسماه « صناعة الدر الثمين » .

ثم اتى العـــالم الاســــلامى الموسوعى الكبير ، ابو الريحان محمد بن احمد البيروني ، فى القرن الخامس الهجري ، ليكتب مصنفه الشـــهير « الجماهر فى معرفة الجواهر » ، فجاء موسوعة عربية فى علم الاحجار الكريمة ، وكانت خلاصة ماكتبه اليونانيون ، والهنود والفرس ، واظهر مقدرة فائقة فى الاحاطة بكل المصادر العربية فى موضوع الاحجار الكريمة والجواهر ، سواء كانت ادبية او علمية متناثرة ، وقد تميز ابو الريحان فى كتابه ، بنقده الشديد للآراء والأفكار غير الموضوعية .

ويبقى كتاب الجماهر فى علم الجواهر مرجعا ، حتى منتصف القرن السابع الهجري ، حين اتى شهاب الدين ابو العباس احمد بن يوسف البقاشي القيسي القاهري المتوفى سنة ٦٥١ هـ (١٢٩٣ م) . فصنف كتابه الشهير « ازهار الأفكار فى جواهر الاحجار » !

والأحجار الكريمة (٨) اصطلاح يطلق على الحجارة المعدنية التى لها خواص فيزيائية تجعلها فى رتبة اعلى من المعـادن



هذه الأساور المرصعة بالماس والياقوت والفيروز واللؤلؤ تعود تاريخها الى بداية القرن التاسع عشر فى انجلترا

الفلزية . ومن الحجـــارة ما لهـــا قيمة كبيرة دفعت الانسان منذ القدم لاستخدامها كحلية ، او لترصيع الحلي بها ، وتسمى فى اللغة العربية بالجواهر ، وهى جذابة اللون ، لماعة البريق ، خفيفة الوزن ، شديدة الصلادة ، نادرة .

ويمكن تقسيمها الى قسمين :

أولا : الجواهر النفيسة

يطلق عليها الجواهر النفيسة ، لانها الاحجار التى تحمل كل او معظم صفات الاحجار الكريمة ، واشهرها ما يلي :

● الماس أو الألماس :

ويرجع جماله واعتباره اشهر الاحجار الكريمة ، لانه يحمل كل صفات الحجر الكريم من بريق شديد وصلادة لايقطعها شيء ويقطع كل شيء .

وقد ذكره صاحب الجماهر فى معرفة الجواهر العلامة ابو الريحان البيرونى (٩) فقال بان حجر الالماس لا يكسره شيء ويكسر كل شيء .

وقد ظن الاقدمـون انه مـــاء الحـــديد المسقى وهو « الظران » فيقول الشاعر الجاهلي امرؤ القيس بن حجر (١٠) :

تطاير ظران الحصى بمناســـم
صلاب العجى ملثومها غير امعرا
كان صليل المـــروحين تشـــذه
صليل سيوف ينتقدن بعبقـــرا

اغلى الجواهر

يذكر صاحب نخب الذخائر فى احوال الجواهر (١١) ، ابن الاكفانى ان الياقوت هو اول الجواهر وانفسها واغلاها ، ويقول الله تعالى فى تشبيه الحور العين، « كأنهن الياقوت والمرجان » .

ويقول صاحب الجماهر فى معرفة الجواهر (١٢) . الياقوت بصلابته يغلب مادونه من الاحجار ، ثم يغلبه الالماس ، ومن خواصه الشعاع والصقالة ، ولذلك يشبه بجمر الغضا ، لانه اصدق ضوءا ، واشد حمرة .

ولندرته وحسنه يقول ابو تمام الطائي :

نفق المديح ببابه فكســـوته
عقدا من الياقوت غير مثقب

اما اصنافه فاربعة : الاحمر وهو اعلاها رتبة واغلاها قيمة، والاصفر ، والازرق والابيض .

اما موطنه ، فجبل يسمى الراهون فى جزيرة سرنديب وفى سيلان ومكران .

الزمرد وقوة الابصار

يقول ابو ريحان البيروني (١٣) « الزمرد والزبرجد اسمان يترادفان ، على معنى واحد ، لا ينفصل احدهما عن الآخر بالجودة والندرة » .

الخضرة تعم اصنافه كلها ، وافضله ما كان مشبع الخضرة ، ذا رونق وشعاع لا يشوبه سواد ولا صفره .



هذه الحلى توضح اسلوب المصريين في صنع المجوهرات التي غزا اوربا بعد اكتشاف مخلفات توت عنخ امون عام ١٩٢٥ .

ويمتحن بالعقيق المحدد ، فإن خدشه ، فهو من اشباه الزمرد ، والزمرد من الاحجار الكريمة الغالية ، فقد دخل بختيشوع (١٤) على المتوكل في يوم مهرجان ، فقال له : اين هديتك ؟

فقال : هديتي لا يملكها خليفة قبلك ولا ملك ، واخرج ملعقة زبرجد تزن ثمانية مثاقيل .

ويقولون بان الزمرد يجلو البصر ، وحامله لا تقربه الحيوانات ذات السموم ، وقد انتشر ذلك على الألسنة وجاء في شعر ابو سعيد الغانمي :

مـــاء الجداول ما ينساب ملتويا
على زمرد نبت غير منتشـــــــر
كالافعـــوان إذا لاقى زمـــردة
فانساب خوف ذهاب العين والبصر

اللؤلؤ اجمل الاحجار

يقول ارسطو في كتابه الاحجار (١٥) : « اللؤلؤ حجر شريف ، وجوهر ثمين - معدني وحيواني - وهو من اجمل الاحجار قيمة وقدرا ونفعا ، وحلية تلبس ، وتكوينه مباين لسائر ماعداه من الجواهر الشفافه لانها ترابية وهو حيواني » .

واللؤلؤ جنس يشتمل على نوعيه من الدر الكبار والمرجان الصغار .

وقال تعالى : (١٦) .

« مرج البحـــرين يلتقيـــان . فباي الاء ربكما تكذبان ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان » .

واسماء اللآلىء تكثر في اللغة العربية ، ومن اسمائها المشهورة (١٧) : اللؤلؤه ، الدرة ، المرجانة ، النطفة ، التومة ، التوامية ، اللطيمية ، الصدفية ، السفانة ، الجمانة ، الخريدة ، الحوصة ، الثعثعة ، والحضل

وقد وردت هذه الاسماء في الشعر ، ويقول امرؤ القيس :

فاسبل دمعي كنبض الجمان
والـــدر رقراقـــة المنحـــدر

ويقول ابو الطيب المتنبي :

غدونـــا تنفض الاغصـــان منها
على اعرافهـــــا مثل الجمان

احجار كريمة شائعة

ثانيا : الأحجار الكريمة وشـــبه الكريمـــة :

وتمتاز هذه الاحجار بانها لا تحتوي على جميع ، او معظم خصائص الجواهر النفيسه ، وبانها شائعة ومتوفرة في كل مكان .

ا ـ الاحجار الكريمة :

وتاتي في المرتبة الثانية بعد الجواهر النفيسة ، واشهر الاحجار الكريمة هي : العقيق ، البلور ، اليشب ، الجمشت ، عين الهر ، الفيروز ، اللازورد ، والزبرجـد ، ومن الاحجار الكريمة ما هي من اصل عضوي واشهرها : اللؤلؤ (وقد مر في الجواهر النفيسة) ، المرجان ، العنبر او الكهرمان ، والعاج ، واليشم .

ب ـ الاحجار شبه الكريمة .

وهي الحجارة التي تحتوى على اقل

الخواص التى تحملها الجواهر النفيسة ، وتستعمل استعمالات شائعة ، للزينة او لصناعة الأدوية ، او عمل التماثيل ، وغيرها .

واشهرها : الجزع ، الدهنج ، حجــر الدم ، السبح ، المغناطيس ، والطلق .

ماذا قال عنها الشعراء ؟

وقد كانت هذه الأحجار شبه الكريمة معروفة فى دنيا العرب ، وقد اسـتعملت استعمالات علمية ، بجانب استعمالهـا للزينة والحلى ، وكانت اشهر استعمالاتها فى الطب ، والصيدلة ، لصناعة الأدوية المختلفة ، كما تناولها الشعراء .

فيقول مثلا ، الطبيب الشهير ابو بكر الرازي فى الفيروز :

ولقد ذكرتك والنجـــوم كانهـــا
در على ارض من الفـــيروزج
يلمعن من حلل السـحاب كانها
شرر تطـــاير فى دخــان العرفج

ويقول الشاعر الجاهلي امرؤ القيس فى « الجزع » :

فادبرن كالجـــزع المفصـــل بينه
بجيد معم فى العشـــيرة مخول

ويقول ابن المعتز فى البلور :

اما رايت حباب المـــاء حين بدا
كانـــه قحف بلور إذا انقلبـــا

ويقول الشاعر ابو العلاء السروري فى المرجان :

واستمطرت احداقنا فتبـــادرت
فى حربها بدم ودمع ســـابق
كالدر والمرجان ينظم دائمـــا
فى العقد بين قلائد ومخانـــق

أما فى العاج فيقول النابغة الجعدي :

كوقف العــاج مس ذكي مســـك
يجيء به من اليمن التجـــار

وهذا عنتره بن شداد الشاعر الجاهلي يقول :

أو هي كدرة غواص اطـال بهـــا
صـهب السيال جلوها يوم تشريق

ويقول الشاعر ابو الطيب المتنبي فى هذا المعني :

كان الفريد والدر واليـــاقوت
من لفظـــه وســـام الركاز

أشهر المجموعات فى العالم

للاحجار الكريمة والجواهر النفيسة هدف اخر غير التجمل والتزين ، انه الهدف الاقتصادي ، حيث تعتبر رصيداً ماديا يضاف الى مكانة الدولة وتراثها وقدرتها

ومن اشهر مجموعات الجواهر النفيسة والاحجار الكريمة فى العالم كما أوردته دائرة المعارف البريطانية (١٨) ما يلي :

- مجوهرات التاج الملكي البريطاني .
- مجوهرات التاج الامبراطوري الايراني .
- مجوهرات التاج القيصرى الروسي .
- مجوهرات الخلافة فى الامبراطورية العثمانية .
- وهناك مجموعات نادرة وشهيرة فى متاحف الاثار والتاريخ الطبيعي فى عدد من مدن العالم ، كمتحف فيكتوريا بالمملكة المتحدة ، والمتحف البريطاني ، والمتحف الامريكى للتاريخ الطبيعي

هذه نبذة مختصرة عن الجواهر النفيسة والاحجار الكريمة ، نوهت فيها بجهود العرب المسلمين فى هذا العلم ، وعن الكتب التى الفت فيه ووصلت إلى أيدينا ، وهى فى مجملها تدعونا الى مزيد من البحث والدراسة حول الاحجار الكريمة التى أهتم بها العرب منذ القدم .

حسني شحاده



مجموعة من الحلى الجميلة الصنع .. وكلها من الذهب والفيروز .. وقد كانت مواطن الفيروز القديمة موجودة فى شبه جزيرة سيناء وايران .. وانقى انواع الفيروز هو الازرق الصافى اللون !

الهــوامش

(١) المخصص ج ٤ ص ٤٠ .
(٢) نخب الذخائر فى احوال الجواهر لابن الاكفاني ص ١٠٣ .
(٣) دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني ج ٥ ص ٧٠٦ .
(٤) كتاب الجواهر وصفاتها ليحيى بن ماسويه تحقيق عماد رؤوف ص ٣ .
(٥) الفهرست لابن النديم ص ٥١٢ .
(٦) نفس المرجع السابق ص ٤٥٥ .
(٧) الجواهر وصفاتها لابن ماسويه ص ٧ .
(٨) اللؤلؤ والاحجار الكريمة لمجلة العربى ص ٧٢ .
(٩) الجماهر فى معرفة الجواهر لابى الريحان البيروني ص ٩٢ .
(١٠) نفس المرجع السابق ص ٩٢ .
(١١) نخب الذخائر فى احوال الجواهر لابن الاكفاني ص ٣ .
(١٢) الجماهر فى معرفة الجواهر لابى الريحان البيروني ص ٤٦ .
(١٣) نفس المرجع السابق ص ١٦٠ .
(١٤) نفس المرجع السابق ص ١٦٥ .
(١٥) اللؤلؤ والاحجار الكريمة لمجلة العربى ص ١٣ .
(١٦) القران الكريم ـ سورة الرحمن اية ٢٢ .
(١٧) كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر للبيروني ص ١٠٧ .
(١٨) دائرة المعارف البريطانية ج ٧ ص ٩٧٩ .

في المعرض الرابع للجمعية القطرية للفنون التشكيلية



الضحى العود (الضحى الكبير) : للفنان يوسف الشريف

الحائرة : للفنان سلمان المالكي

صراع المدارس القديمة والحديثة في لوحات الفنانين

بقلم : يوسف أحمد

الملاحظ فى السنوات الأخيرة ان الحركة التشكيلية فى قطر ، اخذت مسارا جديا بما احتوته من هذا الكم الهائل من المعارض الفنية ذات المستوى المتميز فى الشكل والمضمون .. وقد صاحب هذه المعارض سواء كانت محلية او عربية او عالمية ، عدة ندوات فنية اقيمت فى نفس قاعات العرض

بمجرد انتهاء مدة كل معرض ، وكان الحوار يدور فيها ساخنا بين الفنانين العارضين وجمهورهم المتذوق والمتتبع للحـــــركة التشكيلية بكل ابعادها وتطوراتها الفنية :

وفى الشهر الماضى اقيم المعرض الرابع للجمعية القطرية للفنون التشكيلية ، وضم لوحـــات اكثر من ستة عشر فنانـــا ، تنافسوا على تقديم مدارسهم المختلفة سواء كانت واقعية او تجريدية او سريالية او تاثيرية او غير ذلك .. واستطاعوا بهذا الحشد الكبير من اللوحات التى تخاطب العقل والقلب معا ، ان يقدموا لنا إضافة جديدة فى مسيرة الفن التشكيلى فى قطر ..

وفى هذا العرض النقدى سوف اتناول بالتحليل اسلوب واتجاه كل فنان من الفنانين المشاركين فى هذا المعرض الهام .

هؤلاء الفنانون ولوحاتهم

بداية فان الفنان الكبير جاسم زينى شارك فى المعرض بلوحتين هما : عودة الروح ، وقصة شاعر .. بينما شارك فى العام الماضى بعدة لوحات غنية بالموضوعات المتنوعة والمعالجات المختلفة .. ورغم تاكيده للدلالة البصرية فى موضوع اللوحتين إلا ان الصياغة الفنية لم تكن فى المستوى الذى عودنا عليه الفنان الكبير فى أعماله السابقة !

اما الفنان حسن الملا ، فقد تارجحت موضوعات لوحاته بين البيئة - كما فى لوحة النساء - وبين الواقع العربى الذى تمر به امتنا كما صوره فى لوحـــة « ارجو الا تنسى » ..



استراحة بحار : للفنان احمد عبد الله

ماساة شاعر : للفنان يوسف احمد

صيد السمك (الحداق) : للفنان محمد الجيده

والملاحظ على الفنان فى اكثر اعماله أنه اتجه قليلا الى السريالية ، خاصة فى لوحة « علاقة » التى ربط فيها بين بيئة الشاعر القديمة وافكاره المستوحاة من القلب والرؤيا المستقبلية . وقد عبر بالوان البيئة الداكنة فى جميع انحاء اللوحة عن فكرته التى تبرز اهمية الارتباط بالارض من اجل العطاء ، وقـد كرر نفس طريقـه فى الصياغة فى لوحة « نساء » ولكن بتكنيك مختلف ، وان كان قد استخدم نفس الالوان الداكنة فى اللوحة !

وعندما نستعرض اعمال الفنان الشاب سلطان المناعى ، سنجد انه جعلنا نرى تجربة فنية فريدة فى المعرض ، بتقديمه لثلاثة اعمال من النحت البارز على الخشب والطلاء بالورنيش ليكسبها تنوعا فى السطوح ويعطيها قيمة فنية عالية .. وقد دلت اعماله التى قدمها على فطرة فى الموهبة وميل الى التبسيط وقدرة على التعامل مع الخامة وتطويعها .. ففى لوحاته الثلاثة : من وحى ٢٢ فبراير ، والقنص ، وبحار .. نرى اهمية القيمة التشكيلية للعمل الفنى والتفاصيل الدقيقة التى تهتم بالخلفيات والربط القوى بين الشكل والمضمون ، مما يجعلنى اتوقع لهذا الفنان ، مع استمرار تناوله لاعماله الفنية على خامات الخشب ، امكانات اكبر فى المعارض القادمة !

وبينما اشترك سلطان الغانم بلوحة واحدة هى « عيون فارقت بيروت » التى اكدت معاصرة الفنان للواقع بصورة جريئة مضمونا وشكلا .. نجد ان الفنان على حسن يحاول فى لوحاته ان يصل سريعا لتقنيات حديثة فى التكوين عن طريق الحرف العربى ، وهذا لن ياتى إلا بعد تجارب عديدة ومعاناة صادقة مع اللون والتكوين والخط والمساحة والتوازن ، ويمكن الاستفادة من تجارب فنانين عرب سلكوا نفس الطريق مثل الفنان التونسى نجا المهداوى ، خاصة وانه كخطاط يجيد قواعد الخط العربى . ولو بذل جهدا اكثر فى التعامل مع القيم اللونية والشكلية لاصبح من الفنانيين الواعدين !

معالجات فنية متعددة

ولو نظرنا الى تجربة الفنان فرج الدهام فى هذا المعرض ، لوجدنا انه وظف الوانه



علاقة : للفنان حسن الملا

عيون فارقت بيروت : للفنان سلطان الغانم

طبيعة صامتة : للفنان فرج الدهام

قصة شاعر : للفنان جاسم زيني

المائية والزيتية للوصول الى حرارة لون البيئة القطرية ، وانه عالج موضوعات الطبيعة الصامتة التى قدمها فنانـــون متعددون على مدار تاريخ الفن ، ولكن بطريقة متحركة فى المضمون ، ومن هذا المنطلق استطاع ان يقدم لنا عدة تقنيات مختلفة فى اعماله !

اما الفنان محمد الجيدة ، فقد جاءت كل اعماله الفنية لتمس المواطن القطرى بما فيها من قوة فى الأصالة وتدفق المشاعر ، فقد عالج عدة موضوعات كادت ان تنقرض من البيئة مثل راعى الغنم ، وترويض الخيول ، وصيد السمك التى تعتبر من انجح اعماله المقدمة من ناحية المعالجة التشكيلية الخاضعة للدراسة الدقيقة والمتانية وغير ذلك من الاعمال التى تمثل

فى مجملها خطوة جديدة للفنان ، قد تتضح ماثرها فى اعمال لاحقة فى المعارض المستقبلية ..

ثم ننتقل بعد ذلك فى المعرض الى التجربتين الناضجتين اللتين قدمتهما الفنانة حصة المريخي حول البحر والعادات والاستعدادات التى يقوم بها البحارة قبل اقلاع السفن لرحلة الصيد والغوص .. وقد استطاعت ان تشعرنا بجراة معالجتها اللونية ، وبخطواتها الصحيحة والسليمة والواعدة لموهبة جديدة سوف تنضج فى المعارض القادمة ..

وإذا كان الفنان عيسى الغانم قد قدم ثلاث لوحات ربط فيها بين العنصر الانسانى والزخرفة فى وحدة واحدة بقصد الدخول الى مرحلة جديدة قد يتجه اليها فى الاعمال القادمة .. فان كاتب المقال (يوسف احمد) استمر فى تجاربه مع الحرف العربى ، ولكن بتقنيات مختلفة تماما وبحلول تشكيلية مختلفة ، متعاملا مع الخامات التى تساعده فى ابراز المردود اللونى الذى امتاز به الفن الاسلامى فى اعمال الخزف والنسيج والتذهيب !

وهناك كذلك الفنان احمد عبد الله الذى قدم عدة لوحات فى المعارض السابقة ، وهو أحد ثمرات المرسم الحر القطرى ، وقد رأينا له فى هذا المعرض عملين هما : استراحة بحار ، ووجه لفتاة قطرية ، ومن خلال هذين العملين اتضحت مقدرة هذا الفنان الشاب فى الاستخدام الفنى لاقلام الباستيل الطباشيرية فى تحديد وتوجيه الضوء على الجسم البشرى والربط بين انتقالات حركة الضوء والالوان الفاتحة والداكنة فى براعة تدل على المستقبل الفنى الذى ينتظره لو استمر فى هذا الطريق !

اما الفنان سلمان المالكى فكانت لوحته « الحائرة » من ضمن الاعمال البارزة فى المعرض ، حيث عالجت فكرة الفتاة والتقاليد القديمة اثناء رحلتها فى الحياة ، وتتميز الالوان المستخدمة فى اللوحة بصفائها ونقائها ، ونلاحظ ايضا قوة الضوء المنتشر على وجه الفتاة باعتبارها العنصر الرئيسى فى اللوحة ، ولم يتناسى الفنان فى لوحته الوحدات الزخرفية التى تتميز بها الخيام البدوية وبيوت الشعر ، فقد جعلها عنصرا مساندا لفكرة الاسلوب الفنى الفريد الذى يتميز به .

بين الواقعية والتجريب

وغير هؤلاء الفنانين ، كان من بين الذين اشتركوا فى هذا المعرض الهام :

● الفنان الكاريكاتيرى احمد هلال وتميز فى لوحته المعروضة بتوزيع مساحات اللون البنى بالطريقة الجريئة واللمسات الصريحة التى تكون فى مجموعها اسلوبا خاصا !

● الفنان يوسف الشريف الذى يذكرك بالحارة القديمة والجو الكامل للحى بكل ما فيه من حركة وحيوية وخاصة فى لوحته « ضحى العود » ، وفى هذه اللوحة تكتشف تفانى الفنان فى المعالجة الواقعية البصرية فى كل تفاصيل اللوحة ، وفى لوحته الاخرى ترى الجو الخليجى من خلال الضوء والظلال والاقتراب بالالوان من البيئة الخليجية .

● الفنانة وفاء الحمد التى تشترك لاول مرة فى معارض الجمعية القطرية للفنون التشكيلية بلوحتين ، إحداهما كتابات والاخرى تجريد كتابى ولعلها لو استمرت فى البحث عن طريق تجريد الحرف العربى الى مساحات خطية فسوف نرى لها اسلوبا معينا يمكن البحث والغوص فيه ، وخاصة ميلها الى الخط الكوفى الذى يتميز باضلاع مستقيمة عند تكراره بحيث يمكن الحصول على نغمات مختلفة من المساحات عندما تضاف لها عدة درجات لونية !

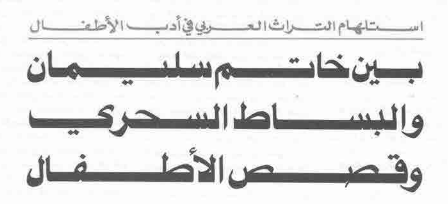
● الفنان محمد الصايغ الذى يشترك للمرة الثانية فى هذا المعرض، وتاتي مشاركته فى التصوير الزيتى بثلاث لوحات ، منها منظران طبيعيان والثالثة لصائغ الذهب الذى صوره باسلوبه البكر القريب من النحت ، وربما يرجع هذا لان الفنان اشترك فى العام الماضى بثلاث قطع من النحت لوجوه ، واذا ما استمر الفنان فى البحث والتجريب وتطوير هذا الاسلوب فسيحدد مساره فى المعارض اللاحقة .

● الفنان احمد زينى الذى مازال يبحث فى طرقات وحوارى قطر القديمة بالوان صفراء تقترب من الذهبية ولكن صياغته الفنية تقترب الى العفوية المفرطة والتى ربما احيانا تهبط بمستوى العمل الفني وتضعف عناصره !

وهكذا نرى اننا اذا ما أردنا ان نقيم هذا المعرض بصورة عامة ، نجد انه متقدم نوعا ما فى الشكل والمضمون ، اضافة الى تقديمه لعدة مواهب شابة واعدة .

يوسف أحمد


تكوين : للفنان على حسن



استلهام التراث العربي في أدب الأطفال

بين خاتم سليمان والبساط السحري وقصص الأطفال

بقلم: عادل أبو شنب

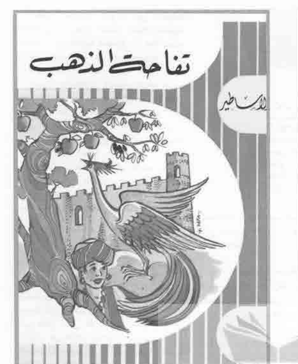


كان المشهد في « حمزة البهلوان » - وهو قصص شعبي تمتزج فيه الرواية الخيالية بالرواية الواقعية - مثيراً ، الرهبان في صومعة قائمة على قمـــة جبل يعطون عمر العيار (شقيق حمزة بالتاخي) مكحلة ومراة ، اذا ما استعمل الأولى غير سحنته كما يشتهي ، واذا ما نظر الى الثانية راى المشهد الذي يريد رؤيته ولو كان يبعد عنه الاف الاميال ، لكان المؤلف المجهول يبشر بظهور فن المكياج الذي يجعل التنكر امرا سهلا ، وكانه يبشر بظهور التلفزيون .

وفي « الف ليلة وليلة » نركب بساط الريح ، وهو ليس سوى سجادة صغيرة تحمل الجالس عليها الى اية بقعة على وجه الارض ، وتطير دون محرك مرئي ، اونضع في اصبعنا خاتم سليمان فتصبح رؤيتنا متعذرة ، اي نختفي عن الانظار ، وفي سيرة « الملك سيف بن ذي يزن » شطحات من الخيال قد نبتسم ونحن نقرؤها اليوم ، ولكنها كانت تشكل لبنة من لبنات البناء الفني للرواية الشعبية المتوارثة .

وفي « كليلة ودمنة » ، يروي ابنا اوى اللذان سمي الكتاب باسمهما حكايات ذات عبر ، ابطالها حيوانات تحكي وتتصرف كبني البشر ، وفي البخلاء والأخبار العربية القديمة التي نقلها الينا نقلة الاخبـــار ومؤرخو الادب والســير ، كالاصفهاني في كتابه « الاغاني » على سبيل المثال ، ما يرسخ في الذهن ، ويشكل جزءا من التراث الذي نقتبس منه ونستلهمه في اعمالنا المعاصرة .









بعض قصص الأطفال التى اعتمدت على التراث العربى الذى يحتاج الى المزيد من البحث والتقصى حتى نضع ايدينا على كل الكنوز المدفونة !

يعني استلهام التراث في اعمالنا المعاصرة ، سواء اكانت اعمالا مكتوبة للكبار ، أو مكتوبة للصغار .. اننا نضع ايدينا على واحد من اهم الينابيع التي ترفد الأدب الحديث بمادة ثرية غنية لاتنضب ، والواقع ان التاليف الناجز الذي لا يرتكز الى هذا المصدر ، في ادب الاطفال بخاصة ، اقل من التاليف الذي يرتكز اليه حتى الآن ، بل ان ادب الاطفال الناشيء في الوطن العربي خرج من خيمة « كليله ودمنة » على الاغلب .

ان ما يتيح لنا التراث ان نقتبسه منه .. لغني غنى غير معقول ، ولست اظن اننا قادرون على حصره وتعداده . لكننا نستطيع ان نصنفه الى زمر عديدة :

الخوارق

ان قصصا تعتمد على خاتم سليمان السحري الذي يخفي الاجسام ، وعلى بساط الريح الذي له قدرة النقل من مكان الى مكان ، في عصر كانت تستخدم فيه الدواب في النقل والانتقال ، وعلى سحر الساحرات وخوارق الجن في المسخ والتشويه والقتل والاتيان بما يعجز البشر عن فعله ، وعلى سفر ذوي البصيرة الى المستقبل .. ان هذه القصص تنطوي على خاصية الفعل الخارق ، اي الفعل الذي يتجاوز قدرة البشر ، ولقد تم استلهام هـذه الخاصية في الكتابة الحديثة للاطفال بطرائق مختلفة وهي :

● استهلمت خاصية الفعل الخارق فى خلق نماذج للخارقين ، اي الابطال الذين يقومون بافعال تتجاوز قدرات الانسان العادي ، ان عمر العيار في « حمزة البهلوان » الذي أتيح له ان يكون في مكانين اثنين في زمان واحد ، بواسطة مرآته التي تتيح له ان يرى صورة ما تبعد عنه الاف الاميال ، هو نفسه السوبر مان الخارق الذي يطير بقوة ذاتية غير مبررة ، او هو نفسه « هالك » ذو القوة الوحشية الخامدة التي لا تظهر الا ساعة الانفعال ، او هو الانسان الذي اتاحت له التكنولوجيا المتطورة ان يطوف بين الكواكب ويأتي من الافعال ما يبهر ، (وقد يكون من المناسب القول هنا إن استلهام خاصية الفعل الخارق في هذا الاتجاه .. لم تنشط في محيطنا العربي لأسباب كثيرة ، لعل اهمها ان كتابنا ورسامينا لم يقعوا فى مازق تمجيد البطولة الفردية السوبرمانية ، وإيمانا منهم بالبطولة الواقعية للفرد ، والبطولة الجماعية ، وكلتاهما تستنكران البطولة التي يرفضها العقل ، وان كان الاطفال يستطرفونها .

من وحي التراث العربي والبطولات الخارقة التى جاء ذكرها بين صفحاته ، اتجهت الجهود لتقديم نماذج متعددة فى ادب الطفل .

● استلهمت خاصية الفعل الخارق فى خلق حالات خارقة ، ان فتح مغـارة اللصوص بمفتاح لغوي لا اكثر (جملة : افتح يا سمسم الخالدة) ليس سوى مثال تطبيقى باهر ، فبوهج من هذا الاستلهام صنع هـ . ج ويلز آلة الزمان الخارقة التى تتيح لراكبها الانطلاق الى الماضى او المستقبل بحركة بسيطة ، وبمثل هذه الآلة حملنا بطلا محليا الى الماضي والمستقبل ، ومن يعد الى بواكير مجلة « أسامة » ير هذا البطل فى عمل لنجاة قصاب حسن ، ليس مترجما على اية حال ، فالمؤلف استخدم آلة الزمان ، اى استخدم الحالة الخارقة للتعريف بالماضي ، ولاستقراء المستقبل .

● استلهمت خاصية الفعل الخارق فى خلق نسيج روائي خارق ، واذا كان التراث الخرافى ـ ان صح التعبير ـ فى الحكايات المروية متخوما بصور السحرة والجنيات وافعالهم ، فان كتاب الأطفال المعاصرين قد استخدموا ، على نحو ما ، الخاصـية نفسها ، وهذه اقاصيص معاصرة يبدو نسيجها مملوءا بالأفعال الخارقة على نحو ما كانت عليه أفعال السحرة والمشعوذين والجن ، ومن الامثلة حكايات الاخوان غريم فى ادب الأطفال الالمانى ، فلقد سارت هذه على هدى الميتولوجيا المتوارثة ، وأعطت الالمان ، بل العالم ما يشبه الأساطير ، بل انها اساطير حديثة ، لها مؤلفون معروفون .

الانسـنة

كان كتاب « كليلة ودمنة » من اوائل الكتب التى انسنت الحيوان ، ومنحته عقلا وعاطفة وتصرفا على نحو انساني ، ولا يخفى ان هذه « الانسنة » قد ولدت لتفادى خطر متوقع ، لكن التاويل الذى ترك للقارىء او السامع ان يتدبره بنفسه .. كان من قوة التاثير بحيث لم تعد تفهم قصص الكتاب الا مؤولة ، اى بالاسقاط ، وبمحاولة جلاء الباطن ، وعدم الاخذ بالظاهر ، وهكذا تحولت الحيوانات فى « كليلة ودمنة » الى اشخاص من لحم ودم ، لهم وجودهم فى الواقع ، واحيانا تحولت الى رموز تدل على مجردات او قيم خيرة او شريرة ، وهـو ما وجده الكتاب والمؤلفون مناسبا للاطفال .

والواقع ان هذه المسالة ذات شقين متناقضين ، فالحيوانات الدالة على البشر تستهوي الاطفال ، لان خاصية «الانسنة» ، اى تحويل الحيوان الى انسان ، تدخل الطفل فى عالم لا معقول ، يدرك انـه لا معقول ، لكنه يقبله ويستطرفه ، ويراه صورة عن العالم الذى يعيش فى ذهنه الصغير ، العالم الذى تمحي فيه الفروق بين الانسان والحيوان والجماد ، وتتحول فيه الكائنات الى كائنات متساوية فى التفكير والعقل ، وهذا هو الشق الاول فيها غير ان الشق الثاني ينطوى على النقيض ، فاللانسنة تدخل الحالة والشخوص وحتى السياق فى عالم الرمز الذى يحتاج الى تاويل ، اى الى اسقاط ، وهذان الشقان للمسالة ، اى للانسنة ، جعلا منها واحدة من وسائل التعبير التى يستخدمها الكتاب للكبار والصغار معا ، وكثيرا ما قرئت قصة للاطفال على انها للأطفال .. فانبات ، باسقاطاتها ، عن حالة من الواقع المعاش الذى يدركه الكبار ، وبذلك بدت الانسنة وسيلة تعبير ذات اعجاز وبلاغة .

ان الكتاب لم يكفوا عن استخدام الانسنة فى كتاباتهم ، ومنذ ولادة ادب الأطفال المحلي .. لجا الكتـاب الى الحيوانات يستعيرونها ويستخدمونها ،

واحسب انهم يعون ان توظيف الحيوانات فى ادوار انسانية .. انما هو استلهام للتراث وفى منحيين اثنين :

الاول : استلهام شكلى .. اى تحويل الشكل الحيواني الى شكل انساني .. اى اسباغ الصفات الشكلية الانسانية على صفات الحيوانات ، (من ذلك جعل الحيوانات تسير على اثنتين بدلا من اربع ، وارتداؤها ثياب بني البشر .. الخ) فى عمليــة الاقتباس والاستلهام .

الثاني : استلهام مضموني .. اى استعارة الحيوان فى تصرف انساني ، مع الابقاء على صفته الحيوانية ، خاصــة الشكلية . (واتذكر هنا على الفور التراث الذى تركه اخوان الصفا فى هذا الميدان ، وهو يحتاج الى بحث خاص) .

وفى اطار هذين المنحيين المتداخلين .. قرانا ونقرا (وبالصورة المرسومة) قصصا معاصرة لكتاب عرب وجدوا فى الانسنة واحدة من طرائق التعبير النافذة الفعالة فى الاطفال .

شخصيا لجات الى ذلك فى كثير من القصص التى كتبت للاطفال ، ولي تجارب فى هذا الميدان ، احب ان احكى عن واحدة مثيرة منها وتتعلق بشخصية « القرد ميمون » .

مما لاشك فيه ان الوعي بالتراث لدى الكاتب مسالة مبتوت فيها ، يحمل الكاتب تراث امته وفولكلورها فى وعيه ولا وعيه معا ، ويستلهمه على نحو عفوى كلما اعوزته الحاجة الى ذلك ، وهذا ما حدث عندما شاركنا بتاسيس مجلة « سامر » .

كانت الحاجة ماسة الى خلق شخصية قادرة على التكيف ، تملك صفات انسانية واخرى حيوانية ، مما يتيح لي ، كمؤلف ، توظيفها بشكل يلهب خيال الاطفال ولا يبعدهم عن الواقع ، واظن ان المختزن فى لا وعيي من التراث .. هو الذى املى علي ان ابتكر شخصية هذا القرد الذى له شكل القرود وتصرفات البشر ، فكانني كنت استعير من « كليلة ودمنة » واحدا من ابطالها .

الحت علي فكرة القرد المحبوس فى زنزانته فى حديقة الحيوان ، والتواق الى الحرية خارج القضبان ، وها هو يتسلل الى عالم البشر ، يجوع ويتشرد ويعاني ثم يعود الى زنزانته ، رافضا عالم البشر المزيف الذى ياكل فيه القوى الضعيف ، والذى لا يجد فيه الشريف مكانا لاقامته ، كانت فكرة مثالية .. لها روح الكوميديا السوداء التى قد لا يعيها الاطفال ، لكنهم يستظرفونها بسبب الشخصية المؤنسنة ، ولقد صدق حدسي واقبل الاطفال على ميمون يلاحقونه ويطالبون بالمزيد عنه ، فطورته الى قرد له الصفات الانسانيـــة الكاملة مع الخصوصية التى يملكها القرود فى القفز والشيطنة ، مع حنكة اكبر من سن الطفل الذى يوازيه ، وهكذا كان التراث ملهما مع تحوير وتطوير اقتضتهما ظروف العصر .

ولم تقتصر الانسنة على الحيوان ، بل تعدتها الى الجماد . ان الازهار تتكلم والنجوم تناجي ، والاشجار تتصرف ، وكل هذا من اثر استلهام التراث الذى فتح امام ادب الاطفال افاقا رحبه .

الأخبــــار

الاخبار (بالكسر) تراث عربي ، ما اظن ان امة من الامم عنيت به كالامة العربية ، فمنذ الجاهلية وحتى يومنا هذا ، والرواة يتحدثون ، ينقلون ما راوا او سمعوا .

لقد دونت الاخبار العربية المملــوءة بالحكايات عن الناس ، واسندها الرواة الى اصحابها او الى رواة سابقين .

هذه الطريقة فى الاخبار التى استهدفت القص اولا والتوثيق والحرص على الصدق والدقة فى الرواية ثانيا .. استعيرت لتكون شكلا من اشكال الاداء فى ادب الاطفال ، واظن ان رصيدا كافيــا متوفر الان كشاهد على هذا النوع (قصة ابي القــاسم الطنبـــورى) على ســـبيل المثال شاهد على قصص الاخبار التى استفاد منها ادب الاطفال الحديث ، واجد ان من واجبى ان اذكر الفارق ما بين القص الاخبارى والقص الحديث ، حتى تتوضح صورة هذا الجانب من التراث الذى استلهمه الادباء ، ربما دون ان يعرفها ، فالقص الحديث هو اخذ بطرائق الاداء كما الفناها فى القصة الاوروبية ، والقص الاخبارى هو لون عربي خالص ، اى لون تراثى ، استخدمه الرواة والاعلاميون العرب والمسلمون الاوائل ، ومن خصائصه نسبة الخبر الى فلان عن فلان عن فلان اولا والسرد المباشر الذى يحكي عن الخبر وابطاله ثانيا ، وعدم اقحام الراوية نفسه فيه ثالثا ، وان هذه الخصائص لتجدها فى الكتابات الموجهة للاطفال ، مستعارة من التراث ، لانها من القوالب الادائية التى تناسب الصغار ، وعن ابى فرج الاصفهاني فى اغانيه ــ على سبيل المثال ــ اخذ الكتاب المادة الاخبارية نفسها ، بطريقة ادائها ، واعطوها للاطفال ، فانسجم هؤلاء معها ، وجاء كتاب اخرون فنسجوا على منوالها ومنوال غيرها ..

اللغــــة

تشكل اللغة العربية ، وهى ارثنا ومعلم من معالم قوميتنا ، جزءا من التراث الذى استلهم فى الكتابة للاطفال ، والمقصود باللغة ، هنا ليس كونها اداة تخاطب وتفاهم ، بل كونها تشكيلا بنائيا تتقولب فيه المعانى المراد ايصالها (اى كونها وعاء يملأ بالمواد) ، ويتالف من حروف هى اقرب ما تكون الى التشكيلات الزخرفية ذات الدلالات والتشبيهات الشكلية .

الالف فى اللغة عصا مستقيمة واقفة ، والباء والتاء والثاء اجسام متمددة فوقها نقاط ، وللجيم والحاء والخاء شكلها الواحد المتميز ، ولكل حرف اخر من الحروف الثمانية والعشرين تشكيله البنائى الذى يمكن ان يكون هدفا تزيينيا خالصا . ولم يكن ثمة تردد فى استلهام هذه الخاصية ، فقد استعار كتاب كثر التشكيل البنائى للحروف الهجائية العربية ، واعطــوا ما يمكن وصـــــفه بالتلقين ، اى بتعليم الصغار اسرار التشكيل البنائي اللغوي ، وخرجوا من ذلك الى دلالات اكثر عمومية ، اي الى التلقين باســـــتخدام التشكيل ، وهكذا اضحت الحروف العربية رموزا ومفاتيح للدخول الى قضايا ومضامين يراد ايصالها الى الاطفال ، واظن ان اللغة كتراث شكلى ايضا ستبقى معينا لا ينضب للكتاب ، يستلهمونها ، ويبتكرون فى مثل هذا الاستلهام ما يغنى ثقافة الطفل وفهمه للغته ، وفهم الحياة والعالم عن طريق اللغة نفسها .

● ●

ان موضوع استلهام التراث الاسلامي فى الكتابة للاطفال يحتاج الى غوص وتنقيب فى التراث اولا وفى الكتابـات العربية المعاصرة الموجهة للاطفال ثانيا ، وباحث يكرس نفسه له سيخرج بسفر كبير ما اظن ان سفرا سيكون له مثل اهميته ، خاصة اذا ما عمد صاحبه الى جعله تطبيقا مقارنا .

حسبي فى هذا المقال انني دخلت الى القضية من عدة ابواب : الانسنة والخوارق والاخبار واللغة ، وربما كان ثمة ابواب اخرى لم الجها بعد كاستلهام الحكم والامثال وتحويلها الى قصص للاطفال ، وحسب هذه الافكار ان تكون بداية ، وامل ان يساعد باحثون اخرون ، حتى نخرج الى نظرية يمكن ان تكون الارضية التى يؤسس عليها ما يمكن ان نسميه ادب الاطفال العربى الخالص .

عادل ابو شنب ــ سوريا

- لماذا تراجعت هموم الحب إلى المرتبة الثانية أو الثالثة من هموم البطل؟
- السينما التجارية حولت الريفي وابن البلد إلى مجرد محتال .. أو متسول !
- النهايات المأساوية هي الملمح المشترك بين مخرجي الثمانينات
- مصرع البطل الايجابي ظاهرة جديدة تغزو السينما العربية



ملامح وهموم

البطل المعاصر في السينما العربية

بقلم : عبد الرحمن محسن

إن نظرة سريعة على ملامح وهموم ابطال السينما العربية فى مصر كفيلة بان تصيب الانسان بالدوار للهوة السحيقة التى تفصل بين ما كان وما هو كائن .. فتلك النهايات السعيدة التى كان البطل فيها يعدو تجاه البطلة هاتفا باسمها (بعد ان تكون المشاكل قد زالت بقدرة قادر) ـ قد اختفت تماما لتحتل النهايات المأساوية معظم المساحة . وتراجع الحب ، الذى كان محور الصراع فى كل الافلام العربية ، حتى الوطنى منها ، الى المرتبة الثانية او الثالثة من هموم الابطال ، ليفسح المجال لهموم « اكل العيش » والصراع من اجل البقاء والثراء . اما النقود التى لم نكن نعرف من اين يحصل عليها بطلنا المحب فى الافلام القديمة ، فقد قفزت الآن لتحتل مكان الصدارة فى اسباب الصراع فى معظم الافلام ، وتنازل شرير الشاشة التقليدى ـ الباشا او زعيم العصابة ـ عن مكانه لمحدث النعمة ، او الشرير الانفتاحى ، مروج الفراخ والبلوبيف الفاسد .. وحتى تلك المبادىء الكلاسيكية الراسخة التى تنتصر للخير على الشر فى النهاية ، قد ولت ، ليتحول البطل فى نهايات نسبة كبيرة من الافلام ، الى قاتل او مقتول ، او الى السقوط حتى دون الالتزام بمبدأ (الجريمة لا تفيد) .

فمتى بدات هذه التحولات . ولماذا سادت معظم الانتاج السينمائى حتى التجارى منه فى السنوات الأخيرة ؟

من الذى بدا الظاهرة

السينما التجارية السائدة لا تبدأ عادة فى تغيير جلدها إلا حين يصدمها الواقع المر بانصراف الجمهور عنها ، وتدنى الأرباح ، لتكتشف ان ذلك الواقع ، الذى تدعى التعبير عنه ، قد مات منذ مدة ، وفى المقابل فان قلة نادرة من صناع الافلام الصادقين هى التى تقود دائما هذا التغيير مرتادة الآفاق الجديدة المجهولة لتلتقط انضر النماذج والعلاقات واقدرها تعبيرا عن الواقع المعاش ، بل وتتخطى ذلك احيانا الى التنبؤ بما سيصيب هذا الواقع من متغيرات ، مغامرة بالنجاح الجماهيرى فى سبيل الصدق . وفى ذيل هذه الطليعة ونجاحاتها تلهث السينما التجارية لتستغل وتقولب هذه المنجزات بعد ان تفرغها من مضمونها .. ولكنها عادة ما تختطف الثمرة بعد ان تكون قد نضجت الى حد الفساد .

النهايات المأساوية والبطل القاتل والضحية

كانت الافلام النادرة التى تنتهى بمصرع البطل او سقوطه ـ قبل عام ١٩٦٧ واحداثه التى هزت كل المسلمات ـ تعتبر واحات شبه منفصلة لا تشكل فى مجملها ظاهرة



يوسف شاهين .. مخرج فيلم الأرض الذى كان اول فيلم عربى ينتهى بمصرع البطل الايجابى





المخرج محمد خان ، الذى انهى ستة من افلامه السبع بالبطل قاتلا او مقتولا !



نور الشريف ونموذج جديد لدور «مصور» مع نورا فى فيلم ضربة شمس

محمود المليجى كان يعلم مسبقا الدور المطلوب منه فى اى فيلم وهو دور العزول الشرير



على بدرخان .. مخرج قليل الانتاج ، ولكنه يجيد تحليل الظواهر والدوافع بلا صراخ



حسين فهمى .. احد نماذج الشر الجديدة فى فيلم موعد على العشاء

مستمرة مضطردة وكانت معظم هذه الافلام ماخوذة عن اعمال ادبية محلية او عالمية ـ او منقولة بالنص من افلام اجنبية ..

ـ لك يوم يا ظالم ـ بداية ونهاية ـ امراة على الطريق ـ القاهرة ٣٠ ـ الحرام .

وكانت هذه الافلام فى الغالب تتناول واقعا تاريخيا او اجتماعيا سابقا او غريبا دون اسـقاطات كثيفة على اللحظة التاريخية التى انتجت فيها ..

وبعد احداث النكسة بدات الصورة فى التغير بعد فترة قصيرة وكانت البداية ايضا بافلام ماخوذة عن اعمال ادبية كتب بعضها قبل عام ١٩٦٧ ، ولكن الجديد فى هذه الافلام كان هو تركيزها على إسقاط كل احداثها ورموزها على اللحظة المداهمة واحداثها الدامية . وشهدت اعوام ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ انتاج وعرض افلام مثل «ميرامار» ـ « شيء من الخوف » ـ « البوسـطجى » و « الارض » الذى عرض فى عام ١٩٧٠ م .

واذا كان موت عتريس وسرحان البحيرى فى « شيء من الخوف » و « ميرامار » محاولة لادانة النظام السياسي الذى تسبب فى النكسة من وجهة نظر جسدت رموزه فى نموذج الدكتاتور والانتهازى ، واذا كان (البوسطجى) محاولة لادانة الواقـع الاجتماعى فان فيلم (الارض) كان الفيلم العربى الاول الذى ينتهى بمصرع البطل الايجابى الذى تعاطف معه الجمهور ، فابو سويلم الذى يضرج بدمه الارض وأعواد القطن وثمراته الناصعة فى نهاية الفيلم كان صرخة تحذير مدوية من ذلك الذى حدث فى ١٩٦٧ وما يمكن ان يحدث بعد ذلك ..

وتتالت بعد ذلك الافلام التى تجسد النهايات الماساوية سواء اكانت الموت او السقوط .

(ليل وقضبان) اول افلام اشرف فهمى ، (ثرثرة على النيل) لحسين كمـال ، (الرجل الذى فقد ظله) كمال الشـيخ و (الاختيار) ليوسف شاهين .. كانت المرحلة الاولى من هذه الظاهرة تعبيرا عن حالة الصدمة والياس التى اصابت الجميع بعد النكسة ، كما كانت تعبيرا عن محاولات صادقة ـ تصيب او تخفق ـ فى البحث عن تفسير لما حدث ـ وكان من الممكن لهذه الظاهرة ان تتوقف او تنتهى او تنتقل إلى مرحلة اكثر نضجا وتفاؤلا خصوصا بعد الصمود البطولى للشعوب والجيوش العربية فى حرب الاستنزاف او بعد ذلك التوحد النادر فى حرب اكتوبر على اكثر تقدير .. لكن الذى حدث هو العكس : لقد استشرت ظاهرة النهايات الماساوية ونموذج البطل القاتل او الضحية بعد ان عوض نصر اكتوبر وبعد التغيرات الاجتماعيـة السريعـة التى اصابت المجتمع .

ومع بداية السبعينات وبعد السماح ببعض الانتقادات للعهد السابق ظهـر (زائر الفجر) للمرحوم ممدوح شكرى الذى

بدا سلسلة افلام ضحايا ما سُمي بمراكز القوى ـ وتسربـل بنقد الماضى ليدين القهر فى كل زمان ثم تلاه (المذنبون) لسعيد مرزوق الذى اتخذ من حادثة موت الابطلة والتحقيق الذى يدور حولها مصباحا يكشف به كل عيوب المجتمع .

ويتوج يوسف شاهين هذه المرحـلة بفيلمه (عودة الابن الضال) الذى ينتهى بمذبحة كاملة ، يصرع فيها افراد العائلة بعضهم بعضا ولا ينجو منها الا ذلك الشاب الحالم بالسفر للكواكب الاخرى !!

وكالمعتاد تحاول السينما التجارية بعد تجريتي « زائر الفجر » و « الكرنك » ان تختطف الثمرة لتنتج سلسلة من الافلام الرخيصة عن الاجهزة البوليسية مثــل ـ (اسياد وعبيد) .. (إحنا بتوع الاتوبيس) (وراء الشمس) الى اخر سلسلة الافلام المشبوهة الهابطة .. ومع ظهور فيلم (على من نطلق الرصاص) لرافت الميهى وكمال الشيخ ، يتبلور هذا النموذج الجديد للبطل فى أنقى أشكاله : انه البطل القاتل والضحية فى نفس الوقت .. فاحداث الفيلم تبدا بالبطل وهو يطلق الرصاص على ذلك المسؤول الذى تامر على قتل صديقه ليخفى جريمته فى سرقة مواد البناء ، والتى تسببت فى موت العشرات ، وفى محاولة البطل للهروب تصدمه عربة مسرعة فيرقد القاتل الضحية ، والضحية القاتل ، فى حجرتين متجاورتين فى نفس المستشفى الى أن يلقى كلاهما حتفه فى نهاية الفيلم بعد ان يكون التحقيق فى الحادث قد كشف كل عيوب المجتمع ـ كما يراها صناع الفيلم .

وتتتالى بعد ذلك الافلام التى تنتهى بالبطل قاتلا او مقتولا ، الى ان يتوجها محمد خان ، مخرج نهاية السبعينات البارز الذى تنتهى ستة من افلامه السبعة بالبطل قاتلا او مقتولا ، او كليهما معا ـ ضربة شمس ـ الرغبة ـ الثار ـ طائر على الطريق ـ موعد على العشاء ـ نصف ارنب .. اما اشرف فهمى الذى بدا حياته الفنية بفيلم « ليل وقضبان » الذى ينتهى بالبطل تنهشه الكلاب فانه يعود ـ بعد مرحلة الافلام الهابطة ـ لينهى معظم افلامه الجادة الاخيرة بنفس النهاية ـ مايزال التحقيق مستمرا ـ الشيطان يعظ ـ الوحش داخل إنسان ـ المجهول ـ اما على عبد الخالق صاحب (اغنية على الممر) ، اول واخر الافلام الجادة التى ناقشت نكسة يونيو بشكل مباشر ، فانه يعود بعد فترة كمون بافلام ثلاثة تنتهى ايضا بالبطل قاتلا او مقتولا ـ الابالسة ـ العار ـ السادة المرتشون .

ورغم ان سمير سيف حاول فى بداية ظهوره ان ينوع من طبيعة اعماله ، إلا ان نفس المصير الماساوى يلاحق نسبة كبيرة من افلامه . بدءا من (دائرة الانتقام) اول افلامه ، مرورا بالمتوحشة ، فالمشبوه ، واخيرا الغول .. اخر ما عــرض له من افلام .

اما جيل الثمانينات من المخرجين الجادين ، فيكاد هذا البطل وتلك النهاية الماسوية ان يكون القاسم المشترك بينهم وهم رافت الميهى ـ عاطف الطيب ـ حسين الوكيل .

ولم تقتصر ظاهرة البطل القاتل والضحية على المخرجين الجادين فقط ، بل تعدت ذلك إلى النجوم ايضا ، فى سينما يحكمها النجوم . فمن ابرز الظواهر فى المواسم الثلاثة السابقة قيام نجم كوميدى مثل عادل إمام باداء شخصية البطل القاتل او الضحية فى اكثر من خمسة افلام هى : (الجحيم ، المشبوه ، الحب فى زنزانة ، ولا من شاف ولا من درى ، واخيرا الغول) .

ورغم ان معظم هذه الافلام التى ذكرنا تنتمى الى السينما الجادة ، التى تحاول ان تعبر بصدق عن تلك المتغيرات التى اصابت القيم وتلونات الشخصية ، إلا ان دوافع القتل او اسباب الموت تختلف حسب رؤية كل مخرج ، فاذا كانت هذه الاســباب والدوافع ترجع عنــد على بدرخان وعلى عبد الخالق ويوسف شاهين الى تناقضات اجتماعية عميقة .. فانها تقترب من العبث والقدرية عند محمد خان .. وتتراوح بين هذا وذاك عند سمير سيف واشرف فهمى ومع ذلك فجميع هــذه النهايات الماساوية وسيادتها تدل بالقطع على ذلك التغير المفزع الذى اصاب العلاقات الاجتماعية وطبيعة تلونات الشخصية القومية ..

الشرير وما اصابه من تغير

الدرامـا هى الحدث ، والحدث لابد له من صراع يتنامى ، والصراع لابد له من أطراف متوازنة القوة حتى يستمر فى صنع الاحداث ودفعها للذروة ، ومنذ ارسطو كان ابسط اشكال الصراع هو ذلك الصراع بين الخير المطلق والشر المطلق مجسدا فى نماذج او شخوص محددة الالوان .. الطيب والشرير .

ولفرط إخلاص السينما التجارية للقواعد الكلاسيكية للدراما ـ فى بعدها المسطح بالطبع ـ ظلت لاكثر من نصف قرن تخلق للبطل ذلك العزول الشرير الذى يحاول ان يختطف منه حبيبته ، والذى يحيك المؤامرات المفتعلة من اجل أن تكون هناك احداث ما تشد الجمهور ـ وكان هذا الشرير عادة ، إما زعيم عصابة ما للتهريب أو باشا ثريا عجوزا او شريرا لوجه الشر .

والغريب ان هذا النموذج ظل سائدا منذ بداية السينما وحتى بعد ١٩٥٢ ، وما أصاب المجتمع المصرى من تغير كما لو كانت الحياة دائما اسود وابيض ـ مع انها تحولت الى البمبى فى احد هذه الافلام ـ وظل استفان روستى وزكى رستم ومحمود المليجى ـ رحمهم الله ـ لحقب عديدة يجسدون هذا النموذج او القالب المسطح الى الحد الذى كان يدفع المليجى لعدم قراءة نص السيناريو بعد قراءة الملخص ـ فهو يعلم مسبقا ليس الاحداث فقط ، بل جمل الحوار واللازمات التى وضعت على لسانه فى هذه النوعية السائدة من الأفلام .

ولكن فجاة صدم الواقع كل هؤلاء : فالباشا لم يكن سبب النكسة ، ولا زعيم العصابة ، ولا ذلك الشر المطلق بلا اسباب .. بل كان الشر والشرير جزءا لايتجزا منا .. من ذواتنا نحن جميعاً .. وبدات ملامح الشرير فى التغير وبدا السواد الداكن الذى يجلل ملامحه فى التلون ببعض البياض ليصبح الشرير فى معظم الافلام الجادة اقرب الى الواقع ، له دوافعه ومصالحه ومبرراته ، الى ان اصبح فى بعض الافلام هو البطل الاول ، كما فى (شيء من الخوف) و (الاختيار) و (المذنبون) و (ثرثرة على النيل) .

وبعد ذلك بدات ملامح لشرير من نوع جديد فى الظهور ذلك هو شرير « مراكـز القوى » او الشرير البوليسي ، وبعد نجاح فيلمى (زائر الفجر) و (الكرنك) ، انتشر هذا الشرير فى طول السينما التجارية وعرضها لفترة قصيرة بعد ان كان قد فقد مبررات وجوده ـ فالواقع قد افرز مشكلات



محمود ياسين .. نمط جديد من السلوك والقيم فى فيلم انتبهوا ايها السادة



سعاد حسني .. قدمت في ادوارها الاخيرة نماذج جديدة لانصاف الاشرار

وانماطا جديدة من السلوك والقيم - ومن جديد كان على الرواد وصناع الافلام الجادين ان يعيدوا اكتشاف الواقع من جديد ونماذج الشر التى افرزها .. بداية من زبال « انتبهوا ايها السادة » مرورا برجـل الاعمال ذى المخالب المخملية فى « موعد على العشاء » ووصولا الى الداهية المطلق السطوة فى « الغول » .

ولم تكتف السينما الجادة كما قلنا بتقديم واكتشاف النماذج السوداء الداكنة بل برعت فى تصوير تلك النماذج الجديدة المعاصرة من انصاف الأشرار انصاف الاخيار ، تلك النماذج الرمادية التى تكتسب التعاطف كما تثير النفور مثل العامل صاحب البوتيكات التائب فى اهل القمة - والعامل الانتهازى فى « الحب فى زنزانة » وتاجر المخدرات الأخلاقى المنسجم مع ذاته فى « العار » .

وقبل ان تستكمل السينما الجـــادة تصويرها لنماذج الطفيليين الجدد .. هجم طفيليو السينما التجارية على هذه الانماط فى فترة الرواج النسبى للسينما المصرية ، ليحولوها من جديد الى مسوخ شائهة ، وقوالب جامدة . واحتل جميل راتب وعلى الشريف وصلاح نظمى مكان استفان روستى وزكى رستم ومحمود المليجى ، واصبحت توليفة الانفتاحى تاجر الفراخ والبلوبيف الفاسد ، الذى يختطف حبيبة البطل المكافح ، او يغريه بالسقوط ، هى التوليفة الاكثر رواجا فى افلام الاعوام الثلاثة الماضية ، وستستمر كذلك رغم كل المتغيرات الجارية فى الواقع الى ان يصطدم تجار السينما من جديد بانصراف الجمهور عنهم وعن نماذجهم المتحجرة .. فيشدون الى بقعة جديدة من اجــــل تشويهها ..

كان بطل الخمسينات والستينات فى المعتاد رجلا من اواسط الناس طبيب او مهندس او محام او مدرس اخلاقى فى الغالب الاعم يهتم بقيم الخير .. والحب والعدل ولو بشكل خطابى .. اما بطل السبعينات والثمانينات فهو فردى يبحث عن خلاصه او ثاره الشخصى فى افضل احواله او انانى يبرر الفيلم اسباب سقوطه الاخلاقى باشكال تتباين عمقا وضحالة . وقد اختفى او كاد من افلام العقدين الاخيرتين ذلك البطل الذى يخوض الصراع من اجل قضية او مبدأ عام كالوطن او الحق او العدل .

فالمحامى الشهير المفوه الذى كانت مشكلته فى افلام الزمن الماضى تتمحور حول اثبات براءة موكله قد حل محله الافوكاتو - حسن سبانخ - الذى يكرس براعته والمعيته فى النصب على النصابين ، او ذلك « البرنس » الذى يسرد علينا الفيلم قصص مغامراته خفيفة الظل من اجل إزاحة كل من يقف فى طريق حصوله على اللقب ، او ذلك الزوج المغدور الذى يبحث عن ثاره الشخصى ممن اغتصبوا زوجته فى (الثار) .

واذا كانت هذه النماذج من الافلام الجادة تحاول ان تعبر بصدق وان تدين قيم الفردية التى اوشكت ان تسود وتعصف بكل قيم التكافل والخير - فان تجار السينما يحملون المعول من اجل الاجهاز على البقية الباقية من القيم الجميلة والنبيلة ، فرجب الذى هو على سطح صفيح ساخن وشعبان تحت الصفر وعنتر الحامل سيفه ومن بعدهم مخيمر الجاهز !! جميعهم يشتركون فى صفة واحدة هى اللااخلاقية التى تبررها هذه الافلام محاولة ان تكسب لهم التعاطف والتغاضى عن كل جرائمهم الكبيرة والصغيرة .

وبالمثل .. اذا كانت السينما الجادة قد حاولت ان تغير وتوسع من دائرة المهن التى يمتهنها البطل والطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها - العامل فى « الحريف » و « الحب فى زنزانة » والسائق فى « طائر على الطريق » .. والمصور فى « ضربة شمس » .. فان السينما التجارية تلقف الكرة من جديد لتغازل بها جمهورها من الحرفيين وسكان الأحياء الشعبية دون اى فهم لقيم وسلوكيات هذه الفئات .

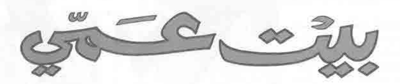
وتمعن هذه السينما فى تسطيح وتشويه هذه النماذج الى الحد الذى يصبح فيه ابن البلد من هذه الأفلام اكثر غرابة عن الواقع المصرى من نموذج الكاوبوى الأمريكى ، فقد اصبح ابن ، او بنت البلد ، فى هذه الافلام لا يجيد الا الردح والنصب والاحتيال والتسول كما فى افلام الفرن - السطوح - الباطنية - والمتسول - ومرزوقة ... وكان هذه الحضارة وهذا المجتمع الذى قام على اكتافهم وبانتاجهم مجتمع من الافاقين والمتسولين والراقصات وتجار المخدرات !

وملامح لم تظهر بعد

ان هذا المجتمع الذى حاول تجار الفن اختصاره فى تلك النماذج المشوهة هو نفسه ذلك المجتمع الذى اعطى لأمته مليون شاب بنضالهم البطولى على جبهات القتال لمدة سبع سنوات، مليون شاب هم الآن بالتحديد فى عمر ابطال السينما العربية واكثر من مليونين اخرين يعملون الآن فى أرجاء الوطن الكبير ، ومع ذلك فحتى السينما الجادة لم تقترب إلا اقترابا حذرا من همومهم فى افلام نادرة ، هى على سبيل الحصر ، (الخبز المر) .. (ســـائق الاتوبيس) و (لا يزال التحقيق مستمرا) و (بيت القاضى) الذى لم ينته تصويره بعد - وبالمثل فان هذه السينما قد مرت مر الكرام على العديد من الظواهر الشديدة الخطورة كظواهر التطرف والادمان ، وجذور مثل هذه الظواهر تماما كما مرت بنفس الطريقة على اخطر الاحداث التى مرت بهذه الأمة منذ نكسة يونيو ومرورا بحرب الاستنزاف ووصولا الى حرب اكتوبر.

وسيظل الواقع الحى معينا لا ينضب للنماذج والشخصيات والموضوعات وسيظل البعض يحاول ان يعبر عنه بصدق ليلحق به جامعو الخردة .. ليختطفوا الثمرة بعد ان تكون قد نضجت إلى حد الفساد ..

عبد الرحمن محسن



قصـــة بقلـــم :

محمود الورداني

هبطنا من الاتوبيس . وعندما عبرنـا الشارع ، رحت احاول التطلع الى التلال البعيدة المرتعشة ، وقد بدا شبحها داكنا ، وغارقا فى ضوء الشمس التى بلون المشمش .

وحين انحرفنا الى داخل الحارة ، كان فى وسعى ان ارى بيت « عمى ممدوح » ذا الشرفات المصنوعة من الحديد المشغول ، والمغطاة من الداخل بملاءات ملونة ، حتى انك لا ترى الناس الذين يكونون واقفين ؛ فقط ترى وجوههم التى تطل عليك من اعلى .

راحت امى تقول للناس المطلين من الابواب : « العواف ... » . فيما كنا نصعد السلالم الكثيرة الكثيرة ، وانا غير قادر على الضغط على قدميَّ اللتين توجعاننى .

ونحن قد ذهبنا الى ناس كثيرين طوال النهار ، لكنهم ليسوا اقرباءنا مثل عمى ممدوح . فى البداية ، ذهبنا الى « ام سعد » التى سكنا معها فى شارع العطار ، ووجدت حجرتنا وقد سكنها ناس اخرون ، وتمكنت من رؤية جانب صغير من الشرفة ، عندما فتح الباب ، وخرجت بنت صغيرة راحت تصيح . على اننى تبينت انهم وضعوا سريرهم النحاسى العالى فى المواجهة ـ وامام باب الشرفة . اما سريرنا ، فقد كنا نضعه فى نهاية الحجرة . بحيث اذا فتحت الباب ، لما امكنك ان ترى سوى الشرفة فقط والسماء الزرقاء . جلست امى وراحت تحكى ، و « ام سعد » تعمل الشاى. كانت رائحة الشقة هي نفسهـا ، ورائحـــة الناس الذين يغسلون ملابسهم تاتى من الحمام ، والاصوات تجىء من هناك وسط وشيش الوابور العالي . لم تقل امي لها ، وسلمت علينا ، وقالت ان عم « ابا سعد » يبحث عن شغل منذ اول الشهر .

بعد ذلك ، قالت امى فلنذهب الى « ام ابراهيم » ، التى اخذ منا ابنها ابراهيم مكافاة ابى بعد ان مات وصرفوها لنا من الشغل ، وعمل استوديو للتصوير ، ملصقا بصور الرجال والنساء الضاحكين . ولما انتقلنا من بيت « اسحق » فى شارع « ابن مطروح » ، لنذهب الى شارع « مسرة » فى شقة كاملة ذات حجرتين ، وضعت امي كل الأوراق والصور في حقيبتها الجلدية الحمراء ، وقالت نتركها عند ام ابراهيم حتى لا تضيع . وفي الصباح احضرت انا الحقيبة من هناك . وحين فتحتها أمي ، عرفت على الفور ان احدا قد فتحها . وجعلت تصرخ بصوت خفيض ، وهي تبحث عن الأوراق التي كتبها لنا ابراهيم بعد ان اخذ النقود . لكنها لم تجدها . وهكذا ، باتوا يعطوننا في بعض الايام نقودا ، ولا يعطوننا فى ايام اخرى ، ونحن نجلس فى الصالة . بينما هى تدخن وتزعق فى اولاد ابراهيم الصغــــار الذين يبكـــون ويعملون ضجيجا ، ثم قالت : « بعد اسبوع يا ام مصطفى يمكن ربنا يفرجها ...» .

هبطنا وذهبنا الى « فوقية » و « هانم » قريبتي امي ، اللتين جاءتا من البلد وقعدتا معنا في شارع مسرة . ثم تركتا البيت وسكنتا هنا ، عندما عرفت امي انهما ستشتغلان عند الناس الذين يعيشون هناك فى « باب اللوق » . وقالت هانم ان اختها « نعمت » الصغيرة ، جاءت هى الاخرى من البلد ، والحجرتان اصبحتـــا لا تكفيان . بكت فوقية السمراء التي كنت احبها ، وهي تشير لنا من خلف ظهر هانم ، وقد وقفت لتسلم علينا قبل ان نمضي ، لكننا لم نفهم ما الذي تقصده فوقية ، ومضينا .

قالت امي نذهب الى « ايوب » . وايوب هو السمسار الصعيدي الذي لا يتحرك معك قبل ان ياخذ العشرة قروش . قام معنا وقال : « خيرا .. لماذا تركتم جارتكم الست محروسة ؟ » . قالت امي : « النصيب يا عم ايوب .. » . وكنا قد هربنا في الليلة الماضية ، حين ايقظتنا « محروسة » . التي تسكن في الحجرة المجاورة لنا ، وقالت لامي انها تسمع صوتهما في الشارع يزعقان : زوجها والرجل الاخر الذي اخافه . كان هذا الرجل اسمه « شوقي » ، وكان زوج محروسة ياتي به الى الشقة ، وينادي على امي . وعندما يراني يضع يده فى جيب معطفه الرمادي المحلى بالفرو الابيض ليعطيني النقود ، لكنني اتركه واركض الى امي التي كانت تخافه مثلي . ورايت محروسة وهي تنحني على امي وتكلمها دون ان اسمع انا . تسللنا الى الحمام ، فيما كان صوتهما يقترب ، وهما يزعقان مخمورين كما لم يزعقا من قبل . قبل ان يكسرا بالفعل باب حجرتنا . خطفنا « منى » اختي من يد محروسة ، ورحنا نركض على السلم المظلم ، و « منى » تبكي حتى وصلنا الى اول الشارع ، ثم انحرفنا الى الشارع الواسع ، وذهبنا لننام عند جارتنا « الست سنية » التي كانت جارتنا قبل ان يموت ابي

تفرجنا مع عم ايوب على حجرة بثلاثة جنيهات في شارع « الجسر » وحجرة اخرى بثلاثة جنيهات ايضا بجوار المستشفى .



لكن هذه الحجرة لم يقل لنا صاحب البيت ان نعطيه خمسة جنيهات « تامين » مثل الحجرة التي في شارع الجسر . وايوب قال انه سياخذ جنيها عندما نكتب العقد مع صاحب البيت .

اخذت امي تخبط الباب البني الداكن ، ثم انني تراجعت معها حين سمعنا صوت زوجة عمي وهي تصيح . فتحت الباب وقالت : « اهلا .. » .

اعرف انها سوف تخزني بالشعر القليل فوق شفتيها حين تنحني هكذا ، وارى الصالة المظلمة الرطبة ، وانا اعبر الى الحجرة الاخرى ، واشم رائحة بيت عمي ، وارغب في نهاية الامر ، ان استريح على الكنبة التي اسفل النافذة .

ثم انني سمعت صوت ابنة عمي . كانت واقفة على الباب تجفف وجهها بالفوطة التي بلون السماء . سلمت على امي وقبلتها ثم ابتسمت لي قبل ان امضي لتقبلني انا ايضا . على انني تذكرت مكتبها ، وجعلت ابص في الحجرة ، لتطالعني الراس وكومة العظام التي كانت تخيفنا انا ومنى اختي بها . صحت : « اين الراس يادكتورة ؟ .. » . قالت : « في الحجرة الاخرى .. » . كانت الحجرة الاخرى هي حجرة الجلوس التي بجوار حجرة عمي ، وكان بها صورة الفلاحات في الحقل . وقد عملتها ابنة عمي بالخيوط الملونة ، وعلقتها بجوار الايات التي كتبها عمي بخط اسود جميل .

جاءت زوجة عمي بصينية الشاي . قالت : « اين منى يا مصطفى ؟ .. » ونظرت انا الى امي . قالت : « في البيت . سي ممدوح نائم ؟ .. » . قالت زوجة عمي : « اه » وابنة عمي جلست بجانبي على الكنبة ، وكنت انا احب ان انظر اليها اذا ما كلمتني وهي تضحك هكذا : « هيه .. بتذاكر يا مصطفى ؟ .. » . قلت : « اه .. » ونحن لم تكن ناتي هنا سوى مرة واحدة في الشهر ، هي المرة التي يعطينا فيها عمي النقود ، وتوقع له امي على الورقة الصغيرة . قالت زوجة عمي : « خيرا يا ام مصطفى ؟ .. » قالت امي : « كنا نمر من هنا ، قلت اطلع اسلم عليكم .. » .

وما لبثنا إلا قليلا ، حتى سمعنا صوت عمي وهو يسعل من حجرته التي ينام فيها وحده في نهاية الشقة . قالت ابنة عمي : « كيف حال منى ؟ » قالت امي : « الحمد لله .. » . ونهضت انا ، عندما رايته وهو يخطو عبر الصالة المظلمة : نحيلا في جلبابه الابيض والرداء الصوفي البني الداكن . سلم علي وقبلني ، وهو يبص بعيونه الصغيرة من خلف زجاج النظارة الابيض . قال لامي : « منى لم تجيء معكما ؟ .. » . قالت : « في البيت » . كنا قد صحونا مبكرين عند الست سنية جارتنا ، وتسللنا انا وامي من الفراش قبل ان تصحو منى . جلس عمي على المقعد المجاور للفراش . قال : « عندك شاي يا دكتوره ؟ .. » . وضحكت ابنة عمي ، ووضعت له السكر ومضت تصب الشاي .

سكتنا جميعا ، ثم قامت امي ، ووضعت كوب الشاى على التسريحة . قمت انا ايضا جعلنا نسلم عليهم وهم يتكلمون ، لكن امي قالت إن منى وحدها .

في الصالة المظلمة قليلا ، وقفت امي حتى اقبل دون ان يبدو منه سوى الجلباب الابيض وزجاج النظارة . راحت امي تكلمه بصوت خفيض ، وهو يقرب راسه منها دون ان يرد .

بعد ذلك فتحت انا الباب ، ورايت ضوء النهار القليل مرة ثانية ، والهواء يهب من السماء التي فوقنا .

ينابيع جديدة للإبداع الفني

التراث الشعبي

وأثره في الثقافة العربية المعاصرة

بقلم: صفوت كمال

شاع في ثقافتنا العربية منذ منتصف هذا القرن مصطلح فولكلور ، ذلك المصطلح الانجليزي الذي استخدمه العالم الانجليزي سير جون وليام تومز في ٢٣ من اغسطس عام ١٨٤٦ في خطاب وجهه لمجلة ذي اثنيوم البريطانية كمحاولة علمية من جانبه لتحديد مفهوم ما كان يعتني به علماء الاثريات والمهتمون بالاداب الشعبية واللغة واللهجات ، وايضا دارسو الثقافات الشعبية ، وما يرتبط بمواد التراث الشعبي التلقائي من بقايا الأساطير والحكايات الخرافية وما يرتبط بذلك من اشكال الممارسات الطقوسية واشكال الابداع الفني الشعبي الشائع في الحياة اليومية الجارية وله اصول قديمة موروثة .

وقد شاع ايضا بعد ذلك مصطلح فولكلور كمصطلح يدل على مواد الادب الشفاهي للامة وعلى الاغاني والموسيقى وعلى مختلف اشكال الابداع الفني الشعبي بعامة سواء اكانت وسيلة هذا الابداع الكلمة المصوغة شعرا أم نثرا ، ام كانت وسيلة التعبير النغم والايقاع في فنون الموسيقى الشعبية وسواء اكانت هذه الموسيقى مصاحبة للحركة الايقاعية ام للكلمة المغناة او موسيقى خالصة للاستماع الفني

كما شمل التعريف ايضا وسائل التعبير الدرامي والمسرح الارتجالي والاحتفالات الطقوسية سواء ما ارتبط منها بموروثات اسطورية او معتقدات خرافية مثل حفلات الزار وغيرها .. او ما ارتبط بمناسبات دينية في الاعياد والاحتفالات الموسمية .

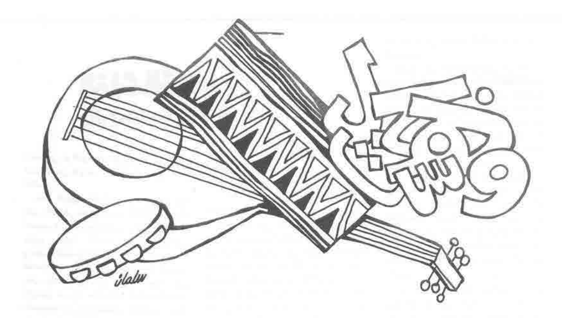
كما اشتمل ايضا مصطلح فولكلور على وسائل التعبير التشكيلية والفنون التطبيقية ذات القيمة الجمالية من نقوش زخرفية وصور جدارية وتراكيب لونية وادوات الزينة والحلي والمصاغ وقطع الأثاث المطعمة بالصدف او المنقوشة بحفر غائر وبارز .. الى غير ذلك من اشكال فنية لقطع الفخار والاواني الزجاجية مما هو شائع في الحياة اليومية إلى غير ذلك من فنون التشكيل والزخرفة والنسيج والتطريز .

كما احتوت المواد الفولكلورية فنون العاب الأطفال ومهارات الفروسية وكل مظاهر النشاط الانساني مما له قيمة جمالية وطبيعة فنية .

وفي مجتمعنا العربي شاع ايضا مصطلح « الفنون الشعبية » أو « الفن الشعبي » كمصطلح عربي دارج يدل على « مصطلح الفولكلور » بدلالاته العلمية والواقعية ولكي يدل ايضا على مختلف اشكال الابداع الشعبي ، الفكرية والمادية والوجدانية باعتبار ان الفن باطلاقه ، هو القدرة على التعبير بمختلف وسائل التعبير الفنية .

وكذلك باعتبار ان هذه المواد التعبيرية هي موروثات ثقافية تتناقلها الاجيال من الاجداد إلى الاحفاد .. في تواصل ثقافي حي .. وهي موروثات ثقافية تتغير او تتبدل احيانا بطبيعتها الحية ، تبعا لتغير الظروف التي تحيط بكل جيل وتحيط ايضا بظروف ومناسبات استخدامها .

ولكن .. مع تغيرها وتبدلها تظل عناصرها الاساسية ثابتة ومحورية ، كمركز واساس لاشكال الابداع الجديدة .



فالفنون الشعبية بعناصرها الأصلية تكون هى المخزون الثقافى الكامن فى وعى الانسان فى تتابع أجياله ..

وتكون ايضا بتواصلها الحى ، هى الركيزة الثقافية التى تحدد شخصية المجتمع او الشعب مع تتابع اجياله ..

ولذا ظهر ايضا فى ثقافتنا المعاصرة مصطلح التراث الشعبى كمصطلح يدل على مواد التعبير المتوارثة الحية والمعاشة .. بل اصطلح ايضا على استخدام « التراث الشعبى الحى » كتاكيد لهذه الحيوية ، باعتبار ان عناصر من هذا التراث تضرب فى عمر الزمان الى اكثر من الفى عام او تمتد فى أصولها الحضارية الى ما هو ابعد من ذلك ..

ومع تحليل المواد التى يدل عليها هذا المصطلح اقر مجمع اللغة العربية مصطلح المأثورات الشعبية كترجمة دقيقة للمصطلح الاعجمى فولكلور .. باعتبار ان مواد المأثورات الشعبية تتمتع بالبعد التاريخى والحيوية والاستمرار فى ان .. اى انها كانت ومازالت .. وهو ما يميزها عن غيرها من مواد التراث مما قد كان .. ولا يكون حاليا ..

فمن التراث ما كان شائعا فى عصر ما .. ثم اندثر او تبدل .. ولم يعد له وجود حى فى حياة الناس .. فى حين ان المأثورات .. تتميز بالحيوية والانتقال بمضامينها، بل وفى معظم الاحوال باشكالها الاساسية عبر الاجيال .

مع تنوع هذه التعاريف او المصطلحات العربية لمصطلح فولكلور ومع الحركة العالمية للاهتمام بموضوعات ومـــواد الفولكلوريين بين مختلف الشعوب كاثر من اثار الاهتمام الرومانسى بحياة عامة الناس وكنزعة قومية للحفاظ على الذات القومية والابداعات الانسانية امام حركة التطور الصناعى والكم الالى الكبير .. نشطت اتجاهات فنية وعلمية فى حياتنا المعاصرة العربية منها ما اهتم بالفنون التعبيرية وتكوين الفرق القومية الشعبية تقدم لوحات غنائية وراقصة وبازياء شعبية والحان مستلهمة او مؤلفة على نسق الالحان الشعبية الاصيلة، او بتقديم عروض فنية اصيلة تجمع الفنانين الشعبيين على خشبة المسرح، او بالمزج بين هذه الفرق باصالتها الفنية مع العروض المستحدثة ، كمحاولة اعلامية لتاكيد الشعور القومى وكذلك لتاكيد الدور الخلاق للمجتمعات العربية فى المحافظة على مقومات شخصيتها القومية العربية وكظاهرة فنية تؤكد الدور الابداعى للانسان العربى ازاء حملات الاستعمار العسكرى والسياسى .. او الغزو الثقافى المخطط له مسبقا ..

ولقد حققت تلك الجهود الواعية الفنية والرسمية دورها الفعال فى إزالة كثير من مظاهر الغزو الثقافى والفنى للبلاد العربية وبخاصة ما كان مدعوما بغزو استعمارى عسكرى .. فبمجرد أن انزاحت الغمة الاستعمارية وملكت الدول العربية ارادتها بيدها .. بزغ الاهتمام الواثق بقدرات الشعب العربى الابداعية .

اهتمام علمى

مع هذه الجهود الفنية كان جهد اخر يواكبها ويسبقها ايضا وهو الجهد العلمى الذى بذله عدد من اساتذة الجامعات العربية وتزخر المكتبات العربية بدراساتهم العلمية فى الكشف عن مقومات ومميزات وقدرات الانسان العربى فى التعبير عن رؤيته الفنية لواقع الحياة ومهارته الفكرية والفنية فى صياغة حياته صوغا جماليا .. والتعبير عن ذلك بمختلف اشكال التعبير .. فكانت حركة الاهتمام العلمى بهذه القدرات الابداعية المتوارثة ، مركزها الجامعات العربية .. وكانت رسائل الماجستير والدكتوراه منذ اكثر من اربعين عاما فى جامعة القاهرة تتناول موضوعات من التراث الشعبى العربى .. سواء كان ذلك يرتبط بالسير الشعبية مثل سيرة الهلالية، او بالقصص الشعبى مثل حكايات الف ليلة وليلة، او بالامثال، او بالاغانى الشعبية .. والمكتبة العربية تضم العديد من الدراسات الاكاديمية والكتب العلمية التى تناولت ابداع الانسان العربى فى حياته اليومية .

وقد واكب الجهدين السابقين الفن والدراسة الاكاديمية جهد اخر لجيل واع من الفنانين المحدثين استلهموا موضوعات التراث الشعبى العربى والمأثورات الشعبية فى اعمال فنية محدثة، سواء كان ذلك فى مجال التاليف المسرحى او

التراث الشعبي
وأثره في الثقافة العربية المعاصرة

القصصى او اللوحات الفنية واعمال النحت التى تصور جوانب من الحياة اليومية للانسان ..

هذه الجهود الجادة الواعية كان لها أكبر الاثر فى تحويل مسار الثقافة العربية المعاصرة .. فقد فجرت هذه الجهود القومية منابع جديدة للتعبير الفنى والفكرى وأعادت للانسان العربى ثقته بنفسه ، بل فتحت امام الفنان العربى باحات جديدة يطل بها ويخرج من خلالها ايضا الى الانسان فى كل مكان فى العالم، يقدم للانسانية بل وللحضارة المعاصرة رؤية جديدة واصيلة تكشف عن قدرات الانسان فى صنع الحياة داخل مجتمعه وخارجه .

واذا تاملنا هذه الجهود سنجد انها فى حقيقتها لم تكن صدى للحركة العالمية للاهتمام بابداعات الشعوب وتراثها الحى او ماثوراتها المعاشة .. بل سنجد انها مع الحركة العالمية لفتت انظار الانسان العربى الى اصوله الحضارية وما تتضمنه كتب تراثه من اهتمامات واعية وجادة بواقع الحياة اليومية للانسان العادى .. فشعراء الجاهلية لم يغفلوا فى شعرهم مظاهر الحياة الفنية . فطرفة بن العبد فى مطلع معلقته يصور وشم اليد ولعبة « المقابل » التى مازالت شائعة للآن .. واذا قرانا شعر الجاهلية قراءة جديدة على ضوء مفهوم دراسات الماثورات الشعبية او التراث الشعبى سنجد كثيراً من صور الحياة اليومية القديمة التى لها اثارها للآن فى ممارستنا اليومية، مثلها فى ذلك مثل قصص وايام العرب، كما ان كتب المؤرخين والرحالة والجغرافيين العرب تزخر بموروثات ثقافية لها وجودها حتى الآن ..

بل ان الاهتمام بالتراث الشعبى بمفهومه الحديث فى الدراسات الفولكلورية له أصوله الثابتة فى دراساتنا العربية قبل ان يظهر مصطلح الفولكلور فى الحياة الغربية والاوربية بخاصة . ولن نبالغ اذا قلنا وقبل أن تنتبه الدراسات الاوربية الى هذا الموضوع الهام من مواضيع الكشف عن ثقافات الامم . فلقد التفت المفكرون والأدباء والفنانون العرب القدامى منذ الف عام واكثر الى اهمية اشكال الابداع الشعبى والموروث الثقافى فى مكونات الثقافة العربية .

رواد دراسات التراث العربى

فالجاحظ على سبيل المثال (٧٧٥ ـ ٨٦٨) يعتبر من النماذج الادبية المتميزة فى تراثنا العربى فى إنشاء الصيغة الأدبية للمادة الفولكلورية ـ سواء بتسجيله لما فى الحياة العامة من عادات وتقاليد أو من تصورات اسطورية عن عالم الجن والغيلان .. او نوادر البخلاء او انماط من السلوك كانت شائعة فى عصره او وصف انماط من العلاقات الاجتماعية التى كانت شائعة بين عامة الناس .

وكان الجاحظ بارعا فى الوصف ، ودقيقا فى تصوير ما يلاحظه وكان يصور الواقع دون تستر أو محاولة تجميله .

كما ان عبد الله بن المقفع (ت ٧٥٩) كان اديبا رائدا وعالما فذا من علماء الأدب العربى واثر كتابه كليلة ودمنة الذى نقله او وضعه مازال له وجوده فى التراث الشعبى العربى والعالمى .. سواء كانت هذه الحكايات التى تدور على لسان الحيوان من تاليفه او ترجمة لحكايات هندية وبخاصة من حكايات البنجاتنترا الهندية اى الاسفار الخمسة .. وقد ترجم الأستاذ الدكتور عبد الحميد يونس هذه الحكايات الى العربية .

واذا تاملنا جهدا اخر من جهود المفكرين والأدباء العرب سنجد كتاب الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى (٨٩٧ ـ ٩٦٧) يقف شامخا بين الدراسات الانسانية العالمية بغزارة مادته ووعيه الحضارى لمكونات الثقافة العربية والاجتماعية فى عصره .. سواء بما يتضمنه هذا العمل العظيم من وصف لمجالس الغناء والطرب ، وما يحوط هذه المجالس من انماط السلوك والمناسبات العامة .

وقد كان منهجه فى تقصي المعلومات وسردها يعتبر أساسا لأى منهج عربى حديث فى جمع مواد الماثورات الشعبية .

كما ان الفيلسوف العربى الفارابى (ت ٩٥٠) بكتابه الكبير ، كتاب الموسيقى الكبير ، يعتبر مؤسسا لحركة الدراسات الموسيقية فى اطارها الثقافى ومضمونها الاجتماعى .

وهناك غير هؤلاء كثيرون من مفكرين وفلاسفة وادباء اولوا انماط الثقافة العامة والشعبية الشائعة فى عصورهم اهتمامهم البالغ . ولا حاجة لنا ان نذكر هنا ابن خلدون (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦) الذى اعتبره من خلال موضوعات ومادة بحثه انه رائد الدراسات الفولكلورية فى العالم وليس مؤسس علم الاجتماع فحسب ..

فالمنهج الذى استنه ابن خلدون فى دراسته للحياة الاجتماعية ورصده للتغيرات الثقافية التى تحدث فى المجتمعات نتيجة الانتقال من حالة اجتماعية الى حالة اخرى ، يمكن ان يكون اساسا علميا سليما لوضع اسس نظرية عربية ومنهج عربى فى دراسات «الفولكلور» العربى .

من خلال الدراسات العلمية المتانية لماثوراتنا الشعبية يمكننا الاستدلال على مجموعة من المقولات والمفاهيم الفكرية والاجتماعية التى تشكل بنية الثقافة العربية . فمثلا يمكن الكشف عن مفهوم الخير او الشرف او الامانة .. والحق والجمال .. ومفهوم الحرب والسلم .. والصبر والاحتمال .. والموت . إلى غير ذلك من احكام القيم التى تشكل انماط سلوكه ..

وكذلك إدراك البواعث والعوامل الدافعة للابداع واسسه النفسية والفكرية . باعتبار ان الابداع الفنى للمجتمع هو فى حد ذاته تعبير عن مجموعة القيم والمقولات الفكرية التى يعايشها المجتمع وتحكم انماط سلوكه .

ودراستنا لأشكال الابداع الفنى الشعبى العربى سوف تكشف لنا عن مجالات جديدة من الابداع الفنى والفكرى كما ستقدم لنا فى نفس الوقت رؤية صادقة لواقع شخصية الانسان العربى فى مقومات وجودها الحضارى ..

ودراستنا للفنون الشعبية بمختلف انماطها .. وللماثورات الشعبية بتنوع موادها هى مسؤولية علمية وقومية فى آن واحد ليتحقق التواصل الثقافى بين ينابيع الابداع الثقافى الاصيلة فى حياتنا العربية وبين تطلعنا الحالى الى أن تاخذ ثقافتنا العربية مكانتها الجديرة بها بين الثقافات الانسانية المستقبلية وليس المعاصرة فحسب ..

ومسؤوليتنا الحضارية تكمن فى تاكيد انسانية الانسان من خلال الكشف عن قدراته الخلاقة .. واطلاق هذه القدرات لتعبر عن ذاته .

صفوت كمال ـ الكويت

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد حجماً لا مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● ويسألونك عن القاهرة ●● عيسى الحوام

هذا المقال الممتع الطريف كتبه الأديب العربى الكبير زكى مبارك منذ ٤٤ سنة ولاشك ان الصورة التى رسمها زكى مبارك للقاهرة فى هذا المقال الرائع قد تغيرت فى كثير من التفاصيل بعد مرور ما يقرب من نصف قرن على كتابة المقال .



أكتب هذه الرسالة وقد هربت من ضجيج القاهرة فى مساء العيد ، وهل فى شوارع القاهرة فى مثل هذا المساء موضع قدم لمن يريد أن يزود قلبه وعينيه بما فى اعياد القاهرة من مواكب السحر وملاعب الفتون ؟

هى دنيا من الغرائب والاعاجيب تسعد بها قلوب ، وتشقى بها قلوب . وهل يعرف حلاوة السعادة أو مرارة الشقاء غير قلب تنطوى عليه احشاء القاهرة فى يوم عيد ؟

يقال فى كل ارض : إن النكتة المصرية هى ابرع ما عرف الناس من صور الذكاء . وهذا حق ..

ولكن هل فكر احد فى أسباب هــذه الخصوصية ؟

إن النكتة هى النافذة التى نشرف منها على مروج الطرب والابتسام . ولو خلت حياتنا من النكتة لقتلنا الغيظ على الايام الجوائر التى لا يلتئم بها شمل ولا يعتدل ميزان .

ولعل المقادير لونت القاهرة هذا التلوين العجيب لتطب لقلوبنا الدامية . القلوب التى مزقها الهيام بالحب فلم تعرف معنى القرار فى صباح أو مساء .

قلت لقلبى : ايكون فرارك من ملاعب القاهرة فى مساء العيد دليلا على انك تشبه الطفل الذى يزهد فى اللعب ؟

فقال : وما حكم الطفل الذى يزهد فى اللعب ؟

فقلت : ينزعج عليه الاهل ، ويستقدمون

له الطبيب ، لأن الطفل لا يزهد فى اللعب إلا وهو عليل .

فقال : واين اهل القلب العليل لينزعجوا عليه ويستقدموا له الطبيب ... ؟ وعندئذ عرفت أن قلبى يعيش فى الدنيا بلا اهل !

● ●

هنا القاهرة !

نعم ، هنا القاهرة ، ولكن اين تقع القاهرة مما يريد القلب المفطور ؟ اين وهى اصل العلة التى ردت الفؤاد وهو صديع ؟

كانت القاهرة فى ماضيها مدينة محدودة النطاق ، وكان لها اسوار وابواب ، وكان حراسها يطوفون ارجاءها فى ساعة او ساعتين ثم يصعد رئيسهم فوق منارة ويصيح :

« ناموا ، ايها المسلمون ، فانتم فى امان » .

فاين نحن من ذلك الامان وقد جدت فى دنيانا معاطب غير عدوان اللصوص على المتاجر والبيوت ؟

يستطيع كل قارىء ان يطمئن الى أن منزله او متجره فى امان من سطوات الليل ولكن اين الامان من عدوان الشياطين ، شياطين الغرائز والنحائز والطباع ؟

من يضمن لك الأمان فى مدينة مثل القاهرة وهى اليوم مسبعة عقلية تصطرع فيها المذاهب والاراء ، ولا يغمض فيها جفن الا وهو مروع بقلب ساهر لا يعرف السكون إلا يوم تمن عليه المقادير بالموت ؟

من يضمن لك الامان فى مدينة مثل القاهرة وانت من نفسك فى حرب ، ومن الزمان فى قتال ، ومن الزملاء فى نضال ؟

يجب ان تعرف انك فى دنيا جديدة لا يسلم من خطوبها وصروفها غير من امدته المقادير بالصبر عما فى القاهرة من اصطراع العواطف واصطخاب الأهواء .

فهل انت من الصابرين ؟ وكيف تصبر عن القاهرة ، وهى قاهرة وفى دمك وروحك اقباس من سعيرها العصوف ؟

الم تسمع ما وقع يوم اقيمت مباراة الأناشيد العسكرية ؟

تلقت اللجنة خمسمائة نشيد ولم تختر غير خمسة اناشيد . فقال القائلون : هذا شاهد جديد على ان دولة الشعر يكثر فيها الأدعياء !

وكان ذلك لاننا نعيش فى القاهرة مدينة الاناقة والفخامة والزخرف والبريق ، وفى مثل القاهرة تقهر العواطف وتظلم القلوب . والا فكيف جاز أن ينسى المحكمون ما فى تلك الثروة الشعرية او النظمية من الدلالة على حرارة الافئدة وشهامة العقول ؟

خمسمائة نشيد ؟ معنى ذلك ، ايها الناس ، أن القاهرة فيها خمسمائة قلب ، وذلك مغنم عظيم ، ولكن اين من يقيم الميزان لحيوات القلوب وهى لا تـــوزن ولا تقاس ولا تكال ؟

وهل يشقى فى المدائن العظيمة غير اصحاب القلوب ؟

● ●

هنا القاهرة !

نعم ، هنا القاهرة ، ولكن اين مكان الاديب فى المدينة التى اصبحت عاصمة الشرق ؟ اين مكان الاديب فى القاهرة وبفضل قلم الأديب صارت القاهرة عاصمة الشرق ؟ وهل خلدت ليلى إلا بفضل اشعار قيس ؟

اين مكان الاديب فى القاهرة ، وهل رسم قلبه خط تاريخها الحديث ؟ بل اين من تسمح له القاهرة بان يقول إنه فى هواها مجنون ؟

إنى وإياهـا كمفتن
بالنـار تحرقه ويعبدها

هنا ـ فى القاهرة ـ زاد العقول والقلوب والعواطف والاحاسيس ، فاين مكان الاديب يا قاهرة ليؤدى ما اداه عشاق بغداد فى القديم وعشاق باريس فى الحديث ؟

زرت حديقة الأزبكية فى صباح اليوم وهو يوم عيد فلم ار فيها غير شراذم من غلف القلوب ، فاين الاديب الذى يشعر الدنيا بان فى القاهرة حديقة اسمها حديقة الأزبكية ؟ وكيف جاز أن تخلو هذه الحديقة فى يوم العيد من مواكب الحسن الوضاح ، والجمال الفضاح ؟ ومتى نعيش إذا الهانا جد القاهرة عن مداعبة الملاح فى يوم العيد ؟

متى نعيش إذا استطاعت محرجات الحياة ان تقهرنا على التفكير فى مدافعنا الدنيوية فى المواسم والاعياد ؟ وهل عمرنا عمر نوح حتى نصبر عن مواسم الافئدة الى اجل قريب او بعيد ؟

هى ايام نقضيها مشدودين بسلاسل واغلال إلى « قطار المفاجات » فى هذه الحياة . فمتى نلتفت الى ما انبت الغيث فى صحراء الحياة من ازهار ورياحين ؟

سيندم قوم على ما ضيعوا من مواسم القلوب فى القاهرة . وساذكر بعد فوات الوقت اننى جنيت على شبابى حين اضعته بين سواد المداد وبياض القرطاس فى زمن لا ينفع فيه غير الاتجار بالتراب . فهل اخرج من دارى الى معاقرة الحياة فى هذا المساء ؟ وكيف ولى شواغل تحرمنى الحرية فى مساء العيد ؟

وهل يستطيع قاهرى أن يمضى يوما واحدا بلا كفاح وهو يعيش فى مدينة مقدودة من صخور الصبر على مصاولة الحياة ؟

ان هذه المدينة التى تفتنكم لم تخلق فى يوم وليلة ، وإنما هى عصارة العزائم الشداد فى الأجيال الطوال . فمن اقام فى القاهرة وله عقل وذوق فليحاسب نفسه على اللمحات واللحظات ليؤدى الزكاة عن قلبه وعقله وذوقه إن كان من الموفقين ، وإلا فهو نفاية ملفوظة فى المدينة . القاهرة » التى تنكر خمود الغرائز وجمـــود الاحاسيس .

هنا القاهرة !

إى ، والله ، هنا القاهرة . وما أسعد من يرى القاهرة اول مرة !

لقد فتنت هذه « القاهرة » من زاروها فى هذه الأيام للاشتراك فى المؤتمر الطبى العربى ، وحمدوا الله على ان جعل للعروبة مدينة مثل القاهرة تتكلم اللغة العربية ، فان لم تكن القاهرة اعظم مدينة فى العالم كله فهى بالتاكيد اعظم مدينة فى الشرق بفضل ما جمعت من الخصائص الذاتية التى تحكم لها بالفضل على جميع مدن الشرق ، وليس ذلك بالقليل .

ولكن اين من يعرف اننا بسبب هذه العظمة اشقياء ؟

اين من يعرف ان القاهرة لا تعظم من يوم الى يوم الا لتزيد اعباءنا فى الحياة ؟ والى المنصفين من إخواننا فى الشرق اقدم الظاهرة الآتية ليعرفوا فى اى جحيم يعيش القاهريون .

فى كل بلد من بلاد الشرق يستطيع الرجل الوسط ان يعيش لأن الدنيا فى بلاد الشرق لا تزال تتسع للأوساط من الرجال .

اما مصر – ويرحم الله اهل مصر ! – فليس فيها للرجل الوسط مكان .

العالم الوسط لا يستطيع العيش .

والاديب الوسط لا يجد الرزق .

والمغنى الوسط يضيع .

والطبيب الوسط لا يجد ثمن الدواء حين يمرض .

والصحفى الوسط لا يملك الوصول الى خبر صغير .

والممثل الوسط قد لا يجد الفرصة لشهود رواية صغيرة . فضلا عن القدرة على الاشتراك فى التمثيل .

القاهرة تقول فى كل وقت : كن قاهريا .

وهل يستطيع كل مصرى ان يكون قاهريا .

اليست القاهرة هى التى فرضت الخمول على مئات من الشعراء لانهم لم يكونوا فى عبقرية شوقى وحافظ وصبرى ومطران ؟

اليست القاهرة هى التى فرضت الخمول على مئات من الكتاب لانهم لم يكونوا فى عظمة محمد عبده وعلى يوســـف وعبد العزيز جاويش ومصطفى المنفلوطى ومحمد المويلحى !

ومن كتاب اليوم وشعراء اليوم ؟

عندنا مئات من الكتاب والشعراء . ولكنهم سيموتون بغصة الحسرة على ان نشاوا فى القاهرة لهذا العهد ، عهد الزحام العنيف الذى لا يسلم من كربه غير الفحول الصوالين .

لقد قيل إن الرحمة فوق العدل . فاين نحن من الرحمة واين نحن من العدل ؟ اين من يرحم الاديب الوسط او يعدل فى الحكم على الاديب الوسط فيقضى بان من حقه ان يعيش لانه قد يكون اقدر من بعض الذين خلدهم ابو الفرج الاصفهانى ؟

واين الراحم او العادل الذى يقول بان فى شعراء اليوم ، الشعراء الذين اخملتهم القاهرة ، من يفوق عشرات من شـــعراء « اليتيمة » و « الذخيرة » و « قلائد العقيان » ؟

القاهرة لا تتسع ابدا لغير الافذاذ الذين يغلبون الزمان .

وهنا جواب السؤال الذى يوجه الىّ فى كل يوم :

« كيف يتسع وقتك لكل ما يصدر عن قلمك من الدراسات الادبية والفلسفية ؟ » .

وهل عندى وقت وانا موظف مسئول امام الواجب ؟

إنما انا قاهرى يحبس نفسه فى البيت يوم العيد ليحفر بسنان القلم ثقبا يتطلع منه على ضوء العظمة القاهرية عساه يقنع القاهرة بانه رجل مجاهد يستحق ان يعيش .

فان رايتم قاهريا يصنع مثل الذى اصنع فاعرفوا انه رجل مكدود يحاول الظفر بكلمة ثناء من المدينة العاتية التى حكمت بالا يعيش فيها غير من يقدرون على امواج المحيط فى غضبة العواصف الهوج ، ودهرنا كله عواصف هوج يتفزع من هولها المحيط .

لا تصدقوا ابداً اننا نسعى فى سبيل المجد . فذلك مطلب لا يخطر لنا فى بال ، وإنمانسعى للخلاص من شماتة الشامتين وسفاهة الكاذبين .

آه ثم آه !!

لو كان الماضى ينفع لجاز لرجل مثلى ان يعتمد على ماضيه فى خدمة الحياة الادبية والفلسفية ، ولكن القاهرة تعبس فى وجه الرجل الذى يعتمد على ماضيه . لان ذاكرتها تضيق عن مراجعة الاسماء . اسماء المجاهدين الذين عطروا باسمها ارجاء الشرق . هى حسناء لعوب لا تعرف غير العاشق المزود باطايب الثروة العاتية

فيارب كيف اكون فى وطنى يوم يتعب قلمى فانصرف عن الخلوة إليه فى يوم عيد ؟ حتى يوم العيد نقضيه فى نضال ؟

فى مثل هذا العيد من سنة ١٩٣٢ كذبت على ابى مرة ، ولم اكذب عليه غير تلك المرة . كتبت إليه اقول إنى ساقضى ايام العيد فى الاسكندرية فلا ينزعج اهلى إن حرمتنى هذه النزهـــة من الانس بهم يوم العيد فى سنتريس :

فهل قضيت تلك الأيام فى الاسكندرية ؟

لم تكن إلا حيلة لأحبس نفسي ايام العيد فى البيت لاكتب فصلا من فصــول « النثر الفنى » وهو الفصل الخاص بتطور السجع فى اللغة العربية .

وهل يصنع بنفسه هذا الصنيع إلا قاهرى تقهره القاهرة على النضال المميت ليجد مجالا فى المدينة التى تصطرع فيها اقلام المازنى والعقاد والزيات والبشرى وهيكل وطه حسين ، ومن إليهم من الباحثين الذين سيموتون قبل الاوان بفضل الكفاح الموصول ؟

القاهرة لا تعرف الرجل الوسط ، فافهموا هذه الحقيقة يا ابناء هذا الزمان ، وإلا فهناك « سلة المهملات » تنتظر الالوف ممن يراسلون الجرائد والمجلات ؟

يمن علينا من يحمله التلطف على القول بان القاهرة عاصمة الشرق . فهل تعرف القاهرة ان اقلامنا هى التى صاغت لها تلك العقود من الثناء ؟ وكيف وعندها (سفح المقطم) الذى وسع الالوف من اجسام العبقريين ؟

زرت سفح المقطم منذ اعوام لاستوحى روح ابن الفارض قبل ان اشرع فى كتابة الفصل الخاص به فى كتاب التصوف الاسلامى . فراعنى ان اعرف ان تلك الناحية هى انفع مكان فى القاهرة من الوجهة الصحية . وكذلك ايقنت ان القاهرة تدخر اجمل بقاعها للاموات . وما احسبها تصنع ذلك وفاء . وإنما اخشى ان تكون ارادت التنبيه الى ان عظمة الرجل فى مصر لا تكون إلا بعد الموت !

يرحمك الله ايها القلب الذى يشغله الكفاح عن ملاهى العيد !

الآن ، وقد انتصف الليل او كاد ، افكر فى مصيرى بين قومى .

افكر فى الشباب المضيع بلا لهو ولا فتون !

وهل كنت اول من ندم على الشباب المحروم ؟

ولكن ، هل املك غير الذى صنعت وغير الذى ساصنع ؟

فيا ايها الوطن الغالى ، تذكر ثم تذكر . تذكر اننى كنت ولا ازال مجنون ليلاك ! فان رايتنى صدفت عن افراحك فى يوم عيد ، فاعرف ان ذلك

لم يقع عن جهل او عقوق ، وإنما هى إرادتك العالية التى قضت بان يعيش ابناؤك وهم دائما فى حومة قتال !

وما ادعوك ، ايها الوطن ، إلى التصدق على بنظرة عطف ، فانا لا اقبل الصدقات ، وإنما ادعوك إلى مقابلة الجميل بالجميل . فان رفق الاباء يزيد فى بر الابناء !

وطنى ! لقد شقيت بعظمتك ، ومن اجل هذا احبك واستعذب الصاب والعلقم فى هواك !

وطنى ! إليك اسلمت قلبى وعقلي ، فخذ بزمامى إلى حيث تشاء ، يا انضر دوحة تغنت فوقها البلابل ويا اجمل روضة رنت فيها القبلات ، ويا اطهر بقعة اقيمت فيها المحاريب ، ويا اشرف صحيفة ارهفت اذانها الواعية لصرير القلم البليغ .

زكى مبارك – ١٩٤٠





بقلم : محمد فريد أبو حديد

وقفت الى جانب الطريح المسكين وقد فقد المحيطون به الأمل فى حياته ، وكان رجلا نيف على الستين ، ظل يجاهد فى عمله حتى وقع وهو يدفع عربته وعليها حملها الثقيل فكان فى وقعته اجله ، وهو من اهل الصعيد الاعلى كما تنم عليه عمامته وسحنته ، إذ كان ثوبه المهلهل لا يكاد يتماسك فى رأى العين ليكون اية دالة على منبت لابسه . فكان موته فى جوار البحر الملح موت المهاجر الشهيد ، لا تحيط به عناية اهل ، ولا ترفه عنه شفقة البنين . ومن يدرى ماذا كان يعانى ذلك المسكين قبيل ضجعته من الام تحملها صامتا ، وجاهد فى سبيله وهى تخزه وتطعنه ؟ ومن يدرى على اية حال من الضعف كان يدفع بحمله فى سبيل القوت ، وسوط الجوع من ورائه يلهب ظهره ؟

ووقف حوله معى جماعة من اهـــل الساحل بقوامهم السمهرى ولونهم الخمرى فكانوا يؤدون تحية الوداع على غـــير معرفة ، والشفقة بادية فى محياهم ، ولم يكن احدهم خيرا منه بزة ولا مظهراً ، ولكنهم كانوا جميعا يعرفون كنه ما فى هذه الحال من عظمة لانهم يجاهدون مثله ، ولعلهم هاجروا مثله من بلاد قصايا فى التماس الخبز وما يبلله من رقيق الادام . « اولئك قومى بارك الله فيهم » .

وانصرفت وفى عينى دمعة كما كان فى عين سواى من الوقوف إشفاقا على ذلك المسكين . وجعلت افكر فيما تدين به الحياة لهؤلاء . فهم عدة السلم ، وهم سواعد العمل ، وهم جنود النضال . واذكرنى ذلك التفكير ببطل من هؤلاء الدهماء ذكر التاريخ اسمه ، واقام له تمثالا هو رمز لمجهولى الابطال . فلسنا نعرف أهله ولامنبته . ولا شيئا مما يمسه غير اسمه ، وهو « عيسى العوام » .

كان ذلك الرجل يعيش فى عكاء ثغر الشام منذ نيف وثمانمائة عام . فى ايام النضال الكبير بين الشرق والغرب ـ ايام الحروب الصليبية ـ وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فى ذلك الوقت فى صراع الحياة او الموت مع ملوك الفرنج قد بلغ به الجد ان كان يتمثل بقول عبد الله ابن الزبير وهو يصارع الأشتر النخعى فى موقعة الجمل مصارعة من لا يريد هوادة ، إذ قال :

اقتلوني ومـــالكـــا
واقتلـــوا مالكــا معى

وكان الفرنج قد جمعوا جموعهم وحشدوا حشدهم امام عكاء ، وجعلوا التغلب عليها مقصد همهم . فكان هناك ملوك ثلاثة هم اكبر ملوك اوربا وزعماء فرسانها . وحاصروا المسلمين فى ذلك الثغر من قبل البر ومن قبل البحر ، واتى صلاح الدين من خارج المدينة يحاول رفع الحصار عن اخوانه وجنوده .

واستمات جنود الجانبين فى القتال ، وبذل كل قصاراه فى النضال ، وعض على النواجذ من الاضراس . واستطالت بهم الحرب نيفا وسنتين ، حتى اشتد الامر بالمحصورين ، وعجز صلاح الدين عن ان يرفع عنهم نطاق الاعداء ، فاخذ ذلك النطاق يتضايق ويشتد ، حتى بلغت الشدة بالمحصورين مبلغا عظيما ، وتراخت همة الدفاع من طول الجهد وشدة القتال .

فذهب جماعة من صيادى عكاء ممن درجوا على امواج البحر ونشاوا على امواهه ، فعرفوا مداخله ومخارجه ، وبرعوا فى اقتحام تياراته وخوض غمراته ، وعرضوا على قادة المسلمين ما فى طاقتهم من المساعدة فى ذلك المازق . وتساءل القادة ماذا عسى هؤلاء يصنعون فى قتال العدو ؟ وماذا تراهم يستطيعون ان يرزاوا فيه ؟ فاقبل عليهم الصيادون يعرضون ان

يحملوا الاخبار الى اخوانهم المحصورين ، وان يحملوا المال اليهم إذ استحال على السلطان الاتصال بهم ، وقالوا انهم يستطيعون ان يستتروا بجنح الليل فيسلكوا سبيلهم بين سفن الاعداء سباحة فاذا ما تعذر ذلك سلكوا بينها غاطسين فى الماء كما تسلك الأسماك وتسبح الحيتان . وكان صلاح الدين فى اشد الحاجة الى الاتصال بالجنود والقواد الذين يدفعون عن المدينة ، فقبل ما عرض هؤلاء الابطال .

وكانوا منذ ذلك الوقت لا ينقطع وافدهم من المدينة الى غسكر المسلمين ، او من عسكر المسلمين الى المدينة . وكانوا لا يطلبون فى سبيل ذلك جزاء ، إن هو إلا قربان يقدمونه احتسابا ، وواجب يؤدونه عن رضـــا وسخاء .

وظهر من بينهم « عيسى العوام » فكان اسرعهم سبحا واجراهم على الليل والنهار واكثرهم إقداما على الاخطار . فصار يهتف باسمه ، ويدعى إذا ما اشتد الخطر وادلهم الخطب . وكان هو لا يخيب ظنا ولا يخيم عند دعوة . وكانت بسالته تزداد كلما ضاقت حلقة الحصار . والتامت فروجه واتصلت سلسلته . فكان اقر لعينه واثلج لصدره ان يغوص فى شبر بين سفن الافرنج أو يسبح على مرمى سهم من نبالهم . وبقى على اداء واجبه مدة حتى طلع يوم . وانتظر اهل عكاء طلوع عيسى عليهم من ثنايا الموج كعادته . فلم يتحقق لهم ذلك . وطال وقوفهم وامتدت اعناقهم نحو البحر . كلما برق لهم شىء سابح ، او لمع لهم جسم طاف . اشاروا إليه إشارة الملهوف ، وتوقعوا ان يكون هو عيسى . ثم تبين لهم انه حباب الماء او رشاش الموج ، فعادوا الى ناحية ، فشدوا اليها ابصارهم ثم لم يلبثوا ان يجدوا خيبة لظنونهم وتكذيبا لاوهامهم لما طال بهم الوقوف وملوا الانتظار انصرفوا وفى قلوبهم هلع وتوقع للمحذور ، ولم تخل صدورهم من شكوك ساورتها فى امانة عيسى وديانته . وقديما كان فى الناس الطمع واعماهم الجشع ، وقديما فتنهم حب المال واغواهم شيطان الغرور . ايكون عيسى كبعض من خان وافتتن ؟ ايكون عيسى ممن خذلتهم نفوسهم عندما استطال بها النضال ، وانخلع فؤادهم عندما اكفهر الجو واظلم ؟ لم يرد الله ان يدع تلك الشكوك تساور ذكرى عيسى ، ورحم ذلك الرجل ان يهمس هامس عند ذكرى اسمه بما ثار فى صدره من شك ، فتسود بين الناس صحيفة بيضاء عند الله .. فارسل الموج حاملا جسمه نحو الشاطىء ، فراى الناس بعد بضعة ايام من غيبته وانقطاعه جثته ملقاة على الشاطىء ، ولا تزال حولها اكياس الذهب التى كان بعث بها صلاح الدين معه الى المدينة ، فراى الناس عند ذلك جثة شهيد قضى وهو يؤدى الامانة ، وجاد بالنفس وهو فى سبيل الخير والمجد .

رحم الله « عيسى العوام » ! وكم فى الناس من مثل عيسى ؟ .. غير ان التاريخ لا يذكر منهم احدا إلا قلة ليشير الى ان بين المجهولين الآن الالوف من افذاذ الابطال .



محمد فريد أبو حديد
١٩٣٤



تقديم : لبنى الريدي

الكمبيوتر والربوت في عيادة الأسنان

دخل الكمبيوتر والربوت عيادة طبيب الاسنان . فلقد ابتكر طبيب فرنسي جهازاً سوف يحدث ثورة في مجال تركيب الاسنان الصناعية . فهو يقوم بتصوير السن او الضرس المراد تركيبه ليتولى الكمبيوتر تكوين صورة رياضية ، وتظهر على الشاشة في شكل سن مجسم . وبالتالي سيستغني الطبيب عن استخدام العجينة لأخذ شكل السن وصنع قالب له من الشمع او الجبس بعد ذلك في المعمل ، مما يستغرق وقتاً وجهداً .

فعند استعمال الجهاز الجديد يدخل الطبيب كاميرا متناهية الصغر في فم المريض لتصوير السن المراد تركيب سن صناعي في مكانه ، وتتصل هذه الكاميرا بالكمبيوتر الذي يقوم بتحليل الصورة التي وصلت اليه بواسطة الألياف الضوئية . وعندئذ يظهر على شاشة الجهاز الشكل الخارجي للسن ويعطي الكمبيوتر اوامره للربوت المتصل به ليقوم بخراطة السن الجديد بعد ان يكون قد امده بالمقاسات اللازمة .

وتعطي المخرطة الآلية السن البديل المطابق للاصلي بدقة تفوق عشر مرات الطرق التقليدية . ولا تستغرق هذه العملية كلها سوى نصف ساعة بينما تستغرق مالايقل عن اربع ساعات عادة .

ولقد امضى الطبيب الفرنسي ١١ عاماً في تصميم وتنفيذ الجهاز الجديد ، وهو يامل في امكانية استخدام هذا الجهاز في فروع اخرى خاصة في مجال كسور العظام .





ادخال الكاميرا الصغيرة في فم المريض لتصوير الضرس

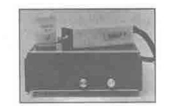


صورة مجسمة للسن على شاشة الكمبيوتر



الربوت يقوم بتصنيع السن

الميكرو ليزر



الميكرو ليزر

بعد الميكرو كمبيوتر جاء دور « الميكرو ليزر » ، وهو جهاز صغير لتوليد اشعة الليزر يمكن حمله في حقيبة الأوراق . ويستهدف الميكرو ليزر - الذي يعد اصغر جهاز من نوعه في العالم - التطبيقات الصناعية والطبية . فهو يقطع ويلحم ويثقب مثل اي جهاز ليزر صناعي كبير ، كما يمكنه القيام بكل الخدمات الطبية من جراحة وعلاج .

ويتكون الجهاز الجديد من راس طولها ٢٠ سم وعرضها ٧ سم وسمكها ٥,٥ سم ، وهي تتصل بصندوق صغير (٣٥ سم × ١٥ سم) يضم مفاتيح التحكم والتوصيلات اللازمة لتشغيل الجهاز . كما يحتوي الصندوق على غرفة الضخ الضوئي المزودة بمصباحي تفريغ وعلى مجموعة من المرايا لتوجيه شعاع الليزر والتحكم فيه ،

وعلى مصباحي فلاش من الكوارتز يحتويان على غاز كريبتون وزينون .

ويتميز الميكرو ليزر بالاضافة الى صغر حجمه بسهولة استخدامه ، فيكفي لتشغيله توصيله باي مصدر للتيار . وبالرغم من ان ثمنه خمس ثمن اجهزة الليزر العادية فان امكانياته لاتقل عنها شيئاً .

مضخة أنسولين جديدة وحقن بدون إبر



جهاز الحقن بدون ابر

المعمل الالكترونى الذاتى التحكم

لا يستطيع ١٢ مليون مريض بالسكرى فى العالم الحياة بدون حقن الانسولين ولهذا تتعدد الأبحاث لتسهيل عملية تزويدهم بما يحتاجونه من هذا الهرمون الحيوي .

ففى الولايات المتحدة انتهى الباحثون من تجاربهم على مضخة تزرع فى جسم المريض وتمده بالانسولين بشكل اتوماتيكى وهى عبارة عن اسطوانة سمكها واحد سنتيمتر وقطرها ثمانية سنتيمترات ، وهى تزرع فى جدار بطن المريض الذى يستطيع برمجتها بواسطة جهاز ارسال خارجى صغير .

ويقوم مكبس المضخة بدفع الانسولين من خزان صغير مصنوع من مادة التيتانيوم الى الجسم . ويساعد التيتانيوم على ان يظل الانسولين ثابتا لا يتحلل . ويملأ الخزان بواسطة حقنة بدون مكبس بحيث لا ينساب الانسولين منها إلا اذا كانت موضوعة بشكل سليم فى الفراغ داخل الخزان . ويستخدم فى هذه المضخة انسولين مركز بحيث لا يحتاج الى اعادة ملئها بالدواء الا اربع مرات فى العام . بينما كانت المضخات السابقة تحتاج الى اعادة تزويدها بالانسولين كل اسبوعين .

ويستطيع المريض الاختيار بين ست جرعات مختلفة من الانسولين قبل تناول الوجبات ، ثم يوقف عمل الجهاز لمدة ثمانى ساعات . فبالرغم من ان الطبيب يثبت معدل الضخ الأساسى للانسولين ، فان المريض يستطيع تغيير الجرعة الى النصف . فى حين ان المضخات التقليدية تضخ كمية ثابتة من الانسولين ، واذا احتاج المريض الى جرعة اكبر تعين ملء الخزان بمحلول انسولين اكثر تركيزا .

وبعد تجارب ناجحة على الحيوانات ، يستعد الباحثون لطرح المضخة الجديدة فى الاسواق فى العام القادم .

ويقدم الامريكيون ابتكارا اخر لمرضى السكرى الذين يضطرون لحقن انفسهم بالانسولين تحت الجلد ليظلوا على قيد الحياة . ويهدف الابتكار الى اعفائهم من الم وخز الابرة وذلك بدفع الدواء فى شكل رذاذ مباشرة خلال الجلد بدون الم .

ويعتمد الجهاز الجديد على ان يربط المريض الزجاجة التى تحوى الانسولين ويدير ذراع الجهاز ليدخل السائل الى التجويف الداخلى كما يعمل الذراع على لف نوابض التشغيل ، وعندئذ يدير المريض جسم الجهاز ليتحكم فى درجة شد النوابض التى تتولى دفع الدواء خلال جلده عند ضغط راس الجهاز عليه وبالتالى تتم عملية الحقن بدون وخز او الم .

هاتف مختلف



ابتكر الامريكيون جهاز هاتف جديد متعدد الاستخدامات ولذلك فهو يضم ٣٥ زرار تحكم بدلا من الأثنى عشر المتعارف عليها .

فبالاضافة الى الاتصال الهاتفى المعتاد يمكن عن طريق هذا الهاتف تغيير درجة التكييف فى الغرفة والتحكم فى سرعة المروحة وتبديل قنوات التليفزيون ، كما يرتبط الهاتف بجهاز لرصد الدخان بحيث يتصل من تلقاء نفسه بالمطافىء عند نشوب اى حريق .

ويمكن برمجته ليعطى اشارة ضوئية حمراء اذا ترك باب الغرفة الموجود فيها الهاتف مفتوحا . وبالتالى يصبح تشغيل العديد من الاجهزة المنزلية ميسرا من خلال ازرار الهاتف .

وقد بدات بعض الفنادق الامريكية الكبيرة تستخدم هذا الهاتف المتطور حيث يتولى ضمان امن وراحة النزلاء ، فيحصل النزيل على كل ما يحتاج من خدمات من خلال الهاتف العجيب .



لقطتان : إلى أعلى لقطة من فيلم « فانى والكسندر » ، حيث تبدو براعة المخرج « انجمار برجمان » فى تقديم جمال عصر انقضى بكل تقاليده ..
واللقطة الثانية للفتاة والصبى واحلام المستقبل

وداع فنان عظيم .. وترحيب بالقادم الجديد

بقلم رءوف توفيق

كما ذهبت أهم جوائز الأوسكار لمخرج شاب يقدم اول افلامه السينمائية .. فان تلك الجوائز توقفت بالتحية والتقدير لمخرج عبقرى وهو يودع عالم السينما ، معلناً الاعتزال وهو على قمة التوهج ، موضحاً انه قدم خلاصة رحلته الفنية فى فيلمه الأخير ، ولم يعد لديه اى دافع قوى للاستمرار فى السينما ، وأنه سيكتفي بين حين واخر بالكتابة والاخراج للمسرح ..

هذا الفنان العبقرى هو المخرج السويدى « انجمار برجمان » .. وفيلمه الأخير هو « فانى والكسندر » الذى حصل على اربع جوائز أوسكار .. وهى احسن فيلم اجنبى (ناطق بغير اللغة الانجليزية) واحسن تصوير ، واحسن ديكور ، واحسن تصميم ملابس .



لقطتان : الأولى للزوجة بعد ان انتابتها الأحزان .. والثانية للمخرج برجمان وابتسامة العودة إلى أرض الوطن (السويد) ••

احد المشاهد التي يدور اثناؤها الحوار حول كيفية التغلب على الأحزان :

ويبدو ان المخرج « برجمان » كان قد قرر منذ عدة سنوات ، اعتزاله عالم السينما ، ولكنه ارجا تنفيذ قراره ، حينما اتيحت له فرصة اخراج فيلمه « فانى والكسندر » على ارض بلاده ، السويد ، وبين مجاميع عشاقه وتلاميذه ، الذين عاد لهم بعد غيبة استمرت ست سنوات قضاها متنقلا خارج بلاده ، بسبب الخلافات الحادة والمشاكل المعقدة التى واجهها مع الضرائب فى السويد ..

وكأنه كان ينتظر التصالح ، ليعود الى موطنه ، وبين اهله ، ليقدم فيلم الوداع ..

وقرار الاعتزال ـ فى حد ذاته ـ اعطى مزيداً من الأهمية لفيلم « فانى والكسندر » ، ثم جاءت جوائز الأوسكار اخيراً لتتوج هذا الاهتمام ، وبطريقة غير مألوفة ، فقد جرت العادة ان يتم اختيار فيلم واحد من بين ترشيحات الأفلام الأجنبية ، ليمنح جائزة احسن فيلم اجنبى ، ولكن مع فيلم « فانى والكسندر » فقد حصل على اربع جوائز ، من بينها جائزة التصوير ، للمصور السويدى الفنان « سيفن نيكفست الذى رافق المخرج « انجمار برجمان » طوال رحلته الفنية وشاركه فى معظم افلامه السينمائية .. اى ان الجوائز لم تذهب إلى « الأستاذ » فقط ، بل امتدت إلى احد اعمدته السينمائية .

الجحيم .. بدون الآخرين

وفيلم « فانى والكسندر » .. هو تنويعة جديدة على نفس المعزوفة التى عشقها وطالما رددها المخرج « برجمان » .. معزوفة الحياة .. وكيف تصبح جحيما لا يطاق .. عندما يفقد الانسان الاتصال بنفسه .. والاتصال بالآخرين ..

وهذ الاحساس الفلسفى بقيمة الحياة والحب .. هو بالتاكيد نظرة متاملة لواقع الحياة الأوربية ، حيثما يمتلك الانسان كل وسائل الرفاهية والأجهزة التى تحقق له الراحة ، ولكنه يشعر وكانه عود حطب جاف مزروع فى بيت زجاجى وكل شيء حوله بلا روح او نبض .. (السويد : اعلى نسبة فى دخل الفرد وايضا اعلى نسبة فى الانتحار) !!

وقد تميزت اغلب افلام « برجمان » بانها منسوجة من شخصيات تعانى من القلق والاحباط .. تحيرها دائما اسئلة لا تعرف لها اجابة .. ويحيطها جو من الحزن والكآبة .

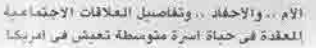
ووسط الانقباض الذى ينتقل بالضرورة الى المتفرج .. ياتى شعاع من الأمل وسط احداث الفيلم .. يؤكده دائما « برجمان » من ان العلاج او الحل ياتى من فهمنا لانفسنا ، وفهمنا للآخرين .

ولقد ساله مرة احد أصدقائه : « لماذا تقدم لنا مثل هذه الأفلام الكئيبة المقبضة ، رغم انك ترى كل مباهج وثراء ومتع الحياة » ؟!

اجاب « برجمان » : « اذا لم يوجد فى طريقك ممر مظلم .. فلن ترى الجانب المضيء » !







الام .. والاحفاد .. وتفاصيل العلاقات الاجتماعية المعقدة فى حياة اسرة متوسطة تعيش فى امريكا

الصبى - ووالدته صاحبة الفندق - وبينهما المغنى - روبرت دوفال - الذى نال جائزة احسن ممثل



اعلان الحب للحياة

وقد علق برجمان على فيلمه الاخير « فانى والكسندر » بأنه نوع من اعلان الحب للحياة ..

وتبدا احداث « فانى والكسندر » عام ١٩٠٧ .. وتلك الارملة تراس احتفالا عائليا باذخا فى بيتها .. يتجمع حولها اولادهـا الثلاثة وزوجـــاتهم واطفالهم .. وبين الصخب والمرح يسقط الابن متوفيا فجاة .. وهو الابن الاكثر كفاءة ونجاحا والذى يتولى ادارة المسرح الذى تمتلكه الاسرة ..

وبوفاته تعكف زوجته الممثلة الجميلة ، المفعمة بالحيوية والنشاط ، على تربية « فانى » و « الكسندر » ..

يتمو الطفل « الكسندر » ليصبح شخصية جريئة ، تتميز بالقوة والتحدى .. اما الطفلة « فانى » فهى دائما مستسلمة متجهمة .. وتنقلب شخصية الام من المرح والتفاؤل الذى كانت مشهورة به .. الى الحزن والالم ، وتقع فريسة للكوابيس المزعجة .. ولا ينقذها من هذا الحال المتردى الا ذلك الصديق القديم للعائلة ، الذى يتفق مع ابن اخيه على وضع خطة معقدة ، يستخدمان فيها تحضير الارواح بالشكل الريفى التقليدى ، لانقاذ الام وطفليها ..

وينتهى الفيلم .. بعودة الحياة والروح للام .. ولفانى والكسندر .. بينما الجدة ، عميدة الاسرة ، والتى بدا بها الفيلم .. فنحن نراها وهى تقرا احدى مسرحيـات ستريندبرج : « على ارض الواقع المهلهل .. ينسج الخيال خيوطه هاربا ومحلقا بسرعة ليشق طريقه فى اماكن اخرى جديدة .. » !

وكان « برجمان » بهذه الكلمات عن الامل .. يضع الكلمة الاخيرة فى مشـــواره السينمائى .. !

اخر مشهد فى اخر فيلم ..

سفير السينما السويدية

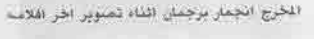
وهذا الفيلم الاخير .. هو الفيلم رقم ٤٤ فى رحلة « برجمان » السينمائية والتى بداها عام ١٩٤٥ .. وكان قبلها بخوض عدة تجارب فى الكتابة والاخراج المسرحى ، وايضا كتابة السيناريوهات السينمائية .

وفى خلال عدة سنوات قليلة من بداية اخراجه للافلام .. اصبح « برجمان » هـو سفير السينما السويدية الى العالم .. ولم يكن احد يعرف من قبل ان فى السويد ، صناعة سينما .. او بها سينمائيون بهذا القدر من النضج الفنى !

وحتى هذه اللحظة ـ ورغم مرور كل هذه السنوات ـ مازال اسم « برجمان » له وقع خاص فى الفن السينمائى .. ومازال هذا الاسم يرتبط بالنسبة للمشاهد العادى بالسينما السويدية .. او على حد تعبير احد النقاد ، ان « برجمان » هو حامل رسالة السويد للعالم ..

واصبحت افلام « برجمان » علامات واضحة فى تاريخ الفن السينمائى .. وارتفع معه عدد من الممثلين والفنيين .. واصبحوا يشكلون « جامعة » لهـا تقاليدها الخاصة فى الفن ..





المخرج انجمار برجمان اثناء تصوير اخر افلامه



« روبرت دوفال » فى لقطة من فيلم « منتهى الرحمة » مع الصبى الصغير والة جيتار وبداية صداقة

وترجع براعة المخرج « برجمان » فى قيادته للممثلين .. الى تجربته السابقة فى العمل بالمسرح .. وهو دائما يحن للمسرح ويلجأ اليه وقت الأزمات الخاصة ليتنفس هواء صحيا ، كما يقول .

● السينما السويدية .. بدون « برجمان »

ورغم كل النجاح الذى حققه « برجمان » داخل السويد وخارجها .. الا انه لم ينج من الهجوم الذى تزعمه احد المخرجين فى السينما السويدية .. معترضا على استئثار « برجمان » بكل اهتمام مؤسسة الفيلم السويدى .. ومعترضا ايضا على نوعية الافلام التى يقدمها برجمان ..

واصدر هذا المخرج « بو فيدربرج » كتابا بعنوان « رؤية فى السينما السويدية » طرح فيه تساؤلا : « لماذا تصبح الدنيا حزينة .. اذا كان برجمان نفسه حزينا » ؟! .. ودعا المخرج « فيدربرج » الى اتجاه جديد فى السينما السويدية يعتمد على الواقعية الاجتماعية .. ولاقت هذه الدعوة صدى عند الجيل الجديد من السينمائيين الشبان فى السينما السويدية .. ولكن سرعان ما اختلف اصحاب الدعوة ما بين التعبير عن الافكار السياسية ، وبين الذين ينادون بالاهتمام بالشكل الفنى للفيلم .

وظهرت بعض الافلام السويدية ، تبشر بمحاولات جديدة فى السينما السويدية .. الا ان هذه الأفلام لم تجد الابواب مفتوحة امامها فى التوزيع العالمى .. نظرا لتردد شركات التوزيع فى قبول اى فيلم من السويد ـ حتى ولو كان جيدا ـ الا انه لا يحمل اسم « برجمان » !

ورغم غياب « برجمان » عن السويد ـ لخلافاته مع الضرائب ـ .. الا ان السوق العالمى للسينما .. لم يسمح بظهور الا عدد قليل جدا من المخرجين فى السينما السويدية .. ربما اشـــــهرهم المخرج « بو فيدربرج » و « يان ترويل » .

وهذا التعتيم الذى حدث ازاء محاولات السينما السويدية .. لا يمكن القاء اللوم فيه على المخرج « برجمان » .. وانما هى مسائل متعلقة بتجارة الافلام وحرص شركات التوزيع على عدم المغامرة مع اى اسم غير معروف تجاريا وجماهيريا ..

يحدث هذا .. بالرغم من ان كل افلام « برجمان » قديمها وحديثها .. ليس من بينها افلام تجارية بالمعنى التقليدى .. وانما هى افلام تكتسب قيمتها باسم مخرجها .. وهى ايضا افلام لا تحقق الايرادات الخيالية .. وايضا لا ترضى مزاج جمهور السينما العادى والمنتشر الان فى جميع انحاء العالم باحثا عن ارضاء شهوته فى العنف والاثارة .

ومن نفس النقطة .. يكتسب اســم « برجمان » تاكيدا ورسوخا، فهو يصنع الافلام باقتناع خاص .. حتى عندما ترك بلاده وتعرض لكل اغراءات السوق الاوربى الامريكى .. لم يتنازل عن افكاره .. ولم يغير من خطه السينمائى .. ولم يفقد احترامه لنفسه .. وايضا لم يفقد عشــاقه احترامهم له .. !

و « برجمان » وهو يخطو الآن عامه السادس والستين .. مبتعدا عن اضواء السينما .. باختياره التام .. ستظل افلامه مادة مثيرة للتامل والدراسة .. ولاسترجاع متعة الفن .

من هذه الافلام : « ابتسامات ليلة صيف » عام ٥٥ ـ « الختم السابع » عام



الزوجة قبل أن تفجع بوفاة زوجها
وتتورط فى زواج اخر كئيب !

الام « شيرلى ماكلين » والابنة « ديبرا ونجر » .. واقتراب الموت
.. لقطة من فيلم « شروط المحبة » الفائز بخمس جوائز اوسكار



٥٦ ـ « الفراولة البرية » عـــام ٥٧ ـ « الينبوع » عام ٥٩ ـ « من خلال مرأة معتمة » عام ٦٠ ـ « الصمت » عام ٦٣ ـ « القناع » عام ٦٦ ـ « ساعة الذئب » عام ٦٧ ـ « العار » عام ٦٩ ـ « اللمسة » عام ٧٣ ـ « صرخات وهمسات » عـــام ٧٢ ـ « سوناتات الخريف » عام ٧٨ واخيراً « فانى والكسندر » عام ٨٣ .

انها بعض الافلام .. وعلى حد تعبير احد النقاد الامريكيين « كل منها يعتبر تحفة قائمة بذاتها » .. وهكذا يمضى واحد من اعظم مخرجى العصر !

أكثرهم احتراما

وكما ودعت جوائز الاوسكار المخـــرج « برجمان » .. القت باضوائها على واحد من اقدر الممثلين الامريكيين .. وان كان من اقلهم شهرة .. ذلك هو الممثل « روبرت دوفال » الذى حصل على جائزة احسن ممثل عن دوره فى فيلم « منتهى الرحمة » .

والممثل « روبرت دوفال » تجاوز الآن عامه الخمسين .. وهو يمثل فى الافلام منذ عشرين عاما بالضبط .. ومن المفارقات الغريبة ان اول فيلم يمثله كان عام ٦٣ .. وهو فيلم « مقتل طائر برىء » لكـــاتب السيناريو « هورتون فوت » .. الذى كتب سيناريو فيلم « منتهى الرحمة » وفاز به « روبرت دوفال » عن جائزة احسن ممثل .

وفى خلال رحلته الفنية ، لعب بطولة عدة مسرحيات فى برودواى .. وايضا لعب ادوارا مميزة فى افلام اكتسبت شهرة عالمية .. من أهم هذه الافلام : « بوليت » ـ « أهل المطر » ـ « ماش » ـ « الأب الروحى » بجزئيه الأول والثانى فى دور محامى العائلة ـ « شبكة التليفزيون » ـ « يوم القيامة .. الآن » « سانتينى الكبير » .

وبرع « روبرت دوفال » فى تقمص ادواره .. ولكن ظلت اضواء الشهرة الجماهيرية ، مبتعدة عنه .. مما دفع احد نقاد السينما الامريكية (ناقد جريدة النيويورك تايمز) لأن يكتب قائلا :

« لقد حان الوقت لان نتعـــرف على « روبرت دوفال » كاحسن الممثلين الامريكيين الآن ، فى خبرته ، وحرفته الفنية .. وقدرته على التلون فى أدواره المختلفة .. وايضا لأكثر الممثلين الامريكيين احتراما » !

حتى جاء دوره فى فيلم « منتهى الرحمة » .. ولم ينجح الفيلم تجاريا بالدرجة التى تتيح له حجم الشهرة المتوقعة .. الى ان اعلنت جوائز الأوسكار اخيرا .. فبدأت الاضواء تتركز عليه .

فيلم « منتهى الرحمة »

وفيلم « منتهى الرحمة » الذى اخرجه المخـرج الاســترالى الاصــل « بروس بيرسفورد » ينسج قصة حب ناعمة بين مغن سابق ادمن الشراب فتدهور حاله .. وبين ارملة تدير فندقا صغيرا على الطريق ، وهذه الارملة لها صبى صغير .. تتفرغ

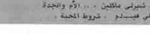


الصبي « الكسندر » ومسرح صغير من العرائس



« شيرلي ماكلين » .. الأم والجدة
في فيـلـم « شروط المحبة »





« روبرت دوفال » كما رسمه فنان امريكي « محددا
ملامحه التي تعبر عن الفارس المهزوم

لتربيته ، كما تتفرغ لادارة الفندق والقيام بكل اعبائه بمفردها .. في صبر واحتمال وصمت ..

ويستقر المقام لهذا المغني السابق ، داخل هذا الفندق المنعزل وكانه يهرب من كل ذكرياته وهمومه .. وتستغرقه علاقة الصداقة التي تنشا بينه وبين الصبي الصغير والة الجيتار التي يلهو بها .. وفي هذا الجو العائلي الحميم يستعيد المغني ثقته بنفسه ، ويسترد حيويته المهدرة .. حتى تهاجمه الذكريات متجسدة في زوجته السابقة والتي جاءت الى اطراف المدينة لتغني في احدى الملاهي الصغيرة .. ويذهب إليها ليسالها عن ابنته التي لم يرها منذ ستة اعوام .. ويطلب منها ان تسعى للقائه بها .

وتاتي اليه الابنة .. ليجدها قد كبرت ونضجت .. واصبحت لها حياتها المستقلة .. وتطلب منه الابنة ان يعود لكتابة الاغاني والغناء .. وتشجعه على ان يخوض العمل مرة اخرى .. ويستجيب لها .. وكانه كان في انتظار هذا التشجيع منذ زمن .. لينطلق في العمل ..

وفي غمرة هذا الاحساس بالحيوية والتحرر من الفشل .. ياتيه خبر مصرع ابنته في حادث سيارة .. والخبر كفيل بان يزلزله تماما .. ولكنه يجد من حوله الارملة صاحبة الفندق وابنها الصبي .. وكلاهما تعلق به في هذه الوحدة القاسية .. ولا يستطيع ان يهزم حلمهما .. ويستقر الثلاثة معا .. وكانهم ضحايا معركة يضمدون جراح بعضهم .. ويواصلون الحياة ..

يغني .. ويخرج للسينما

ويلعب روبرت دوفال دور المغني في الفيلم .. ويغني بصوته .. وقد كتب بنفسه كلمات الاغاني .. اغنيات تفيض بالشجن والعذوبة .. وقسمات وجهه الحادة ، وصلعته التي يغطيها بالقبعة توحي لنا ، باننا امام فارس نبيل يعاني من الانكسار .

ولهذا اكتسب الفيلم هذه اللمسة الشاعرية الحزينة ..

وقد رشح « روبرت دوفال » اكثر من مرة لاوسكار احسن ممثل مساعد .. ثم لاوسكار احسن ممثل عن دوره في فيلم « سانديني الكبير » ولكن كان موعده مع الحظ هذا العام ..

وهو العام الذي شهد تجربته الناجحة في الاخراج .. حيث اخرج فيلم « انجلو حبيبي » عن حياة الغجر في امريكا من خلال تتبع موقف صبي صغير ، شديد الذكاء والسخرية ، وعلاقاته بعائلته واصدقائه من الغجر ..

وفيلم « انجلو .. حبيبي » كتب له السيناريو ايضا روبرت دوفال .. بل وانتجه لحسابه الخاص .. اعجابا منه بهذا المجتمع الغجري .

وقد عرض الفيلم في مهرجان كان ٨٣ .. وشاهدته وسط عدد هائل من الصحفيين والنقاد .. واعطى كل منا رايه بالتصفيق في نهاية الفيلم لجراة المحاولة .. وبساطتها .. وايضا للرسالة التي اراد ان يضمنها الفيلم بالدفاع عن الاقليات الصغيرة في معركتها اليومية للحفاظ على كيانها من الذوبان في خضم المجتمع الامريكي !

وهكذا يثبت الممثل « روبرت دوفال » .. انه فنان خصب .. متعدد المواهب .. وصاحب وجهة نظر ..

القادم من التليفزيون

مفاجاة الاوسكار الثالثة .. ان يعطي اهم جوائزه الكبرى لفيلم من اخراج شاب يقتحم عالم الاخراج السينمائي لاول مرة ..

الفيلم هو « شروط المحبة » .. والمخرج هو « جيمس بروكس » .. وقد حصل الفيلم على خمس جوائز .. احسن فيلم - واحسن ممثلة (شيرلي ماكلين) - واحسن ممثل مساعد (جاك نيكلسون) - واحسن سيناريو واحسن اخراج (جيمس بروكس) .

والفيلم من نوع الدراما الاجتماعية .. والذي يناقش علاقة الاباء بالابناء .. ويتطرق الى مشاكل المجتمع الامريكي من الداخل .. في مسائل الحب والزواج ووحدة الاباء .. ومرض الابناء .

ولان المخرج « جيمس بروكس » يعتبر من اشهر كتاب السيناريو للتليفزيون الامريكي .. فقد عرف كيف يصوغ فيلمه بطريقة تمس مشاعر الامريكيين .. ولعب على اوتار التفاصيل الصغيرة .. وهذا سر نجاحه المدوي ..

• •

لقد كانت جوائز الاوسكار هذا العام .. اشبه بالرسائل الموجهة .

رسالة تقدير ووداع الى فنان اصيل يعتزل السينما .

رسالة تشجيع الى فنان صامت لا يسعى وراء الاضواء .

رسالة ترحيب بالقادم الجديد ..

وربما كان هذا العام .. من الاعوام القليلة .. التي يصبح فيها لجوائز الاوسكار الامريكية .. هذا المعنى الهام !!

رءوف توفيق

• قصــة قصــيرة •

مغامرة شاب يدعى خلف ..

بقلم : بشــرى نــاصر

توطئة :

لم يكن منا من لم يعرف « ابو جابر » .. فهو نوخذانا وصاحب « الابوام » ومسؤولنا الاول عن توفير لقمة العيش فى زمن اسود .. وكان والدى من جملة الرجال المنتظرين للموسم .. وقد جاءني بهذه الحكاية التى امتدت حتى اماد بعيدة .. وصرنا نلوح بها فى اغلب الاحايين .. اذ وجدت بيننا مجالا خصباً للرواية والتذكر والتواتر .

الواقعة الأولى

كنت اتذكر خلف .. كما ويحضرني الان بوجهه القمري .. وعينيه المطلتين على عالم لا يعرف عنه .. او لا يريد ان يعرف ما يدور به .

بطفولته المليئة بالغموض .. عرفناه .. وبابتعاده عنا وعن العابنا نحن صبية القرية ..

بركضنا ولهونا لم نكن نجده معنا .. هكذا عرفناه .

وهكذا عرفنا فيما بعد ان السدرة الوحيدة المطلة على الساحل ملك له .. كما حشيت رؤوسنا من قبل انها ملك للجن .. ومن يقترب منها .. فانه يعرض جسده لغزو الجن والشياطين ..

ونجمة ، تلك الفتاة العاشقة .. التى اصبح خلف الصبى المليء بالغرابــة والغموض كالسدرة تماما .. يمثل مع امتداد الزمن رمزا لعواطفها وحبها .

وعلى الرغم من انها احبت الدخول الى عالمه ، الا انه كما سمعت كان يرفض دوما تطفلها لدخول ملكوته . وسبر اغوار نفسه المغلقة ..

وكادت ان تنتهى الى رفيقاتها ولهوهن ونسيان ذلك الصبى لولا ان الاحداث مرت سراعا ..

فقد كان خلف الصبي الجميل والمفعم بالغموض العذب .. من جملة اشيائها الصغيرة التى تطاردها .. ولا تفهمها ..

كانت تراقبه وتتامل من خلال خرابة على الساحل جلوسه المتواصل على البحر .. وانغام نايه التى تصدر بعذوبة دغدغت قلبها الصغير . وما ان تفارق انزواءها .. حتى يعود بها والدها مُطوّعُ القرية الى المنزل .. اهلها يعرفون حق المعرفة كما نعرف نحن ان « خلف » تسكنه الجن .. ومع ذلك فلم يكن موقفهم تجاهه كبقيــة اهل قريتنا .. اذ ان ايمان والدها بالخالق كان كبيرا .. وكثيرا ما استدعي ليقرأ القران فى إناء ماء ليشربه خلف بهدوء ودون اى نزق .

يثيرها صمته وانقياده .. لم يعص امرا .. وكانه يقول افعلوا بي ما شئتم ولكن عالمى ملك خاص لي وحدي ..

حينما كانت نجمة تستمع لانغامه .. كانت تبكي .. لم تكن تدري وقتها لماذا .. ربما لانها احبته .. اذ ان تحديد المشاعر انذاك كان صعبا ..

لم تكن عيناه وحدهما اللتان تاسرانها .. ولكن عالمه الذى احبت اقتحامه هو الذى شغلها .. حتى باتت لا تمل مراقبته ..

كانت تتخيل انغامه تطلق لها وحدها .. تناديها .. تدعوها .. تطير بها .. وترفعها ..

ووالدها الذى عرف سر تعلقها وشغفها بالصبي لم يكن ليصبر على مراقبتها الطويلة له .. وتاملها فى ذلك الركن المنزوى من الخرابة المتهدمة . فقد صار يخاف عليها من سيطرة الجن ودخولها جسدها .. فكلما عاد بها مساء اسمعها حكايات طويلة عن اناس ذهبوا .. ولم يعودوا ..

وحذرها .. ثم قرا فى اذنيها المعوذتين .. وتركها لتنام كمن ادى واجبه باحسن وجه .

فى المقابل .. اعتاد خلف جلوسه تحت السدرة .. واعتاد اهل القرية وجوده ورقاده تحتها ليلا .. ليقوم من رقدته بعد ان



تضرب الشمس بسياطها جسده وراسه ..

وكثيرا ما كان اهل القرية يسمعون الخالة ام خلف تنشج من وراء باب غرفتها .. وتندب حظها العاثر .. ليذكرها ابو جابر بالايمان وبارادة الله ومشيئته فتستغفر .

الكثير من اهل القرية تساءلوا .. لماذا يدعى والد خلف بابي جابر .. ولا ينادى باسم ولده ؟

الا انهم كانوا يتركون الموضوع معللين انه لقب بذلك قبل ان يولد خلف .. حتى اقترب موعد الدخول الى البحر .. وكان المطوع من جملة المتاهبين .. فصارت نجمة تحلم بعقود ملونة وهدايا كثيرة ربما مليئة بالغرابة .. قد تكون مثل الة الناي التى جلبها احد التجار من الهند واهداهــا خلفا .. ؟ ربما تكون ممن يسعدهم الحظ بالولوج الى عالمه الجميل ؟

تجرات مرة واقتربت بخطوات وئيدة من السدرة .. وجدته يستند على جذعهــا ، وانغامه تتماوج محاكية امواج البحر ..

طار نورس كمن توجس من خطاها ..

طالعت عينيه الرائعتين وشعره الطويل .. كانت تتمنى سؤاله تتمنى لو يقول لها تعالي .

توقفت طويلا .. لم يشعر بها ..

اقتربت اكثر .. دنت منه .. وانغامه تسكن روحها .. طالعها بتلكما العينين .. وتوقف عن العزف .. حلمت به يناديها .. يجلسها بقربه .. ولكنه انطفا .. وضع الته فى جيب دشداشته الخفيفة ونام، شعرت بالاحباط فعادت خائبة حزينة .

الواقعة الثانية

لم يبخل المطوع بنصيحة يقدمها لابي جابر .. فكان الاخير يستدعى والد نجمة إلى مجلسه .. ويطلب المشورة .. حتى وجد المطوع ان الحل للمشكلة .. هو اصطحاب خلف للبحر .. ليترك السدرة .. وقد تقفز الجن الى البحر .. فمن يدري ؟

وهكذا كانت نجمة من جملة المودعين على الساحل .. عين على البوم .. والرجال المسافرين .. وعين على السدرة .

حتى راته يسير بتؤدة .. بعيدا عن كل ما يدور .. وبعيدا عن صراخ الاطفال وتلويح النسوة واناشيدهن .



تمنت ان تصافحه .. تقول له : اني انتظرك .. ولكن الكلمات ظلت مشنوقة ما بين شفتيها وحنجرتها .

وراحت الساعات تمر .. والبوم يبتعد عن ناظريها .. ورجلاها امتدتا فانغرستا فى الرمل الناعم ..

عادت للحلم .. ولأحلام نجمة دائما امتداد وبقية .. حين يعود ساحكي له ..

وربما ستحكي له عنه سدرته ستروى له: « كم ناجيتها ورددت عليها حكايات حبي ...»

الشهور تمضي .. والانتظار يكبر وينضج ..

مر شهران .. يتحتم الانتظار مضاعفة حتى يعود لتشبع من مراه . والدتها تحذرها من ارتياد المكان المشبوه ..

لقد اصبحت امراة .. والخروج مشين .. ثم ان السدرة مسكونة .. من سيتزوج امراة مسكونة ؟

هكذا صارت تحتال عليها حتى لا تعود الى سدرته .. فتعاود الذكرى « الانتظار مؤلم ومفجع » .

حين لمحت على البعد « بوما » يتجه إلى الساحل .. وجف قلبها .. وارتعشت .. ركضت الى البيوت تصرخ .. عادوا عادوا .

فارتسمت علامات الحيرة والاستغراب .. من فقد من الأهل ؟

لماذا العودة المبكرة ؟

اثمة مكروه ؟

ركضت بعض النسوة دون عباءات .. والبعض منهن حافيات .. كل تطرد من نفسها القلق والخوف بالدعاء .

كانت واثقة ان حبيبها لم يصبه مكروه .. فهو قد ذهب للتسرية عن نفسه .. وليس للابحار .

هكذا خمنت .. حتى دهشت من رؤية دموع « ابو جابر » .. وخلف المحمول على الاكتاف ..

بغتت ..

ومات لسانها .

صافحها والدها .. واخذها للمنزل .. توسلت به .. رجاها ان تعود ..

فاستسلمت وعادت لتفهم .

ـ هل مات ؟

ـ بل جن .

ـ كيف ؟

ـ تعاوده حالات صرع مخيفة ..

ـ خلف ؟

ـ عدنا قبل القفال .. رافة به .

ـ كنا ننام بعد نهار شاق .. ليستسلم هو لانغامه وهداة البحر ووجه الليل ..

ـ مسكين .. سلم وجهه للجنون ..

قالت أم نجمة ..

بكت ..

ـ تمنت لو تطلق صراخها المكتوم .

ـ لماذا يحدث كل هذا ؟

خلف .. سلبت لبه جنية بحر .. عشقت وجهه .. وعشقت انغامه ،منحت عينيها للبكاء والاسى .

الواقعة الثالثة

عاد ابو جابر باحزانه يطلب مشورة مطوع القرية .

والمطوع يفكر .. وخلف في مكانه المعتاد .. مع نايه وسدرته .

لنزوجه .

تهلل وجه النوخذا .. ايفيد ذلك ؟

الزواج يخلق الرجال .. ويصهرهم .

خرج النوخـذا من منزل المطوع .. لتمتلىء نجمة بالامل .. كل النساء يرفضن خلف .. من تريد رجلا مسكونا بالشياطين سواي ؟

لم يسالها والدها .. تقبل او لا .. ؟

ربما لان ايمانه قوي .. او ربما لان حكاية حبها كشف عن نقابها .

وحين راحت تتهيا كعروس .. كانت كنورس يحط على البحر .. ويطير .. قلبها نفسه كانه فراشة .. النساء يحضرن الاحتفال .. ويرمقن والدة نجمة .. بنظرات شك وريب ..

اقلت الرجال لتتزوج هذا ؟

ربما طمعا فى حلاله .

لكزت إحداهن الثانية .. نجمة تهيم به .. الم تعرفي بعد ؟

اعدوا الطعام والفوانيس .. وكل صنوف الاستعدادات للعرس .. وبانتظار خلف .. كتب القدر عليها ان تنتظر .

وطالت فترات الانتظار ..

لمحت والد خلف يسير مسرعا .. ويتذمر وضجر .. مطلقا كلمات لم تفهم مغزاها .. او لم تصل لها كاملة ..

بينما لحق به والدها ..

خمنت انه هناك .. فى عالمه ..

اسدلت اجفانها .. وتزايدت خفقات قلبها هذي الليلة هو ملك لها .

ستحكى له الكثير .. ستدعه يغني لها بناية .

كانت الاحلام تغزوها بغزارة ..

والرؤى تختلط عليها ..

هل تبدا فتصارحه ؟ ام تدعه بعالمه وتكتفي بالتطلع اليه .. ؟

دخل والدها ..

دخل والده ..

التقيا وجها لوجه ..

ضربت امها على صدرها ..

وصرخت امه ..

عيناها تناقلت بين الجموع .. على الوجوه .. على الة الناي بين يدي والده .

ندت منها اهة ..

ـ اين خلف ؟

لم تحصل على إجابة .. بكت .. انتزعت ثيابها الملونة .. مزقتها .. كادت تمـزق جسدها .. تغرس اظافرها فى لحم اعصابها وتنهش قلبها ..

ـ اين خلف ؟

مازالت تردد السؤال لترد من بعدها اصداء صوتها .. هذي المرة لم يمنعها احد من الجلوس تحت السدرة .لم يقف فى طريقها احد ..

وما تزال الاجابات تحتل من راسها مكانا كلما لمحت السدرة والبحر ..

قال المطوع :

عرفت جنية البحر بزواجكما .. فاخذت به الى قاع البحر . وقال النوخـذا : انتقمت منه الملعونة واحالته الى زبد .

ذاك اليوم .. كان وجه البحر يكتسي برغوة هائلة من الزبد .. ومنذ ذاك اليوم والبحر لاتهدا امواجه .

تنتظر ان يخرج ..

ان يعود اليها .

ولكنها لم تستطع حتى الآن ان تكره السدرة او البحر .. كما اننا لا نستطيع ان ننسى حكاية خلف .



دوحة القراء

إشراف
سنان المسلماني

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : مدينة عربية جميلة ، تعتبر إحدى المدن الكبرى فى دولة عربية حصلت على استقلالها فى أول يوليو ١٩٦٢ ، وهى ميناء على البحر الأبيض المتوسط ، ومنها يتم تصدير الحديد والفوسفات .. هل يمكنك التعرف على اسم المدينة ؟

●●●



الصورة الثانية : كان قاضى القضاة فى مصر والشام فى القرن السابع الميلادى ، ولد فى مدينة « أربل » بالعراق ، وتوفى فى دمشق حيث دفن بسفح جبل «قاسيون» ويعتبر رائداً فى علم التاريخ الاسلامى ، ومن اهم مؤلفاته : اليد الطولى ، وفيات الاعيان .. من هو ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد «١٠٠»





الصورة الأولى : ميناء بيريه .
● الفائز : مصطفى عبد العال ـ مصر
● الفائز : عبد المجيد أزر علي ـ الامارات

الصورة الثانية : أندريه جيد
● الفائزة : هديل مروان جدار / الامارات
● الفائزة : سميحة حسن ـ الأردن

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة العامة تتضمن (من ـ اين ـ ما) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى اكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة الدوحة ـ ص . ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

لقطة الشهر

التعليم في الصغر
كالنقش في الحجر

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى :
القارئة فاطمة حسن على ـ المطرية ـ القاهرة

الوصايا السبع



جلس ابو ذر يوما يحدث ويقول : أوصاني خليلي بسبع ،أمرني بحب المساكين ، والدنو منهم ، وأمرني أن أنظر الى من هو دوني ولا أنظر الى من هو فوقي ، وامرني الا أسأل احدا شيئا وامرني ان أصل الرحم ، وأمرني ان أقول الحق وان كان مرا ، وأمرني أن لاأخاف في الله لومة لائم ، وأمرني ان اكثر من : لا حول ولا قوة الا بالله .

أحمد يسلم احمد شظي
حضرموت ـ اليمن

الشاعر القتيل

كان لشاعر عدو ، فبينما هو سائر ذات يوم فى بعض الطرق اذا به يطارده ، فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة ، فقال له يا هذا . أنا اعلم أن المنية قد حضرت ، ولكن سألتك الله اذا أنت قتلتنى أن تمضى إلى دارى وقف بالباب وقل « الا أيتها البنتان إن اباكما » .. فقال سمعاً وطاعة .

وعندما فرغ من قتلة أتى الى داره ووقف بالباب وقال « ألا أيتها البنتان إن أباكما » وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل اجابتاه بفم واحد « قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما » ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم ، فاستقرره ، وأمر بقتله !

عبد المنعم سالم دفع الله
السودان

كلمات لها معنى

ـ اذا بلغت الى قلب الحياة تجد الجمال في كل شيء ، حتى في العيون المتعامية عن الجمال .
ـ كل رجل يحب أمرأتين ، واحدة يخلقها خياله ، والثانية لم تولد بعد .
ـ اذا كان قلبك بركانا فكيف تتوقع ان تزهر الازهار في يديك .

« جبران خليل جبران »

ـ يحلو للفتاة ان تحسب ان الانهار لم توجد إلا لكي تمدها بالماء .
ـ اذا أنت أغلقت بابك فى وجه الزيف والضلال فستتمتع بالحقيقة .
ـ اننا ندنو من العظمة حين نكون عظماء في تواضعنا .

« طاغور »

ـ كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فانه يتسع .
ـ المرأة شر كلها،وشر ما فيها انه لابد منها.
ـ احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك.
ـ اذا اقبلت الدنيا على احد اعارته محاسن غيره واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

« على بن ابي طالب »

اسامة اسماعيل سالم ـ مصر الجيزة







مَن ؟

مجاهد عربى كبير ، ناضل فى سبيل استقلال وطنه ، حارب الاسبان بضراوة ، ثم تقدم إلى المناطق التى يحتلها الفرنسيون فى بلاده ، ولكن الانقسام بين صفوف القبائل ادى الى استسلامه ونفيه إلى إحدى جزر المحيط الهندى ، حتى توفى فى القاهرة . اسمه مكون من شقين و ١٦ حرفا .

٥ ، ٢ ، ٨ ، ٦ كلمة تستخدم أثناء الطواف فى الحج

١٢ ، ٧ ، ١٠ ، ١٥ بمعنى دمار .

أين ؟

ولد هذا القائد ببلدة « اجدير » بمنطقة جبال الريف عام ١٨٨٢ ، فى دولة عربية تقع فى شمال افريقيا ...

.. وانضمت الى جامعة الدول العربية فى ٢ مارس ١٩٦١ بعد أن اتمت القوات الفرنسية إخلاء قواعدها العسكرية من هذا البلد الشقيق .

ويتكون اسم هذه الدولة من قطع واحد وستة حروف .

٤ ، ٢ ، ١ ، ٣ بمعنى فتى .

ما ؟

تشتهر هذه الدولة بثرواتها المعدنية التى من اهمها معدن يستخرج منه سنويا اكثر من ستة ملايين من الاطنان ، ويليه الحديد والفحم الحجرى والرصاص والمنجنيز والكوبلت والنحاس ..

اسم هذا المعدن مكون من مقطع واحد وثمانية حروف .

٣ ، ٤ ، ٢ اسم حبوب .

١ ، ٥ ، ٨ ، ٢ ، ٣ بمعنى اقترض .

الإجابة الصحيحة

١ ـ الزعيم السياسى الفلسطيني الحاج أمين الحسينى ، ولد وتعلم فى القدس ، وتخرج ضابطا إحتياطيا فى استنبول عام ١٩١٦ ، وعند عودته إلى بلاده بعد الحرب العالمية الاولى نسب إليه الانجليز قيادته لبعض الاضطرابات ، ففر الى دمشق ، وعاد إلى بلده ، لينتخب (مفتى فلسطين الاكبر) خلفا لاخيه ، وعندما تكون المجلس الاسلامى الاعلى تولى رئاسته عام ١٩٢٢ وكان اول من نبه إلى خطر تكاثر اليهود فى فلسطين . ترى فى اى عام ولد هذا المجاهد الفلسطيني ؟

(١٨٩٣ ـ ١٩٠٠ ـ ١٨٨٧ م) .

٢ ـ كان محمد صدقى اول طيار مصرى قام برحلة جوية على طائرة صغيرة من أوربا إلى مصر فى عام ١٩٣٠ ، بعد أن تعلم الطيران فى أوربا .. وهز الحدث شاعر كبير حيث قال فى المناسبة :

إنه اول عصفور لهم
هز فى الجو جناحيه وصلح

من هو الشاعر صاحب تلك الابيات ؟

٣ ـ من هم مؤلفى المسرحيات العالمية التالية :

● فى انتظار جودو
● عطيل بعود
● لعبة الكراسى
● أوديب ملكا

٤ ـ يقول العلماء ان الغاز المسيل للدموع بسبب عادة العمى المؤقت لغزارة مايسيله من الدموع وانه يستخدم فى الحروب وفى تفريق الجماهير .. ولكن هل يمكنك أن تتعرف على المركب الذى ينتسب إليه هذا الغاز ؟

(اكسيد النيتروز ـ احد مركبات البروم ـ خليط من اول اكسيد الكربون والايدروجين) .

حل مسابقة العدد ١٠٠

من : ابراهيم العريض

أين : بومبى

ما : أرض الشهداء

الاجابة الصحيحة

١ ـ دولة البحرين

٢ ـ البلاد التي لم تدخل تحت سيادة الاسلام والتي تكون مسرحا للحرب

٣ ـ ترجيفى لى .

٤ ـ الروائي السوري حنا مينا .

٥ ـ موسم الهجرة الى الشمال / عرس الزين / مريود .

٦ ـ العبارة غير صحيحة .

٧ ـ انتهاء الانتداب ١٩٤٨ م .

٨ ـ علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

٩ ـ حتى تصبح درجة حرارة ذوبان الثلج اربعة تحت الصفر وليس صفراً .

١٠ ـ فان اكلوا لحمى وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجداً
وقائله (المقنع الكندي) .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ اصل وصورة : الوردة ـ الرقبة ـ الشارب ـ الأنف ـ الحواجب ـ الاذن ـ الذقن ـ الشعر .

الفائزون : (١) طارق عبد الجواد ـ مصر (٢) ماجده عز الدين صالح ـ السودان .

٢ ـ المثل يقول : (١) اتلم زارور على طريقة .

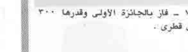
الفائز : محمود احمد فياض ـ الاسكندرية . (٢) إن جاعوا بكوا وإن شبعوا غنوا . الفائزة : رشا محمد سراج الدين ـ طنطا .

٣ ـ لاقوياء الملاحظة فقط : عربة قطار ، مفتاح ، مكنسة ، مروحة ، شجرة ، وردة ، ربطة عنق . (١) الفائز : الدكتور عبد

بأقلام الأصدقاء

لـــذة الوهـــم







يا همــــوم النفس قــــومي ... واقتفي للصبح فجــــــــره
علفى الاصــــــباح تنفي ... نبضـــة الأحشــــاء زفره
طالمــــا اذكـــت انيني ... والفــــؤاد الغض جمــــره
يا همـــــــــوم النفس إني ... مثقـــــل باليـــاس مكـــره
ارقتني امنيـــــــــــات ... دونهـــــا الأحـــــــلام مره
بت ارجـــــــــوها ولكن ... ذكرهـــــا للنفس حســـره
افعمت دنيــــــا شـــبابي ... بهجـــــة تخبــــو ونضره
ثم اردتني عجـــــــــوزا ... واهنــــــا من غير قــــدره
امنياتي إن عمــــــــري ... مل بالامــــــال صـــــبره
فانطوى في الدهـــــر يبكي ... زاهــــدا في العيش عمــــره
امنيـــــاتي ان قــــــلبي ... قـــدت الآلام صـــــــدره
فهـــــو في صــــمتي انين ... تنبش الانفـــــاس ســــره
وهــــو في نطقي حـــنين ... يطلق الآهـــــات حســـــره
فاغتنم ســـــعدي فؤادي ... واختلس بالوهــــــم نظـــره
لن ترى بالوهــــم شـــيئا ... غير جنـــــات وخضــــره
تلتقى فيهـــــا الامـــــاني ... حيث تغشـــــاك المســـره
سوف تلقى العيش حـــلوا ... اذ تــــرى الاحــــلام حره

محمد بن خليفة العطية ـ الدوحة

أسماء الفائزين

١ ـ فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى .

القارىء : محمد ضيف الله مراد ـ الكويت .

٢ ـ فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى .
القارئة : فاطمة محمد جمعه ـ المنامة ـ البحرين .

٣ ـ فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى .
القارئة : زهية محمود القطامى ـ الاردن

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

الاسم	البلد
١ ـ بن كالى الفضيل	الجزائر
٢ ـ محمد حسن عباس المهدى	الشارقة
٣ ـ عبد الله عمر محمد	السودان
٤ ـ عماد عبد العزيز	البحرين
٥ ـ عبد الله منصور فضل سليمان	الخرطوم
٦ ـ مريم صلاح الدين	المنامة
٧ ـ مازن غباس الشهابي	البحرين
٨ ـ عيسى إرحمه السهلاوى	قطر
٩ ـ نبيل علي عبد اللطيف	امريكا
١٠ ـ محمد سعيد	القاهرة

استراحة الدوحة العدد «١٠٠»

المجيد حسن البلوشى ـ البحـــرين (٢) الفائز : احمد يوسف المالكى ـ قطر .

٤ ـ هات اجمل تعليق : (١) يخلق من الشبه اربعين ـ الفائز : طارق ســـمير عبد الهادى ـ سوهاج .

٥ ـ يخلق من الشبه اربعين : رقم (٤) .
(١) الفائزة : وضحة مبارك الســليطى ـ قطر . (٢) الفائز : ابراهيم سعيد ـ السودان

٦ ـ دورى الكاريكاتير : رقم (١٠) .
(١) الفائز : حسن العــوض علي ـ السودان . (٢) الفائزة : منال سالم ـ اليمن

٧ ـ لعبة الظلال . رقم (٢) .
(١) الفائز : (١) رافت محمد عوض ـ اسيوط (٢) السر حســين ـ السعودية

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاســـم : ....

العنـــوان : ....

....

اسم المسابقـة : ....

رقم العـدد : ....

« تحـــذيـر »

التدخـــين يضر بصحـــتك
وننصحـــك بالامتـــناع عنــه



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة:

رؤوف

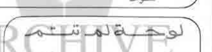
الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة



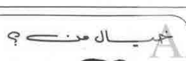


قبل ان تتعرف على الفروق السبعة التى بين اصل وصورة المفكر الفيلسوف العربى احمد لطفى السيد لتحصل على جائزة ، نحب ان نقول لك أن هذا المفكر كان رئيساً لمجمع اللغة العربية من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٦٣ ، وقد ترجم ارسطو ، ونال عن اعماله العديدة جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية عام ١٩٥٨ ، اى قبل وفاته باربع سنوات





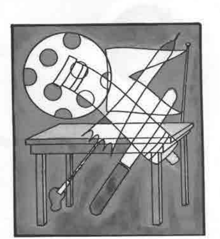
هذه اللوحة التى لم تتم لفنان عربى راحل من اهم من قدموا الكوميديا فى العالم العربى ، ونقلوها إلى فن رفيع يعالج النماذج الانسانية بصورة ساخرة .. حاول ان تكمل اللوحة وتتعرف على شخصية الفنان العربى لتحصل على جائزة





صاحب هذا الخيال هو الدكتاتور الايطالى مؤسس الفاشية وزعيمها ، وقد انتهت محاولاته الخيالية لاعادة الامبراطورية الرومانية باعدامه رميا بالرصاص فى عام ١٩٤٥ .. هل يمكنك التعرف عليه لتحصل على جائزة ؟

لأقوياء الملاحظة فقط!



الرسوم التى امامك لستة اشياء متداخلة .. حاول أن تتعرف عليها وارسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

المثل يقول



معظم الامثال العربية - تقريبا - متشابهة ، فالانسان العربى تعود أن يقول امثاله سواء للعبرة او التحذير او للنقد بصورة تتشابه فيها المعانى وتختلف الالفاظ .. حاول أن تجد المثل الشعبى الذى يعبر عنه هـــذا الرســم الكاريكاتيرى ، اذا كنت تريد الحصول على الجائزة .

لعبــة الظـــلال



هذا اللاعب يحاول منذ وقت طويل العثور على ظله ، إذا ساعدته فى العثور على الظل الحقيقى ستكون فى انتظارك جائزة .

دورى الكاريكاتير



كالعادة فى تلك المباراة الحامية ، اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا ، لعلك تفوز بجائزة .



بقلم: عبد الله الشيتي

محطات للتأمل

● فارس الخوري ـ العلامة والسياسي السوري الراحل ـ كان رجل ظرف ومواقف مشهورة في شجاعة الراي ، وقد جمع بين همة الشباب وحكمة الكهول ! ويروى عنه يوم كان رئيسا لمجلس النواب ، في سورية ، منذ سنين طويلة ، انه ذهب الى سوق (الحميدية) المشهور شهرة سوق (الموسكي) في القاهرة ، وقصد احد محلات كي وبيع الطرابيش ـ يريد ابتياع طربوش جديد بعد ان اعياه البحث ـ فوجد ضالته عند صاحب ذلك الدكان الدمشقي ، ولما استفسر عن ثمنه ، هاله ان البائع غالى في طلب الثمن ، فقال له مداعبا :

ـ يا هذا ، انك لن تجد لطربوشك «راسا» كبيرا يناسب احدا غيري ، الا راسي ، فما كان من البائع الظريف الا ان عاجلـــه بجـواب :

ـ وانت يا مولانا ، ما كنت تجد طربوشا يناسب راسك الا في ... دكاني !

●●

● في الطبعة الثانية لكتابي عن الشاعر الراحل المرحوم احمد الصافي النجفي (رحلة عمر مع النجفي) ذكرت في ختام الكتاب ، كيف ان الشاعر الساخر الراحل ، توفي في بغداد ، متاثرا بجراحاته البليغة اثر اصابته بخمس رصاصات طائشة عند كورنيش البحر في (الزيتونة) ببيروت ، حين كان يهم بقطع الشارع لشراء رغيف من الخبز (مكتفيا به كعادته في الزهد والبساطة) وقد قال بعد فقد بصره ـ اثر غياب ثلاثة واربعين عاما عن بغداد مغتربا ما بين سورية ولبنان وبعض الاقطار الاخرى :

ياعودة للدار ما اقساهـــا
« اسمعُ » بغـداد ولا اراها !

وكتب احد الزملاء الساخرين ـ فيمن كتب عن الكتـــاب ـ مقالة ، تحليلية و « تقريظية » للكتاب ، فوجدت به يصحح لي معلوماتي ومعلومات القراء في نهاية مقالته ، مؤكدا ان احمد الصافي النجفي ، لم يصب بخمس رصاصات ، وانما بست رصاصات !

اما الرصاصة السادسة في رايه الساخر فهي كتابي الذي صدر عن ... المرحوم !

●●

● اشتهر عن المرحوم النجفي « بغضه » للشعر المنثور او الشعر السايب او الفالت كما كان يسميه العقاد !

وهذان بيتان (نادران) للنجفي في هذا المعنى والعهدة عليه :

تفلسفت في اكتناه الشعر قوم
فضـــاع الوقت وامتد الطريق
فدع عنك «التفلسف» وارو شعرا
فلى عين ترى وفم يذوق !

●●

● علمتني الحياة ان اكبر وعاء في (مطبخ) عمرك وتجاربك ، هو (وعاء النفس) ...

الم يكن الشاعر العربي محقا في مقولته (من زمان) :

واذا كانت النفوس كبـــارا
تعبت في مرادهـــا الاجسام

وكم ارثي لهم ، اولئك الذين يكون واحدهم ممن تنطبق عليه هذه المقولة :

جسم البغال .. واحلام العصافير !

●●

● سئلت في احد البرامج الاذاعية عن اجمل و (اعظم) إهداء تتوج به كتاب ادبي وقع في يدي ، فقلت :

انه ذلك الاهداء الرائع بالمختصر المفيد ، للكاتب المصري الكبير خالد محمد خالد . الاهداء يقول ، في احد مؤلفاته : لله ... وللحريـــة !

●●

● يبقى نزار قباني متفردا بين عديد من شعراء عصره بصوره وادواته اللفظية وسخريته المرة واللاذعة حين يمزج بين وحدة البيت ووحدة الموضوع - من ذلك مثلا وهو يتوجع متفجعا على ما وصلنا اليه من حال ، ويجعلنا نتوجع معه ولكن بـ (استمتاع) متميز لفظا ومعنى :

كل شعر معاصر ليس فيـــه
غضب العصر نملـــة عرجـــاء
الفدائي وحـــده يكتب الشعر
وكل الذي كتبنـــــا هراء
عندما تبدا البنادق بالعزف
تموت القصـــائد العصمـــاء
البطـولات مـــوقف مسرحي
ووجـــوه الممثلين فيه طـــلاء !
و « فلسطين » بينهم كمزاد
كل شار يزيد حين يشـــاء

بلى يا اخي نزار ، لقد اوجعت فادميت وامتعت - وتلك هي لعمري المعادلة الصعبة في شعرنا العربي المعاصر ومعظمه (معصور) !

●●

● اخر الكلام : اذا كان لابد لنا من الموت فليمت واحدنا من كثرة الضحك !!